الجامعـــــــة الإســـلاميــة – غـزة

شئون البحث العلمي والدراسات العليا

كـليـــة أصول الدين

ماجستير تفسير وعلوم قرآن

The Islamic University–Gaza

Research and Postgraduate Affairs

Faculty of Oussoul Eddine

Master of Interpretation and

Sciences of Quran

التضحية في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

Sacrifice in the Light of the Noble Quran

"a Subjective Study"

إِعدَادُ البَاحِثِ

محمود عبد الحميد محمود أبو غبن

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور

رياض محمود جابر قاسم

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ

فِي (التفسير وعلوم القرآن) بِكُلِيةِ (أصول الدين) فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

سبتمبر/2016م– ذو الحجة/1437هـ

إقـــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التضحية في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

Sacrifice in the Light of the Noble Quran "a Subjective Study"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمود عبد الحميد أبو غبن	اسم الطالب:
Signature:	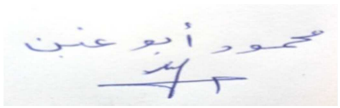	التوقيع:
Date:	2016/09/18	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2016/10/18 م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمود عبد الحميد محمود ابو غبن** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التضحية في ضوء القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 17 محرم 1438هـ، الموافق 2016/10/18 م الساعة الحادية عشر صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. رياض محمود قاسم	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. جمال محمود الهوبي	مناقشاً داخلياً	.....
د. نمر محمد أبو عون	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

ملخص الرسالة باللغة العربية

تحمل الرسالة عنوان التضحية في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية، وتهدف الدراسة إلى بيان أهمية موضوع التضحية، وإبرازه كدراسة قرآنية علمية موضوعية من جميع جوانبه، وقد اعتمد الباحث القواعد المنهجية للتفسير الموضوعي، ولتحقيق هذا الهدف قسَّم الباحث الرسالة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

أمَّا المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطة البحث، وأما التمهيد فقد اشتمل على تعريف التضحية في اللغة والاصطلاح، مع ذكر الألفاظ المقاربة والمقابلة لها في القرآن، وقد تناول الفصل الأول مجالات التضحية كما يعرضها القرآن الكريم، أما الفصل الثاني فقد تناول ثواب المضحِّين، وعقاب المتقاعسين، ثم خصص الفصل الثالث لذكر نماذج قرآنية للمضحين، وأما الفصل الرابع فقد اشتمل على مقومات وغايات التضحية، وأخيراً جاءت الخاتمة لتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

أهم نتائج الدراسة:

1. إنَّ نشر الإسلام يحتاج إلى تقديم تضحيات كبيرة، وجهود عظيمة من قبل أبنائه.
2. بيان أهمية التضحية في حياة المؤمن، وأنها حاضرة في جميع مجالات حياته.
3. بيان الأجر العظيم الذي أعده الله تعالى للمضحين في سبيله، وعقاب المتقاعسين.

أهم توصيات الدراسة:

1- أوصي طلبة العلم بدراسة التضحية غير المشروعة في ضوء القرآن الكريم، وذلك للتحذير من سلوك دروبها.
2- أوصي طلبة العلم بدراسة التضحية في ضوء السنة النبوية.
3- أوصي طلبة العلم بدراسة معمقة لكل مجال من مجالات التضحية.

كلمات مفتاحية: (التضحية، ضوء، قرآن، تفسير، موضوعي).

Abstract

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

This thesis is titled "Sacrifice in the Light of the Noble Quran: A Subjective Study". The study aims at clarifying the importance of sacrifice, and exposing this concept in a comprehensive and subjective Quranic study. In this regard, the researcher adopted the methodological rules of subjective interpretation. To achieve this aim, the researcher divided the thesis into an introduction, preface, four chapters, and a conclusion.

The introduction includes importance of the subject, reasons of its choice, aims of the study, a review of the previous studies, methodology of the study, and the thesis plan. The preface includes the literal and applied definitions of sacrifice, and its Quranic synonyms and antonyms. The first chapter addressed the fields of sacrifice as presented in the Noble Quran, while the second one addressed the reward of sacrificers, and the punishment of the non-sacrificers. The third chapter is dedicated to present some Quranic samples of sacrificers. The fourth chapter addressed the ingredients and goals of sacrifice. Finally, the study concluded with the most important findings and recommendations.

The most important conclusions:

1. Spreading Islam requires great sacrifices and efforts from all Muslims.
2. The study shows the importance of sacrifice, and its existence in all aspects of the life of true believers.
3. The study assures the great reward that Allah Almighty has prepared to the sacrificers in Allah's cause, and the punishment of the non-sacrificers.

The most important recommendations:

I would recommend students of knowledge to:

1. Study illegitimate sacrifice in the light of Noble Quran, and warn from it.
2. Study sacrifice in the light of Sunnah.
3. Study each field of sacrifice separately and deeply.

Key words: sacrifice, light, interpretation, Quran, subjective.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

[التوبة: 111]

الإِهْدَاء

إلى روح أمي العزيزة– رحمها الله تعالى– التي صبرت على الأمراض، وتحملت صعوبة الحياة، وضحَّت من أجل أبنائها، والتي طالما شجعتني على التعلم، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتها.

إلى والدي العزير، حفظه الله تعالى، وأدام عليه الصحة والعافية.

إلى روح أخي الشهيد باسل –رحمه الله تعالى–.

إلى روح عمي والد زوجتي، وروح الأستاذ: حسن بركات– رحمهما الله تعالى–.

إلى زوجتي الغالية، التي عانت فترة انشغالي بالدراسة، فتحملت عبء تعليم الأبناء، وكانت خير معين، فجزاها الله عني خير الجزاء.

إلى أبنائي: صهيب، ومحمد، وأحمد، وبناتي: رغد ومريم.

إلى جميع إخوتي وأخواتي وأبنائهم، وبناتهم.

إلى عائلتي، وعائلة زوجتي الكرام، آل الهرباوي.

إلى أصدقائي وأحبائي، زملاء الدراسة في جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية.

إلى أسرة مدرسة اليرموك "أ" ممثلة بمديرها الأستاذ: عبد الحليم صيام، ومعلميها الكرام.

إلى الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله تعالى، ورووا بدمائهم الزكية ثرى فلسطين.

إلى الجرحى جميعا، وخاصة أولئك الذين فقدوا بعضا من أجسادهم في سبيل الله تعالى.

إلى الأسود الرابضة خلف القضبان، الذين ضحوا بحريتهم وزهرة شبابهم من أجل وطنهم.

إلى المجاهدين والمرابطين الذين يحملون أرواحهم على أكفهم.

إلي الجامعة الإسلامية الغراء، منبع العلم والعلماء.

إلى أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين، الذين ضحوا بأوقاتهم وجهدهم من أجل العلم.

أهدي هذه الرسالة المتواضعة، سائلا الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناتي.

شكرٌ وتقديرٌ

انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40]، وقول النبي ﷺ: **(لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)**[1]، أتوجه بالشكر إلى الله تعالى الذي وفقني لإنجاز هذه الرسالة، فله الفضل من قبل ومن بعد.

ومن باب نسب الفضل لأهله، فإني أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى فضيلة: الأستاذ الدكتور: **رياض محمود قاسم** – حفظه الله ورعاه– بصفته مشرفاً على هذه الرسالة، فقد كان نِعْمَ المشرف، وخير المعين، فله مني كل حُبٍّ وتقدير على ما أولاني به من عناية، وما زادني به من علم ودراية، فقد رافق هذه الرسالة منذ كانت فكرة، فوجَّه برأيه، وصوَّب بعلمه، وقوّم بخبرته، حتى خرجت إلى النور متزينة بلمساته وتوجيهاته، فجزاه الله تعالى عني خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لعضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الأستاذ الدكتور: **جمال محمود الهوبي** المناقش الداخلي

وفضيلة الدكتور: **نمر محمد أبو عون** المناقش الخارجي

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما بذلوه من جهد في تقويمها.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع العاملين في كلية أصول الدين من أكاديميين وإداريين، وعلى رأسهم العاملين في قسم التفسير وعلوم القرآن.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية، التي لم تدخر جهدا في الرقي بطلبة العلم.

والشكر موصول للأستاذين: عبد الكريم أبو سمعان، وعبد الحليم صيام– حَفِظَهما الله– لتسهيل مهمة دراستي أثناء العمل.

كما أتقدم بالشكر للمعلمَيْن: محمد أبو رحمة، ومجدي منسي، وأولاد أختي عبد الحميد وصفاء عبيد، الذين ما بخلوا علي في تقديم المساعدة فيما يتعلق بتدقيق وتنسيق الرسالة.

كما أتقدم بالشكر لكل من وقف بجانبي وساندني وشجعني على إكمال دراستي.

---

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب/باب في شُكرِ المعروف، ص872: رقم الحديث 4811]، قال الألباني: صحيح، الألباني: صحيح سنن أبي داود (182/3).

فهرس المحتويات

إقرار. ..... أ

ملخص الرسالة باللغة العربية. ..... ب

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية. ..... ت

صفحة اقتباس. ..... ث

الإهدَاْءُ. ..... ج

شكرٌ وتقديرٌ. ..... ح

فهرس المحتويات. ..... خ

المقدمة. 1

أهمية الموضوع. 2

أسباب اختيار الموضوع. 2

أهداف الدراسة. 2

دراسات سابقة. 2

منهج الباحث. 3

خطوات البحث. 3

خطة البحث 4

التمهيد: التضحية والألفاظ المقاربة والمقابلة لها في القرآن الكريم 11

أولاً: تعريف التضحية لغةً واصطلاحاً. 12

1–تعريف التضحية لغةً. 12

2–تعريف التضحية اصطلاحاً. 13

ثانيا: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي. 14

ثالثاً: الألفاظ المقاربة والمقابلة للتضحية في القرآن الكريم. 15

1- الألفاظ المقاربة..... 15
أ- الجهاد. 15
ب- الفداء..... 16
ج- العطاء..... 17
د- الإيثار..... 18
هـ- الهَدِيَّة..... 19
2- الألفاظ المقابلة. 20
أ- الهلع. 20
ب- البخل. 20
ج- الشُّح..... 22
الفصل الأول: مجالات التضحية في القرآن الكريم. 23
المبحث الأول: التضحية بالنفس البشرية. 24
المطلب الأول: مفهوم التضحية بالنفس..... 24
المطلب الثاني: التضحية بالنفس في الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى. 25
المطلب الثالث: التضحية بالنفس في الجهاد في سبيل الله تعالى 28
المطلب الرابع: بيعة الرضوان. 30
المبحث الثاني: التضحية بالمال 32
المطلب الأول: الإنفاق 32
المطلب الثاني: الزكاة. 33
المطلب الثالث: ترك التجارة وقت الصلاة. 34
المطلب الرابع: ترك الربا..... 36
المطلب الخامس: الحج والعمرة..... 37
المطلب السادس: إسقاط الدَّين عن المعسر. 37

المطلب السابع: الأضحية..... 38
المطلب الثامن: التضحية بالمال لأجل العلم. 39
المطلب التاسع: التضحية بالمال لأجل العتق والكفارات. 40
المبحث الثالث: التضحية بالوقت. 43
المطلب الأول: التضحية بالوقت في مجال الدعوة إلى الله تعالى..... 43
المطلب الثاني: في العبادات..... 44
المطلب الثالث: في طلب العلم. 45
المطلب الرابع: في الإصلاح بين الناس. 47
المطلب الخامس: التضحية بالحرية. 49
المبحث الرابع : التضحية بالهجرة من الوطن. 51
المطلب الأول: إخراج الرسل من أوطانهم 51
المطلب الثاني: الهجرة من مكة الى المدينة. 52
المطلب الثالث: هجرة إبراهيم عليه السلام. 53
المطلب الرابع: هجرة لوط عليه السلام. 54
المطلب الخامس: قصة أصحاب الكهف. 55
المبحث الخامس: التضحية بالملذات الدنيوية...... 56
المطلب الأول: التضحية بلذة الطعام والشراب..... 56
المطلب الثاني: التضحية بلذة المباشرة..... 57
المطلب الثالث: التضحية بلذة النوم والفراش..... 59
المطلب الرابع: التضحية بالسكن والراحة. 60
الفصل الثاني: ثواب المضحِّين وعقاب المتقاعسين. 62
المبحث الأول: ثواب المضحين بأنفسهم وأموالهم. 63
المطلب الأول: ثواب المضحِّين بأنفسهم في سبيل الله تعالى..... 63

أولاً: الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون. 63
ثانياً: الوعد بالنصر..... 65
ثالثاً: الفرحة بما آتاهم الله تعالى من فضله وعدم الحزن. 66
رابعاً: غفران الذنوب. 66
خامساً: النجاة من النار. 68
سادساً: الوعد بالجنة..... 69
المطلب الثاني: ثواب المضحِّين بأموالهم. 70
أولاً: الوصف بالتقوى. 70
ثانياً: الوصف بالفلاح. 71
ثالثاً: مضاعفة الأجور. 72
رابعاً: الطهارة من الشح. 73
خامساً: الحصول على مرتبة البِر. 74
سادساً: التيسير في الأمور الدنيوية والأخروية..... 75
سابعاً: عدم الخوف والحزن يوم القيامة. 76
ثامناً: النجاة من النار. 77
تاسعاً: الوعد بالجنة. 78
المبحث الثاني: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم وأموالهم. 79
المطلب الأول: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم..... 79
أولاً: هلاك النفس. 79
ثانياً: الاتصاف بصفات المنافقين 80
1- وصفهم بالكذب 81
2- الطبع على قلوبهم، ووصفهم بعدم الفقه وعدم العلم. 82
3- قربهم من الكفر 82

4- الوعيد بالنار..... 83
المطلب الثاني: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأموالهم..... 84
أولاً: هلاك النفس أو المال أو كليهما..... 84
1- هلاك النفس أو المال معا 85
2- هلاك المال..... 85
ثانياً: توريث النفاق..... 86
ثالثاً: العسر في الحياة الدنيا والآخرة..... 87
رابعاً: تطويق الأعناق يوم القيامة..... 87
خامساً: العذاب الأليم..... 88
الفصل الثالث: نماذج للتضحية بالنفس والأهل والمال..... 90
المبحث الأول: نماذج للتضحية بالنفس..... 91
المطلب الأول: تضحية إبراهيم عليه السلام بنفسه..... 91
المطلب الثاني: تضحية ابن آدم..... 92
المطلب الثالث: تضحية سحرة فرعون..... 93
المطلب الرابع: تضحية المؤمنين في قصة أصحاب الأخدود..... 95
أولاً: الغلام 96
ثانياً: المؤمنون..... 97
ثالثاً: الأم وصبيها..... 97
المطلب الخامس: تضحية مؤمن آل فرعون..... 98
المطلب السادس: تضحية مؤمن آل ياسين..... 100
المبحث الثاني: نماذج للتضحية بالأهل..... 103
المطلب الأول: تضحية إبراهيم بابنه إسماعيل- عليهما السلام-..... 103
المطلب الثاني: تضحية أم موسى عليه السلام بابنها..... 105

المطلب الثالث: تضحية الابن بأمه. 107
المطلب الرابع: تضحية الابن بأبيه. 108
المبحث الثالث: نماذج للتضحية بالمال. 112
المطلب الأول: سليمان عليه السلام. 113
المطلب الثاني: الخضر عليه السلام. 116
المطلب الثالث: ذو القرنين عليه السلام. 117
المطلب الرابع: صهيب الرومي رضي الله عنه. 119
الفصل الرابع: مقومات التضحية وغاياتها. 120
المبحث الأول: مقومات التضحية. 120
المطلب الأول: الإيمان. 120
المطلب الثاني: الإخلاص. 122
المطلب الثالث: الصبر. 126
المطلب الرابع: اليقين. 130
المطلب الخامس: الذكر والدعاء. 132
المطلب السادس: الشعور بخطر الأعداء. 134
المبحث الثاني: غايات التضحية. 138
المطلب الأول: غايات أخروية. 138
أولاً: نيل رضوان الله تعالى. 138
ثانياً: النجاة من النار. 140
ثالثاً: الفوز بالجنة. 142
المطلب الثاني: غايات دنيوية. 143
أولاً: التضحية من أجل كرامة الإنسان. 144
ثانياً: التضحية من أجل الحرية. 145

1- تحرير الإنسان من الرقِّ والعبودية. **146**
2- تحرير الأسرى من أيدي الأعداء. **146**
3- تحرير الأوطان من الاحتلال الأجنبي. **148**
ثالثاً: التضحية من أجل رفع الظلم. **149**
الخاتمة. **152**
أهم النتائج..... **152**
أهم التوصيات. **153**
فهرس المصادر والمراجع. **155**
الفهارس العامة..... **167**
فهرس الآيات القرآنية. **168**
فهرس أطراف الأحاديث..... **191**
فهرس الأعلام المترجم لهم..... **196**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فإنَّ الله ﷻ خلق الإنسان، وأوجد فيه الغرائز والشهوات، وقد كلَّف الله تعالى هذا الإنسان تكاليف كثيرة، فأمره بما يصلح حياته، ونهاه عمَّا يفسدها، ولأنَّ الإنسان واقعٌ بين قوة الغرائز ولذة الشهوات من ناحية، وبين التكاليف الإلهية من ناحيةٍ أخرى وجب الاختيار بينهما، وهنا يبرز مفهوم التضحية، فمن الناس من يؤثر الحياة الدنيا، وينساق وراء شهواته، ومنهم من يؤثر الحياة الآخرة ويضحي بغرائزه وشهواته من أجل إرضاء الله ﷻ، وللتضحيات مجالات كثيرة ومتنوعة منها: التضحية بالنَّفس، بالأهل، بالمال، بالوقت، بترك الوطن، بالراحة، بالملذات سواء كانت مشروعةً أو غير مشروعةٍ وغيرها كثيرة.

وتحتلُّ غريزة حُبِّ البقاء على قيد الحياة الصدارة من مجموع هذه الغرائز؛ لأنَّها فطرة الله تعالى في خلقه، وفي مقابل ذلك تكون التضحية بالنَّفس هي أعظم ما يمكن أن يضحِّي به الإنسان، فلا عجب إذا دخل الإيمانُ الحقيقي قلبَ المؤمن، أن يقدِّم حياته وروحه رخيصةً في سبيل الله ﷻ، ولا يعني ذلك التقليل من قيمة التضحيات الأخرى، فهي وإن كانت ثقيلةً على النفس البشرية، إلا أنَّ المؤمن الحقيقي يشعر بطمأنينة في القلب، ورضاً في النفس وهو يقدِّم هذه التضحيات من أجل الله ﷻ.

فالتضحية هي سمة دين الإسلام، فلا تكاد ترى أيَّ شعيرةٍ أو ركنٍ من أركان الإسلام إلا والتضحية حاضرة بقوة فيه، فمن نَطَق الشهادة مخلصاً، فقد بدأ طريق التضحيات من أجل الله ﷻ؛ لأنَّ كل أمور الدين تحتاج إلى تضحيةٍ وبذلٍ من أجله ﷻ، ومن هذا المنطلق، كتبت هذه الرسالة، وهي بعنوان **(التضحية في ضوء القرآن الكريم. دراسة موضوعية)**.

أهمية الموضوع.

1- يستمد موضوع البحث أهميته من ميدان البحث فيه، ألا وهو كتاب الله ﷻ.
2- الإسلام هو الدِّين الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده، وهو قائم على تقديم التضحيات من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، ومن أجل رفعة هذا الدين.
3- يمسُّ موضوع التضحية الواقع المرير الذي تحياه الأمة الإسلامية، ففي كل لحظة تقدم الأمة الإسلامية التضحيات الجسام في سبيل الله تعالى.
4- يتعلق موضوع التضحية بجوانب الحياة كلها للإنسان المسلم.
5- التضحية هي الوسيلة لتحقيق ما تصبوا إليه الأمم بصورة عامة والأمَّة الإسلامية بصورة خاصة.

أسباب اختيار الموضوع.

1-خدمة القرآن الكريم من خلال إخراج مواضيعه في رسالة علمية جامعة.
2- وجود المادة العلمية الكافية التي يمكن أن تغطي جميع أبعاد هذا البحث.
3- شعوري بالتضحيات الكبيرة التي قدمها الشعب الفلسطيني خلال السنوات الماضية ولايزال.
4- شعوري بفقدان شقيقي العزيز-الشهيد بإذن الله تعالى- باسل الذي استشهد في قصف جوي في حرب الفرقان، حيث كان استشهاده تضحيةً في سبيل إنقاذ جيرانه الذين تم قصف منزلهم.

أهداف الدراسة.

1- نيل رضوان الله ﷻ فهذه الغاية التي من أجلها يضحِّي المسلم بكل غالٍ ونفيسٍ.
2- بيان أهمية موضوع التضحية، وإبرازه كدراسة قرآنية علمية موضوعية من جميع جوانبه.
3- بيان عظمة دين الإسلام من خلال صور التضحية التي يعرضها القرآن الكريم.
4- ربط موضوع التضحية بالواقع الفلسطيني الذي كان ومازال رمزاً للتضحية في جميع مجالاتها وصورها.

دراسات سابقة.

بعد البحث المستفيض في الشبكة العنكبوتية بشكل عام، وفي المكتبات الإلكترونية التابعة للجامعات الفلسطينية والعربية بشكل خاص، لم أعثر-حسب علمي واطلاعي- على

رسالة علمية محكَّمة قد تناولت موضوع التضحية في القرآن دراسة موضوعية منضبطة بقواعد وأصول التفسير الموضوعي، ولكني من خلال البحث وجدتُ كتاباً بعنوان (التضحية والفداء في الإسلام) للكاتب جمعة أمين عبد العزيز، وبالرغم من قيمة هذا الكتاب وأهميته، إلا أنَّ الكاتب تناول موضوع التضحية من باب الثقافة الإسلامية العامة والفكر الحركي، فهو كتابٌ عامٌ لم يقصد مؤلفه أن يكون رسالة علمية محكَّمة؛ لذلك يفتقر الكتاب إلى مقومات الرسالة العلمية بشكل عام، وإلى منهج التفسير الموضوعي بشكل خاص.

وقد وجدتُ من خلال البحث أيضاً بعض المقالات البسيطة المنشورة في بعض المواقع الإلكترونية، ولعلَّ أهمَّها خاطرةٌ إيمانيةٌ بعنوان (التضحية في سبيل الله غايتها ووسائلها) للدكتور حسين حسين شحاتة وهي تقع في خمس عشرة صفحة.

منهج الباحث

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الموضوعي.

خطوات البحث

1- كتابة الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، وعزوها إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية في متن الرسالة، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين قوسين مزهرين.
2- الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة عند تفسير الآيات.
3- الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي خدمت البحث، وعزوها إلى مصادرها مع ذكر حكم العلماء عليها، إن لم تكن في الصحيحين وتمييز الحديث النبوي الشريف بوضعه بين قوسين.
4- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.
5- توضيح الكلمات الغريبة من خلال المعاجم اللغوية وغريب الحديث.
6- توثيق النصوص المنقولة في الحاشية، مبتدئاً بذكر اسم شهرة المؤلف، فاسم الكتاب، فالجزء إن وجد، فرقم الصفحة، وأمَّا باقي المعلومات ذكرتها في فهرس المصادر والمراجع.
7- في حالة الاقتباس الحرفي، وضعت النص بين علامتي تنصيص، أما في حالة الاختصار أو الاقتباس بالمعنى، فلا علامات تنصيص وأشرت في الحاشية بلفظ يُنظَر.

8- عمل تراجم مختصرة للأعلام غير المشهورين، وكذلك البلدان والأماكن غير المشهورة في الحاشية إن وُجدت.

9- عمل فهرس المحتويات في مقدمة الرسالة، وأما فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الآيات القرآنية، وأطراف الأحاديث النبوية، والأعلام، في نهايتها.

خطة البحث

قسَّمتُ الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة

واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطوات البحث، وخطة البحث.

التمهيد

التضحية والألفاظ المقاربة لها في القرآن الكريم

أولاً: تعريف التضحية لغةً واصطلاحاً.

ثانياً: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

ثالثاً: الألفاظ المقاربة والمقابلة للتضحية في القرآن الكريم.

الفصل الأول

مجالات التضحية كما يعرضها القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التضحية بالنفس البشرية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التضحية بالنفس.

المطلب الثاني: التضحية بالنفس في الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى.

المطلب الثالث: التضحية بالنفس في الجهاد في سبيل الله تعالى.

المطلب الرابع: بيعة الرضوان.

المبحث الثاني: التضحية بالمال.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الإنفاق.

المطلب الثاني: الزكاة.

المطلب الثالث: ترك التجارة وقت الصلاة.

المطلب الرابع: ترك الربا.

المطلب الخامس: الحج والعمرة.

المطلب السادس: إسقاط الدَّين عن المعسر.

المطلب السابع: الأضحية.

المطلب الثامن: التضحية بالمال لأجل العلم.

المطلب التاسع: التضحية بالمال لأجل العتق والكفارات.

المبحث الثالث: التضحية بالوقت.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التضحية بالوقت في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: في العبادات.

المطلب الثالث: في طلب العلم.

المطلب الرابع: في الإصلاح بين الناس.

المطلب الخامس: التضحية بالحرية.

المبحث الرابع: التضحية بالهجرة من الوطن.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إخراج الرسل من أوطانهم.

المطلب الثاني: الهجرة من مكة الى المدينة.

المطلب الثالث: هجرة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الرابع: هجرة لوط عليه السلام.

المطلب الخامس: قصة أصحاب الكهف.

المبحث الخامس: التضحية بالملذات الدنيوية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التضحية بلذة الطعام والشراب.

المطلب الثاني: التضحية بلذة المباشرة.

المطلب الثالث: التضحية بلذة النوم والفراش.

المطلب الرابع: التضحية بالسكن والراحة.

الفصل الثاني

ثواب المضحِّين وعقاب المتقاعسين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ثواب المضحين بأنفسهم وأموالهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ثواب المضحِّين بأنفسهم في سبيل الله تعالى.

أولاً: الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

ثانياً: الوعد بالنصر.

ثالثاً: الفرحة بما آتاهم الله تعالى من فضله وعدم الحزن.

رابعاً: غفران الذنوب.

خامساً: النجاة من النار.

سادساً: الوعد بالجنة.

المطلب الثاني: ثواب المضحِّين بأموالهم.

أولاً: الوصف بالتقوى.

ثانياً: الوصف بالفلاح.

ثالثاً: مضاعفة الأجور.

رابعاً: الطهارة من الشح.

خامساً: الحصول على مرتبة البِر.

سادساً: التيسير في الأمور الدنيوية والأخروية.

سابعاً: عدم الخوف والحزن يوم القيامة.

ثامناً: النجاة من النار.

تاسعا: الوعد بالجنة.

المبحث الثاني: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم وأموالهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم.

أولاً: هلاك النفس.

ثانياً: الاتصاف بصفات النافقين.

1- وصفهم بالكذب.
2- الطبع على قلوبهم، ووصفهم بعدم الفقه وعدم العلم.
3- قربهم من الكفر.
4- الوعيد بالنار.

المطلب الثاني: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأموالهم.

أولاً: هلاك النفس أو المال أو كليهما.

ثانياً: توريث النفاق.

ثالثاً: العسر في الحياة الدنيا والآخرة.

رابعاً: تطويق الأعناق يوم القيامة.

خامساً: العذاب الأليم.

الفصل الثالث

نماذج للتضحية بالنفس والأهل والمال

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نماذج للتضحية بالنفس.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تضحية إبراهيم بنفسه.

المطلب الثاني: تضحية ابن آدم.

المطلب الثالث: تضحية سحرة فرعون.

المطلب الرابع: تضحية المؤمنين في قصة أصحاب الأخدود.

المطلب الخامس: تضحية مؤمن آل فرعون.

المطلب السادس: تضحية مؤمن آل ياسين.

المبحث الثاني: نماذج للتضحية بالأهل.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تضحية إبراهيم بابنه إسماعيل- عليهما السلام-.

المطلب الثاني: تضحية أمِّ موسى بابنها.

المطلب الثالث: تضحية الابن بأمه.

المطلب الرابع: تضحية الابن بأبيه

المبحث الثالث: نماذج للتضحية بالمال.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سليمان عليه السلام.

المطلب الثاني: الخضر عليه السلام.

المطلب الثالث: ذو القرنين عليه السلام.

المطلب الرابع: صهيب الرومي رضي الله عنه.

الفصل الرابع

مقومات التضحية وغاياتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مقومات التضحية.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان.

المطلب الثاني: الإخلاص.

المطلب الثالث: الصبر.

المطلب الرابع: اليقين.

المطلب الخامس: الذكر والدعاء.

المطلب السادس: الشعور بخطر الأعداء.

المبحث الثاني: غايات التضحية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: غايات أخروية.

أولاً: نيل رضوان الله تعالى.

ثانياً: النجاة من النار.

ثالثاً: الفوز بالجنة.

المطلب الثاني: غايات دنيوية.

أولاً: التضحية من أجل كرامة الإنسان.

ثانياً: التضحية من أجل الحرية.

ثالثاً: من أجل رفع الظلم.

الخاتمة

وتشتمل على:

أولا: أهم النتائج.

ثانيا: أهم التوصيات.

التمهيد

التضحية والألفاظ المقاربة والمقابلة لها في القرآن الكريم

أولاً: تعريف التضحية لغة واصطلاحاً.

1- تعريف التضحية لغةً:

التضحية مشتق من الفعل (ضَحَى) قال ابن فارس: "الضاد والحاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على بُروز الشيء، فالضَّحَاء: امتداد النَّهار، وذلك هو الوقت البارز المنكشف. ثمَّ يقال للطعام الذي يُؤكل في ذلك الوقت ضَحاء"[1]، وأضاف ابن منظور: "وضَواحي الإنسان ما بَرَزَ منه للشمس كالمَنْكِبَيْن والكَتِفَيْن... والضَّواحي من النَّخْلِ ما كان خارِجَ السُّورِ صِفةٌ غالبة"[2]،

وقال أحمد عمر* في معجمه: "ضحَّى بماله: تبرَّع به دون مقابل"[3]، وفي المعجم الوسيط ما يقارب هذا المعنى، ولكنَّه أشار إلى حداثة المفهوم الجديد لكلمة التضحية: "ضحى بِالشَّاة وَنَحْوهَا ذَبحهَا فِي الضُّحَى يَوْم عيد الْأَضْحَى... وبنفسه أَو بِعَمَلِهِ أَو بِمَالِه: تبرع بِهِ دون مُقَابل (محدثة)"[4]

أمَّا المغربي* فقد رفض استعمال لفظة التضحية في مجال الفصاحة والبلاغة؛ ولكنَّه اعترف بقوة اللفظة، فقد قال: "مع اعترافي بأنَّ هذا التجنب أصبح عسيراً جداً بعد أن تمكنت كلمة "التضحية" وتبوأت المكان الأرفع من كل لسان، ولم ينجُ من استظراف استعمالها إنسان، حتى ولا أمراء الفصاحة والبيان"[5]، وختم المغربي كلمته: "إنَّني لا أمنع استعمال "التضحية" من حيث قواعد اللغة العربية ومجازاتها، وإنَّما أمنعها من حيث قواعد فصاحتها وبلاغتها"[6].

---

(1) مقاييس اللغة (391/3).

(2) لسان العرب (481/14).

* أحمد مختار عمر: ولد بالقاهرة سنة (1933م)، حصل على الدكتوراة في علم اللغة، عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة وليبيا، له قرابة خمسة وعشرين مؤلفاً منها: البحث اللغوي عند العرب، علم الدلالة، وغيرها. ينظر: نسيرة، أحمد مختار عمر- عاشق العربية وخادم القرآن.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة (1349/2).

(4) مصطفى وآخرون (ص535).

* عبد القادر المغربي: ولد بطرابلس الشام سنة (1867م)، وأصله من تونس، انتخب عضواً عاملاً بالمجمع العلمي العربي، فنائباً للرئيس، اختير عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي، توفي بدمشق سنة (1956م)، من آثاره: الاشتقاق والتعريب، الاخلاق والواجبات، ينظر: كحالة، عمر، معجم المؤلفين (306/5).

(5) المغربي، التضحية بمعنييها الفصيح والعامي (49/12).

(6) المرجع السابق (49/12).

يتبين مما سبق أنَّ لفظة التضحية من حيث المدلول اللُّغوي قد طرأ عليها معاني مستحدثة، لم تكن موجودة في كتب الأقدمين، فأصبحت تحمل معاني البذل والعطاء والفداء والجهاد، وقد استُعمِلت الكلمة في هذا المعنى من قِبَلِ كبار علماء اللغة والتفسير والأدب والشعر وغيرهم، مما أضاف لمعنى الكلمة رونقاً وبلاغةً وجمالاً.

2- تعريف التضحية اصطلاحاً.

تبيَّن من خلال المبحث السابق أنَّ الدلالة اللُّغوية لكلمة التضحية قد اتَّسعت في القواميس الحديثة، ونتيجة لذلك اتَّسع أيضاً مفهوم التضحية الذي كان مقتصراً على التضحية بالأنعام في عيد الأضحى، ليشمل معاني التضحية بالنفس والمال والوقت وغيرها من المجالات؛ لذلك فإنَّ المفهوم الاصطلاحي بالمعنى الشامل للتضحية لم يأخذ حظه مثل باقي المصطلحات في كتب الأقدمين باعتبار أنَّ اللفظة محدثة، مما دفع باتجاه البحث في الكتب الحديثة لبعض العلماء المحدثين للوقوف على التعريف الاصطلاحي لكلمة التضحية بمعناها الشامل.

وكان الشيخ الشهيد حسن البنَّا-رحمه الله تعالى- قد عرَّف التضحية بقوله هي: "بذل النفس والمال والوقت والحياة

وكل شيءٍ في سبيل الغاية"[1]، وقيل هي: "بذل كل ما نملك وما نستطيع من أجل حماية الدين والوطن والأرض والعِرْضِ والأمة الإسلامية"[2].

وتعريف التضحية في نظر الباحث: هي تخلي المضحِّي عمَّا هو غالٍ ونفيس[3]؛ لأجل ما هو أنفس، ويختلف هذا التعريف عما سبقه بعدة أمور:

أ- يشتمل هذا التعريف على أركان التضحية الثلاثة وهي: المضحِّي، والمضحَّى به، والمضحَّى لأجله.

ب- يتجنب هذا التعريف التعدد في المضحَّى به، فالنفس والأهل والمال والوقت والجهد وغيرها إمَّا غالية ماديا، أو نفيسة معنويا.

---

(1) حوى، في آفاق التعاليم (ص113).

(2) عبد العزيز، التضحية والفداء في الإسلام (ص3).

(3) النفيس من النفس بمعنى الروح، وسميت النَّفْسُ نَفْساً لتولّد النَّفَس منها، وتطلق على الدم؛ لأَن النَّفْس تخرج بخروجه، ومن معانيها العَظَمَةُ، الكِبر، العِزَّة، الهِمَّة، عين الشيء وكُنْهُه وجَوْهَره، والأَنَفَة، الفَرَج من الكرب، وشيء نَفِيسٌ أَي: يُتَنافَس فيه، ونَفُسَ الشيء فهو نَفِيسٌ أي: رَفُعَ وصار مرغوباً فيه، وهذا أَنْفَسُ مالي أَي أَحَبُّه وأَكرمه عندي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب (6/234-238).

ج- يتجنب هذا التعريف التعدد في المضحَّى لأجله، واختصره الباحث في كلمة أنفس، فالعقل يقضي بأنَّ الإنسان لا يضحِّي بشيء إلا إذا كان المضحَّى لأجله أنفس منه، فالمسلم الذي يضحِّي بروحه وماله وغير ذلك من الأمور الغالية والنفيسة، فإنه في المقابل ينتظر أجراً أنفس مما ضحَّى به، مثل: الحصول على رضوان الله تعالى، والنجاة من النار، ودخول الجنة.

د- استخدم الباحث لفظتي غالٍ ونفيس في المضحَّى به، بينما اقتصر على لفظة أنفس في المضحَّى لأجله؛ وذلك لأنَّ التضحية تكون بما هو مادي أو معنوي في سبيل ما هو معنوي، ولا تكون التضحية بالمعنوي لأجل المادي، فهذا ليس من التضحية بشيء، ومثال ذلك الذي يضحِّي بعِرْضِه ووطنه من أجل المال، فهذه خيانة وليست تضحية.

ثانياً: العلاقة بين المعنى اللُّغوي والمعنى الاصطلاحي.

إنَّ المعنى الاصطلاحي لكلمة التضحية مأخوذ مباشرة من المعنى اللُّغوي، حيث إنَّ المعنى اللُّغوي يشير إلى ذبح الأنعام يوم الأضحى وأيام التشريق قربةً لله تعالى، ومن خلال هذه الشعيرة يستشعر المسلمون في جميع أنحاء العالم معاني بذل المال والوقت والجهد والتعب من أجل الله تعالى، ثم أخذت كلمة التضحية معنى أعظم من ذلك ألا وهو التضحية بالنفس باعتبار أنَّ الذي يُضحَّى من أجله هو الله ﷻ.

يقول المغربي: إنَّ تعبير ضحَّى فلان في سبيل كذا، ولابُدَّ من التضحية في سبيل كذا، أسلوب دخيل ولا مانع يمنع من قبوله في لغتنا العربية... وطريقة إرجاع تعبير "التضحية" إلى لغتنا الفصيحة أن يقال: إنه مجاز. فقولنا ضحَّى فلان بماله في سبيل بلاده بمعنى أنّه أهلك ماله لينجو وطنه من الاستعباد كما يهلك المؤمن بهيمته لينجِّي نفسه من العقوبة الإلهية. فالبهيمة هلكت في سبيل الخلاص الديني، والمال هلك في سبيل الخلاص الوطني [1].

ومن ناحية أخرى، فإنَّ من أكثر الدلالات اللُّغوية لكلمة التضحية هي معنى البروز والظهور، فلعلَّ الإنسان المضحِّي بنفسه وماله ووقته وجهده وغير ذلك من الأمور هو إنسان ظاهر على أقرانه، بارز في مكانته، فالتاريخ يُخَلِّد ذكرى الأشخاص الذين يضحُّون بأنفسهم وأموالهم وجهدهم وأوقاتهم في سبيل فكرة أو غاية، وذلك بِغَضِّ النظر عن نوع هذه الفكرة أو توجهها، فالعلماء- سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين- فئة ظاهرة ومرموقة في المجتمع، وهم قد تحصلوا على ذلك بتضحيتهم بأموالهم ووقتهم وجهدهم في سبيل العلم؛ لذلك تبقى أسماؤهم في ذاكرة التاريخ، وكذلك الذي يضحِّي بدمه وروحه يبرز شأنه، وتظهر مكانته في المجتمع،

(1) ينظر: المغربي، التضحية بمعنييها الفصيح والعامي (48/12).

ولذلك تحتفظ كل أمَّة من الأمم بأسماء الأشخاص الذين قدَّموا أعمارهم وأوقاتهم وجهدهم من أجل الدين والوطن.

ثالثاً: الألفاظ المقاربة والمقابلة للتضحية في القرآن الكريم.

لم ترِدْ لفظة التضحية في القرآن الكريم، وإنَّما وردت ألفاظ مقاربة أو مقابلة لها، وسوف يتعرض الباحث لأبرز هذه الألفاظ:

1- الألفاظ المقاربة:

أ- الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التوبة:88]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:52].

الجهاد لغةً:

كلمة الجهاد مشتقة من الفعل جهد، قال ابن فارس: "الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه، يقال جهدت نفسي وأجهدت، والجهد الطاقة" [(1)]، "والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يقال: جهدت رأيي وأجهدته: أتعبته بالفكر، والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو"[(2)].

الجهاد اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق"[(3)]، وقيل هو: "بذل الجهد في قتال الكفار أو البغاة"[(4)]، قال حوَّى* معلقاً على لفظتي التضحية والجهاد: "هناك فارق إلى حد ما

---

(1) مقاييس اللغة (486/1).

(2) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن (198/1).

(3) التعريفات (ص107).

(4) الصنعاني، سبل السلام (41/4).

* سعيد حوى: ولد بسوريا، درس الشريعة، من أبرز الدعاة الإسلاميين، أهم مؤلفاته: الأساس في التفسير، الأساس في السُّنَّة، وغيرها، مات سنة (1989م)، ينظر: يوسف، تتمَّة الأعلام للزركلي (ص207-208).

بين الجهاد والتضحية فأحياناً يتطابقان وأحياناً يتكاملان... فقد يجاهد المجاهد حتى إذا جاء دور بذل الروح تردد، وقد يجاهد المجاهد بالوقت ويضحي بالمال ولكنه لا يضحي بالحياة"[1].

ومن خلال تعريف الجهاد في اللُّغة والاصطلاح يتبين مدى التقارب بينه وبين التضحية، فكِلا المصطلحين يشتمل على بذل الجهد والمشقة.

ب- الفداء:

قال الله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107]، وقال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج:11]، وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد:4].

الفداء لغةً:

كلمة الفداء مشتقة من الفعل فدى، وفَدَيْتُه فِدًى وفِداء وافْتَدَيْتُه، والمُفاداةُ أَن تدفع رجلاً وتأْخذ رجلاً، والفِداء أَن تَشتريه، فَدَيْته بمالي فِداء وفَدَيْتُه بِنَفْسي، والفِداء فَكاكُ الأَسير يقال فَداه يَفْدِيه فِداءً وفَدًى وفاداهُ يُفاديه مُفاداة إِذا أَعطى فِداءه وأَنقذه، فَداه بنفسه وفدَّاه إِذا قال له جُعلت فَداك، وقوله ﷻ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107]، أَي: "جعلنا الذِّبح فِداءً له وخَلَّصناه به من الذَّبح"[2]، والفدية ما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادةٍ قصَّر فيها[3].

الفداء اصطلاحاً:

الفداء هو: "أن يترك الأمير الأسير الكافر ويأخذ مالاً أو أسيراً مسلماً في مقابلته"[4]، وقيل هو: "ما يجعل بدل الشيء لينزل على حاله التي كان عليها وسواء كان مثله أو أنقص"[5].

ومن خلال التعريف اللُّغوي والاصطلاحي لكلمة الفداء، بات واضحاً قرب المعنى من كلمة التضحية، فكلتاهما تحمل معنى بذل المال والنفس في سبيل غاية.

---

(1) في آفاق التعاليم (ص114).
(2) ابن منظور، لسان العرب (150/15).
(3) ينظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (181/2).
(4) الجرجاني، التعريفات (ص212).
(5) العسكري، الفروق اللغوية (ص399).

ج- العطاء:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل:5-7]، وقال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ [الإسراء:20].

العطاء لغةً:

العطاء مشتق من (عطو) العين والطاء والحرف المعتلُّ أصلٌ واحد صحيحٌ يدلُّ على أَخْذٍ ومُناوَلة[1]، وأَصل العطاء عَطاو بالواو من عَطَوْت، فالعرب تَهْمِزُ الواوَ إذا جاءت بعد الأَلف[2]، وأعطى بمعنى بذل ماله[3]، والعَطاء بمعنى الهبة، وهي ما يُعْطَى بدون مقابل[4].

العطاء اصطلاحاً:

قال ابن العربي* العطاء هو: "عبارة عن كل نفع أو ضر يصل من الغير إلى الغير"[5]، والعطاء ليس محصوراً في المال بل يشمل وجوهاً كثيرة، "لفظ العطاء ينطلق في كل معنى: مال وغيره" [6]، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:20]، أي: "من عطاء ربك من الطاعات لمريد الآخرة والمعاصي لمريد العاجلة، فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد من خيرٍ أو شرٍ"[7]، وعطاء الله ﷻ على وجهين: خاص وعام، "فأما العطاء الخاص فالتوفيق والعصمة واليقين، وأما العطاء العام فالصحة والنعمة والفراغ والأمن"[8].

---

(1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (353/4).

(2) ابن منظور، لسان العرب (69/15).

(3) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (287/6).

(4) ينظر: أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (1518/2).

* هو: محمد بن عبد الله ابن العربيّ ، ولد في إشبيلية سنة (1076م) رحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وَلِيَ قضاء إشبيلية، من أهمِّ كتبه: العواصم من القواصم، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، أحكام القرآن وغيرها، مات بقرب فاس، ودفن بها سنة (1148م)، ينظر الزركلي، الأعلام (230/6).

(5) أحكام القرآن (87/8).

(6) المرجع السابق، (477/5).

(7) أبو حيان، البحر المحيط (29/7).

(8) السمرقندي، بحر العلوم (112/2).

ويتبين مما سبق أنَّ لفظة العطاء إذا أضيفت إلى لفظ الجلالة فهي لا تحمل معنى التضحية؛ لأنه ﷻ هو الذي يُضحَّى من أجله، أمَّا إذا أضيفت للإنسان، فتحمل حينها معنى التضحية، فالإنسان عموماً عندما يعطي من ماله أو وقته أو جهده فلابُدَّ أنَّ يكون من ورائه هدف وغاية، فالمؤمن يبتغي بذلك العطاء رضوان الله ﷻ، وأما غيره فتكون وراءه أهداف ذاتية، وبذلك يتبين قرب المعنى بين لفظتي التضحية والعطاء.

د- الإيثار:

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:9]

الإيثار لغةً:

الإيثار مصدر من الفعل آثر، "الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء"[1]، وآثَرَه أكرمه، وآثَرَه عليه فضله، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:91]، وأَثِرَ أَن يفعل كذا أَثَراً، وأَثَر وآثَرَ كله فَضّل وقَدّم، وآثَرْتُ فلاناً على نفسي من الإيثار، والأَثَرَة الاسم من آثَرَ يُؤْثِر إِيثاراً إذا أَعْطَى[2].

الإيثار اصطلاحاً:

الإيثار هو: "أن يقَدِّم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوَّة"[3]، والإيثار أعلى رتبةً من السخاء والجود، فمنزلة السخاء هي أن لا ينقصه البذل، ولا يصعب عليه، وأمَّا منزلة الجود أن يعطي الأكثر، ويبقي له شيئاً، أو يبقي مثل ما أعطى، وأمَّا الإيثار فهو أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه[4]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإيثار لا يكون في أمور الدين والقُرَب، قال ابن القيم: "كل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله، فلا تؤثر به أحدًا، فإن آثرت به فإنَّما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم"[5].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة (53/1).

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (5/4).

(3) الجرجاني، التعريفات (ص59).

(4) ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين (292/2).

(5) المرجع السابق، (298/2).

ومن خلال التعريف اللُّغوي والاصطلاحي للفظة الإيثار، يتبين مدى العلاقة بينها وبين لفظة التضحية، حيث إنَّ كلتا اللفظتين تحمل معنى تقديم ما يُمْلَك في سبيل غاية أو هدف، وتقديم مصلحة الغير على النفس.

هـ- الهَدِيَّة:

قال الله تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل:35-36].

الهَدِيَّة لغةً:

لفظ الهدية مشتق من هدى، الهاء والدال والحرف المعتلّ لها أصلانِ: أحدهما التقدُّمُ للإرشاد، والآخر بَعَثَة لَطَفٍ، فالأوَّل قولُهم: هدَيتُه الطَّريق هِدايةً، أي تقدّمتُه لأرشدَه، والأصل الآخر الهَدِيّة: ما أهدَيْتَ من لَطَف إلى ذي مَودَّة. يقال: أهدَيْتُ أُهدِي إهداءً، والهَدْي والهدِيّ: ما أُهدِيَ من النَّعَم إلى الحَرَم قُربةً إلى الله تعالى، يقال هَدِيٌّ وهَدْيٌ[1]، والهُدى ضدّ الضلال، وهو الرَّشاد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل:12] أي: "إنَّ علينا أَنْ نُبَيِّنَ طريقَ الهُدَى من طَرِيق الضَّلال"[2].

الهَديَّة اصطلاحاً:

عرَّف الجرجاني الهدية بقوله: "ما يؤخذ بلا شرط الإعادة"[3]، وقال الراغب: "والهديَّة مختصة باللطف الذي يهدي بعضنا إلى بعض"[4]، والهديَّة ما بعثته لغيرك إكراماً، أمَّا الهَدْي فهو اسمٌ لما يُتَّخَذُ فداءً من الأنعام بتقديمه إلى الله تعالى، وتوجيهه إلى البيت العتيق[5].

ويتبيَّن ممَّا سبق، أنَّ كُلَّاً من لفظتي الهديَّة والتضحية تحمل معنى بذل المال دون مقابل، فالمُهدِي يتقرب إلى المُهدَى إليه، والمُضَحِّي يتقرب إلى المضَحَّى إليه.

---

(1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (31/6).

(2) ابن منظور، لسان العرب (354/15).

(3) التعريفات (ص82).

(4) مفردات ألفاظ القرآن (473/2).

(5) يُنظَر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص343).

2- الألفاظ المقابلة:

أ- الهلع:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: 19-21].

الهلع لغةً:

"الهاء واللام والعين: يدلُّ على سُرعةٍ وحِدَّة،... الهَلَعُ في الإنسان: شِبْه الحِرْص"[1]، "والهَلَعُ الحِرْصُ، وقيل: الجَزَعُ وقِلّةُ الصبرِ، وقيل: هو أَسْوأُ الجَزَعِ وأَفْحَشُه،... والهَلَعُ والهُلاعُ والهَلَعانُ الجُبْنُ عند اللِّقاءِ"[2]، "واخْتُلِفَ في تَفْسِيرِ الهَلُوع فقيلَ: هُوَ مَنْ يَجْزَعُ ويَفْزَعُ منَ الشَّرِّ، وقيلَ: هُوَ الّذِي يَحْرِصُ ويَشِحُّ على المالِ"[3]، وكلمة هلوعاً تحمل ستة معانٍ منها البخيل والحريص، بمعنى إذا استغنى منَع حقَّ اللَّه وشحَّ، وإذا افتقر سأل وألحَّ[4].

الهلع اصطلاحاً:

إنَّ المعنى الاصطلاحي لكلمة الهلع لا يخرج كثيراً عن المعنى اللُّغوي، فكلمة هلوع تعني "شديد الحرص قليل الصبر"[5].

ويتبين مما سبق أنَّ لفظة الهلع تقابل لفظة التضحية؛ لكون الأولى تحمل معاني البخل والشُّح والجزع والضجر والجُبْن، أمَّا التضحية فتحمل معاني الكرم والجود والبذل والعطاء.

ب- البخل.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرًا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [آل عمران: 180].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة (46/6).

(2) ابن منظور، لسان العرب (375/8).

(3) الزبيدي، تاج العروس (405/22).

(4) يُنظَر: الماوردي، النكت والعيون (94/6).

(5) الكفوي، الكليات (ص963).

البخل لغةً:

قال ابن فارس: "الباء والخاء واللام كلمة واحدة، وهي: البُخْل والبَخَلُ، ورجلٌ بخيلٌ وباخلٌ، فإذا كان ذلك شأنَه فهو بخَّالٌ"[1]، وقال ابن منظور: "والبَخْل والبُخول ضد الكرم، وقد بَخِلَ يَبْخَل بُخْلاً وبَخَلاً فهو باخل ذو بُخْل والجمع بُخَّال"[2].

البخل اصطلاحاً:

عرَّف الجرجاني البخل، فقال: "هو المنع من مال نفسه"[3]، وقيل: "البخل والحسد مشتركان في أنَّ صاحبهما يريد منْع النعمة عن الغير، ثم يتميز البخيل بعدم دفع ذي النعمة شيئاً، والحاسد يتمنى أن لا يُعْطَى لأحد سواه شيئاً"[4].

والعلاقة بين لفظة التضحية والبخل هي علاقة تقابل، فبينما يتميز المضحِّي بالبذل والعطاء والكرم والجود، في المقابل يُوصَف البخيل بالمنع والإمساك والشُّح.

ج- الشُّح:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن:16].

الشُّحُّ لغةً:

قال ابن فارس: "الشين والحاء الأصل فيه المنع، ثم يكون منعاً مَعَ حِرص، من ذلك الشُّحُّ، وهو البُخل مع حِرص، ويقال تَشَاحَّ الرّجلانِ على الأمر، إذا أراد كلٌّ واحدٍ منهما الفوزَ به ومنْعَه من صاحبه"[5]، وهناك فرقٌ واضحٌ بين الشُّحِّ والبخل، فالشُّحُّ هو أَشدُّ أنواع البخل، وقيل: إنَّ البخلَ بالمال، والشُّحَّ بالمال والمعروف[6].

---

(1) مقاييس اللغة (201/1).

(2) لسان العرب (47/11).

(3) التعريفات (ص63).

(4) الكفوي، الكليات (ص242).

(5) مقاييس اللغة (138/3).

(6) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (495/2)، وينظر: الزبيدي، تاج العروس (498/6).

الشُّحُّ اصطلاحاً:

عرَّف الجرجاني الشُّحَّ بأنه: "بخل الرجل من مال غيره"[1]، وقيل هو: "إفراط في الحرص على الشيء، ويكون بالمال وبغيره من الأغراض"[2]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدَاً)**[3]، أي: "الشُّح حالة غريزة جُبِلَ عليها الإنسان، فهو كالوصف اللازم له، ومركزها النفس، فإذا انتهى سلطانه إلى القلب، واستولى عليه، عَرِيَ القلب عن الإيمان؛ لأنَّه يشحُّ بالطاعة فلا يسمح بها، ولا يبذل الانقياد لأمر الله تعالى"[4].

(1) التعريفات (ص62).

(2) العسكري، الفروق اللغوية (ص296).

(3) [النسائي: سنن النسائي، كتاب الجهاد/باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ص479: رقم الحديث 3110]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن النسائي (373/2).

(4) العسكري، الفروق اللغوية (ص296).

الفصل الأول

مجالات التضحية في القرآن الكريم

المبحث الأول

التضحية بالنفس البشرية

سيبدأ الباحث الحديث– إن شاء الله تعالى– عن المجال الأول للتضحية، ألا وهو التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى؛ لكونها أعظم المجالات تضحيةً، وأكثرها أجراً عند الله ﷻ، وأكثرها جرأةً وشجاعةً في ميادين القتال، موضحاً المراد من التضحية بالنفس، سواء كان ذلك في مجال الدعوة، أو في مجال الجهاد، مستشهداً ببيعة الرضوان كنموذج.

المطلب الأول: مفهوم التضحية بالنفس.

خلق الله ﷻ الإنسان، وأودع فيه الكثير من الغرائز التي تحافظ على كينونته واستمراريته، ومن هذه الغرائز غريزة حُبِّ النفس التي من خلالها يحافظ الإنسان على نفسه، ويحميها من المخاطر والأذى، وهذه الغريزة من فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها.

وتُعدُّ المحافظة على النفس من الضروريات التي يجب المحافظة عليها، يقول الشاطبي*: "اتفقت الأمة– بل سائر المِلل– على أنَّ الشريعة وُضِعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدِّين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"[1].

وبالرغم من حُبِّ الإنسان لنفسه وذاته، إلَّا أنَّ ثمة أمورٍ أعظم من ذلك، تدفع الإنسان إلى تعريضها للهلاك في سبيل غاية عظمى من وجهة نظر المضحِّي، فالإنسان المؤمن– على سبيل المثال– تكون محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ أعظم من محبته لنفسه، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: 165]، وجاء في السنة ما يؤكد هذا الأمر، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ** قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ**

---

* هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، محقق، فقيه، أصولي، مفسر، محدث، له مؤلفات نفيسة، منها الموافقات، والاعتصام في الحوادث والبدع، وأصول النحو وغيرها، توفي سنة (790هـ)، ينظر: المراغي، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (2/204–205).

(1) الموافقات (1/31).

** هو: عَبْدُ الله بن هِشَام بن عُثْمان بن عَمْرو القُرَشِيّ التَّيْمِيّ، وكان مولده سنة أربع، ذَهَبَتْ به أُمّه زَيْنَبُ بنت حُمَيد إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، بايعه، فقال رسول الله ﷺ: (هو صَغِير)، فمسح رأسه، ودعا له بالبركة، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (3/421).

إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ) فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(الْآنَ يَا عُمَر)**[1].

ويتبين من ذلك أنَّ النفس ليست أغلى ما يملك الإنسان، بدليل أنَّ هناك أموراً أعظم منها يضحِّي الإنسان في سبيلها، وتختلف هذه الأمور من شخص إلى آخر، ومن ملَّة إلى أخرى، فمن الناس مَنْ يضحِّي مِنْ أجل دينه أو وطنه، وإنْ كان على ملة الكفر؛ لأنَّ دينه أو وطنه في هذه الحالة يكون هو الغاية العظمى في نظره، وكذلك التضحية بالنفس من أجل الكرامة وحفظ العِرْض، والتضحية بالنفس من أجل الأولاد وغير ذلك.

وقد سمَّى الله تعالى الذين يضحون بأنفسهم في سبيله بأنهم شهداء، وصنَّفهم ضمن أفضل وأرقى قائمة بشرية على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: 69]، "وتسمية هذا النمط الرفيع من المؤمنين باسم "الشهداء" جاءت من أنهم أعطوا الدليل بتضحيتهم، وبذل أرواحهم في سبيل دينهم، على صدق إيمانهم، وحماسهم لعقيدتهم، وبذلك جاوزوا العتبة، وأصبحوا فوق متناول الشبهات، كما أنهم بتضحيتهم بأنفسهم أعطوا الدليل أيضاً على أنَّ العقيدة الإسلامية إذا خالطت بشاشتها القلوب تفعل بمعتقديها الأعاجيب، وترفع نفوسهم إلى درجةٍ عليا من السمو والإيثار والتفاني والإخلاص، بحيث يهون عليهم في سبيلها كل غالٍ ورخيصٍ، ويجودون من أجلها بالنفس والنفيس"[2].

والتضحية بالنفس– وإن كانت أعظم أنواع التضحيات– ليس بالضرورة أن تتحقق عن طريق الموت فقط؛ لأنَّ مجالات التضحية كثيرة ومتنوعة؛ لذلك يمكن القول بأنَّ المراد من التضحية بالنفس البشرية: هو تعريضها لمظان الهلاك والمشقة في سبيل غاية عظمى.

المطلب الثاني: التضحية بالنفس في الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى.

أمَرَ الله ﷻ عباده المؤمنين بالجهاد والقتال في سبيله في مواضع كثيرة من كتابه الحكيم، قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 244]،

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور/باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ص1267: رقم الحديث 6632].

(2) الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (172/7).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 76].

ومعلومٌ أنَّ الجهاد في سبيل الله تعالى هو أعظم أمور الدِّين بعد الإيمان بالله ﷻ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: **(إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **(الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **(حَجٌّ مَبْرُورٌ)**[1]، وتزخر السنة النبوية بالأحاديث التي تحضُّ على الجهاد في سبيل الله تعالى وترغِّب فيه.

فإذا عزم الإنسان على فعل أمرٍ ما، مهما كان بسيطاً، فإنَّه يستعدُّ له، ويهيئ نفسه لذلك الأمر؛ لذلك فإنَّ المسلمين مأمورون بإعداد كل ما يستطيعون من عوامل القوة والتمكين، قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: 60]، "فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والنَّص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخصُّ رباط الخيل؛ لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة، ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجدُّ مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- والمهم هو عموم التوجيه"[2].

فالإعداد للجهاد يأخذ حكم الجهاد نفسه، لأنَّ القاعدة الأصولية المشهورة تقول: "مالا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب"[3]، فالجهاد لا يمكن أن يحقق غايته بدون الإعداد الجيد، وكذا يمكن القياس على ذلك، فالمقاتل الذي يُقْتَلُ في طور الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى، لا يقلُّ مكانةً عن الذي يقتل في أرض المعركة، فكلٌ منهما جاهد في مرحلة ما من مراحل الجهاد.

وقد فسَّر النبي ﷺ المراد بالقوة في الآية السابقة، فعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ* ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: (﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: 60]،

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/باب من قال: إن الإيمان هو العمل، ص28: رقم الحديث 26].
(2) قطب، في ظلال القرآن (1543/3).
(3) الشوكاني، نيل الأوطار (231/2) .

* هو: عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني، روى عن النبي ﷺ كثيراً، كان قارئاً، عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً، كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن، شهد صفين مع معاوية، وأمَّره بعد ذلك على مصر، مات في سنة (58هـ)، ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (520/4).

أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)[1]، ويشير هذا الحديث إلى "فضيلة الرمي والمناضلة، والاعتناء بذلك بِنِيَّة الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، وكذا المسابقة بالخيل... والمراد بهذا كله التمرن على القتال، والتدرب والتحذق فيه، ورياضة الأعضاء"[2].

والرماية تتطور من عصر إلى عصر، وليست محصورة على النبال والرماح، فهي تشمل جميع أنواع الأسلحة الحديثة، وقد فصَّل السعدي* في المراد من القوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] فقال: "كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك، مما يُعِين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع، والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأْي، والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير"[3].

وفي سياق آخر، ذمَّ الله تعالى المنافقين لعدم استعدادهم للجهاد، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: 46]، أي: لو كانوا صادقين فيما يَدَّعُونَهُ من أنهم يريدون الجهاد معك، لَمَا تركوا إعداد العُدَّة من الزاد، والراحلة، والسلاح التي يُحتاج إليه في حالة القتال، وهذا يعني أنهم لم يريدوا الخروج أصلاً، ولم يستعدوا للغزو[4].

إنَّ الإعداد للجهاد ليس أمرًا سهلاً، فهو يحتاج إلى التضحيات والصبر والمصابرة وطول النفس، وقد يتعرض أهله فيه من البلاء والقرح والشدائد ما قد يفوق ما يتعرض له المجاهد في ساحات الوغى من المهالك والمتالف، وما تعرض إليه الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين في

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/باب فضل الرمي والحث عليه، ص795: رقم الحديث 1917].

(2) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (64/13).

* هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: ولد في عنيزة (بالقصيم) في نجد سنة (1307هـ)، مفسر، من علماء الحنابلة، له العديد من المؤلفات منها: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القواعد والأصول الجامعة، وغيرها، توفي في مسقط رأسه سنة (1376هـ)، ينظر: الزركلي، الأعلام (340/3).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص324).

(4) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (418/2).

مكة من الابتلاءات دليلٌ على أنَّ جهاد التربية والإعداد يحتاج إلى صبرٍ وتضحيةٍ واستعلاءٍ على حُبِّ الراحة والسلامة لا يقلُّ عن الصبر على قتال الأعداء[1].

يقول الخطيب*: "من أعان في إعداد أدوات الحرب، ومئونة الجيش فقد غزا، ومن قام على خدمة من خلّف المجاهدون وراءهم من أهل وولد، فهو في المجاهدين... وهكذا كل عمل يقوّى من جبهة المجاهدين هو من الجهاد المبرور المقبول عند الله تعالى"[2].

ويتبين مما سبق أنَّ أهمية الإعداد للمعركة لا تقلُّ عن أهمية المعركة نفسها، فمرحلة الإعداد تشتمل على أمورٍ كثيرة خطيرة تحتاج إلى إيمان ويقين وصبر، وأحياناً يتعرض المجاهدون للموت حتى قبل أن تبدأ المعركة، فهناك الكثير من الإعدادات التي تُمَثِّل خطراً مباشراً على حياة المجاهد؛ لذلك يلقى مجاهدو الإعداد من الشدة والابتلاء مثل ما يلاقيه المجاهدون في ساحات القتال وربما أكثر.

المطلب الثالث: التضحية بالنفس في الجهاد في سبيل الله تعالى.

عندما كتب الله ﷻ القتال على أمَّة محمدٍ ﷺ، كان يعلم ﷻ حقيقة النفس البشرية، من كراهيتها للموت وحُبِّها للحياة، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

يقول الألوسي: "ثم كون القتل مكروهاً لا ينافي الإيمان؛ لأنَّ تلك الكراهية طبيعية لما فيه من القتل والأسر وإفناء البدن وتلف المال"[3]؛ لذلك لا يمكن للإنسان المسلم أن يتجاوز مرحلة كره القتال إلى محبته إلا إذا تغلغل الإيمان في أعماق قلبه.

---

(1) ينظر: عبد العزيز الجليل، التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة (ص133).

* عبد الكريم محمود يونس الخطيب، ولد في صعيد مصر سنة 1328هـ، مفكر إسلامي، مفسر، عمل مديراً في وزارة الأوقاف المصرية، ثم عمل في كلية الشريعة في الرياض، له العديد من المؤلفات الدينية والأدبية، ومئات المقالات في الصحف المصرية والعربية، توفي سنة (1406هـ)، ينظر: محمد يوسف، تتمة الأعلام، (317/1).

(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (217/1).

(3) روح المعاني (501/1).

إنَّ قوة الإيمان في النفس هي التي تدفع الإنسان إلى التضحية بالعمر الفاني المحدود في سبيل الحياة الكبرى التي لا تفنى[1]، والمؤمن يعلم يقيناً أنَّ جهاده وقتاله في سبيل الله تعالى لن يضيع هباءً، بل سيحقق له إحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة.

فالنفس لا تضحِّي ولا تبذل ولا تعطي إلا إذا عولجت من داخلها، وأدركت قيمة وفائدة التضحية والبذل والعطاء، وذلك لا يتم بسهولة ويسر، وإنما لابد له من جهد[2]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ [التوبة: 111]، "يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِلَ العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له"[3].

"مَثَّلَ سبحانه إثابة المجاهدين بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشراء،... فهؤلاء المجاهدون باعوا أنفسهم من الله بالجنة التي أعدَّها للمؤمنين، أي: بأن يكونوا من جملة أهل الجنة، وممن يسكنها، فقد جادوا بأنفسهم، وهي أنفس الأعلاق[4]، والجود بها غاية الجود"[5]، ومعنى يشري نفسه: يبيع نفسه، أي: يُقْدِمُ على التضحية بنفسه[6]، وقيل: "يشري هنا بمعنى يبيع نفسه، والذي يبيع نفسه هو الذي يفقدها بمقابل، والإنسان عندما يفقد نفسه فهو يضحِّي بها، وعندما تكون التضحية ابتغاء مرضاة الله فهي الشهادة في سبيله ﷻ، كأنَّه باع نفسه، وأخذ مقابلها مرضاة الله تعالى"[7]، وقد أنشد مسلم بن الوليد* قائلاً:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَبَانُ بِهَا... وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ[8]

---

(1) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (3353/6).

(2) ينظر: نوح، آفات على الطريق (19/1).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (218/4).

(4) أعلاق جمع، والمفرد علق بالكسر، وهو النفيس من كل شيء، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص1176).

(5) الشوكاني، فتح القدير (463/2).

(6) ينظر: دروزة، التفسير الحديث (362/6).

(7) الشعراوي، الخواطر (ص539).

* هو: مسلم بن الوليد الأنصاري، مولى أسعد بن زرارة الخزرجي، شاعر كوفي نزل بغداد، وكان مداحاً مفوهاً بليغاً، وهو أول من أكثر من البديع، ينظر: الخطيب، تاريخ بغداد (116/15)، والزركلي، الأعلام (223/7).

(8) البنا، ديوان مسلم بن الوليد (ص23).

إنَّ نفْس المؤمن عزيزةٌ وغاليةٌ عند الله تعالى، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو بنِ العَاصِ*- رضي الله عنهما- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **(لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)**[1]، ويجب أن يكون المقابل لهذه النفس ثمناً غالياً، يستحق التضحية من أجله، ولا تكون التضحية بالنفس إلا من أجل خالقها، فالله تعالى هو فقط الذي يستحق أن تُقدَّمَ له النفوس قرابين؛ لذلك فإن المؤمن مستعدٌ للتضحية والعطاء، ولا ينتظر أجراً إلا من الله تعالى، فالتضحية بالنفس في سبيل الله تعالى أعلى مراتب التضحية، ولا يضحِّي بنفسه إلا مَنْ ذاق حلاوة الإيمان.

المطلب الرابع: بيعة الرضوان.

قال الله تعالى: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: 18]، كان سبب بيعة الرضوان أنَّ رسول الله ﷺ أرسل عثمان بن عفان ﷺ برسالته إلى قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظنّ أنه قد قُتِل، فدعا أصحابه إلى البيعة، فبايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفرّوا، ولا يولوهم الدبر، وهذه البيعة سميت بيعة الرضوان[2]، وقد بايع أصحاب الشجرة الرسول ﷺ على ثلاثة أمورٍ هي: البيعة على الموت، وعلى الصبر، وعلى عدم الفرار، وذلك حسب تعدد الروايات، وهي كالتالي:

أولاً: البيعة على الموت، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ** قَالَ: "قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ***ﷺ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ"[3].

---

* هو: عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً حافظاً عالماً، قرأ الكتاب، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه فأذن له، كان يسرد الصوم، ولا ينام بالليل حتى شكاه أبوه إلى النبي ﷺ، مات بمكة، سنة (63هـ)، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (958/3).

(1) النسائي: سنن النسائي، كتاب تحريم الدم/باب تعظيم الدم، ص617: رقم الحديث 3987]، قال الألباني: صحيح، ينظر: الألباني، صحيح سنن النسائي (3/ 74).

(2) يُنظَر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (223/22).

** هو: يزيد بن أبي عبيد، مدني، من التابعين الثقات، حدَّث عن مولاه سلمة بن الأكوع، وثَّقه أبو داود، توفي سنة (147هـ)، يُنظَر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (206/6).

*** هو: سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، كان مِمّن بايع تحت الشجرة مرتين، سكن المدينة، كان شجاعاً، رامياً، مُحْسِناً، خَيِّراً، فاضلاً، قال فيه رسول الله ﷺ: (خير رَجّالتنا سَلَمة بن الأكوع)، توفي سنة (74هـ) بالمدينة، يُنظَر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (495/2).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/باب غزوة الحديبية، ص792: رقم الحديث 4169].

ثانياً: البيعة على الصبر، عَنْ نَافِعٍ* قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: رَجَعْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعْنَا تَحْتَهَا، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللهِ، فَسَأَلْتُ نَافِعًا: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعَهُمْ، عَلَى الْمَوْتِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ بَايَعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ"[1].

ثالثاً: البيعة على عدم الفرار، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ، وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَلاَ نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ"[2].

والناظر في هذه الروايات يَخْلُصُ إلى عدم وجود تعارض بينها؛ لأنَّ المبايعة على الموت في سبيل الله تعالى يعني الصبر، وعدم الفرار من أرض المعركة، ويتبين أنَّ الرابط بين هذه العناصر الثلاثة هو حبُّ التضحية والفداء من أجل الله تعالى، فالموت في سبيل الله تعالى يتربع على هرم التضحية، والصبر من مقوماتها، وعدم الفرار من آثارها.

---

*هو: نافع بن هرمز، مولى ابن عمر، سُبي وهو صغير، فاشتراه ابن عمرﷺ، وهو تابعي جليل، سمع سيده ابن عمر، وأبا هريرة، وغيرهم من الصحابة ﷺ، مُجْمَع على توثيقه وجلالته، قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، مات بالمدينة سنة (117هـ)، يُنظَر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات (424/2).

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/باب البيعة في الحرب أن لا يفروا، ص568: رقم الحديث 2958].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/باب استحباب مبايعة الإمام، ص775: رقم الحديث 1856].

المبحث الثاني

التضحية بالمال

سيتعرض الباحث – إن شاء الله تعالى– في هذا المبحث إلى المجال الثاني من مجالات التضحية، ألا وهو التضحية بالمال، فقد قرن الله ﷻ بين النفس والمال في عدة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة:111]، وسيذكر الباحث تسعة أوجه للتضحية بالمال كما يعرضها القرآن الكريم.

المطلب الأول: الإنفاق.

إنَّ الإنفاق في سبيل الله تعالى، وبذْل المال ابتغاء مرضاته، له أهمية كبيرة في الإسلام، فلا تقوم بدونه أسرة ولا دولة ولا أُمَّة، والتنويه به يتكرر في آيات كثيرة؛ لأنَّ المال قوام الأعمال، ولولا أنَّ المسلمين الأولين من سلفنا الصالح ﷺ استجابوا لله ورسوله، ولم يبخلوا بأموالهم ولا بأنفسهم في سبيل المِلَّة والأمة، لمَا ارتفع لواء الإسلام[1].

ولا شكَّ أنَّ إنفاق المال أمرٌ ثقيلٌ على النفس؛ لكونها مجبولةً على حُبِّه، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر: 20]، أي: "كثيراً شديداً مع الحرص والشَرَه ومنع الحقوق"[2]، والظاهر للإنسان أنَّه عندما ينفق من ماله في سبيل الله تعالى، فإنَّ هذا المال يقلُّ وينقص، وهذا مما يسوِّله الشيطان للإنسان؛ ولكنَّ الحقيقية غير ذلك تماماً، فالإنسان الذي ينفق من ماله ابتغاء مرضات الله تعالى، فإنَّه يُضاعَف له أضعافاً كثيرة، آجلاً في الأخرة، أو عاجلاً في الدنيا، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)**[3].

وقد اشترط الله ﷻ الحصول على البِرِّ بالإنفاق مما يحبه الإنسان ويريده لنفسه، قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: 92]، أي: "لن تنالوا، أيها المؤمنون، جنة ربكم ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾،

---

(1) ينظر: الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (6/ 170).

(2) الزمخشري، الكشاف (751/4).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب/باب استحباب العفو والتواضع، ص1042: رقم الحديث 2588].

يقول: حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوَوْن أن يكون لكم، من نفيس أموالكم"[1].

أتاح الإسلام الفرصة للمسلم الذي لا يستطيع الجهاد بنفسه أن ينال ثواب المجاهد؛ وذلك عن طريق بذل المال والتضحية به، فعن زَيْد بْنِ خَالِدٍ* ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)**[2].

والصدقة الجارية من أفضل طرق الإنفاق، وذلك لعموم الفائدة واستمراريتها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)**[3].

المطلب الثاني: الزكاة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 110].

الزكاة لغةً:

الزاء[4] والكاف والحرف المعتلّ أصلٌ يدل على معنيين هما: النَّماء والطهارة؛ لأنَّ الزكاة يُرجَى بها زَكاءُ المال، وهو زيادتهُ ونماؤه، وسمِّيت زكاةً لأنّها طهارة، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103] [5].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (587/6).

* هو: زَيْد بن خَالِد الجُهَنِيّ، يكنى أبو عبد الرحمن، سكن المدينة، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، توفي بالمدينة سنة (78هـ)، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (340/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/باب فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ، ص547:، رقم الحديث 2843].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الوصية/باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ص 670: رقم الحديث 1631].

(4) استخدم ابن فارس كلمة "الزاء" في معجمه؛ ومع ذلك قال في افتتاحية الحرف" كتاب الزاي"، وأمَّا غيره من علماء اللغة فقد استخدموا "الزاي" في معاجمهم منهم: ابن منظور، الزبيدي، الفيروزآبادي، الفراهيدي وغيرهم.

(5) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (17/3).

الزكاة اصطلاحاً: هي: "إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص"[1]، وقيل هي: "إعطاء جزء من النصاب إلى فقير ونحوه، غير متصف بمانع شرعي يمنع من الصرف إليه"[2]، والمقصود بإيتاء الزكاة هو: "إعطاؤها بطيب نفسٍ على ما فُرضت ووجبت"[3].

وتُعَدُّ الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، فعَن ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: **(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)**[4].

والزكاة هي أعظم وجه من أوجه التضحية بالمال، لكونها فريضة كتبها الله تعالى على المسلمين الأغنياء، والله ﷻ يحب من العبد التقرب إليه بالفرائض، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ اللهَ قَالَ: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ)**[5].

"إنَّ نظام الزكاة في الإسلام أهم نظام مالي يؤدي إلى خلق توازن بين طبقات المجتمع، فلا يزداد الغني غنىً، ولا الفقير فقراً، بل يجعل المال دولةً بين الجميع، ويُؤخَذ من الغني ليُعطَى إلى الفقير؛ حتى يكون لديه حد الكفاية والحاجة، فيعيش الجميع في ظل أمن وأمان، وحُبٍّ ووئام، بعيداً عن الحقد والبغض والحسد والشحناء"[6]، فالزكاة هي الحصن الواقي للأمَّة الإسلامية من أمراض القلوب، فهي طهارة للأغنياء من البخل والشح، وطهارة للفقراء من الحقد والحسد.

المطلب الثالث: ترك التجارة وقت الصلاة.

تُعَدُّ التجارة أحد أهم أنواع الكسب المشروع في الإسلام؛ لذلك اعتنى الإسلام بها، وحثَّ عليها؛ لأنَّها عصب الحياة الاقتصادية، ولا تستقيم أمور الناس بدونها، وقد أحلَّ الله البيع لعباده، قال الله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ**﴾ [البقرة: 275]، أي: "أحلّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع"[7]، وقد قرن الله ﷻ بين المجاهدين في سبيله والمسافرين للتجارة، قال الله تعالى:

---

(1) الجرجاني، التعريفات (ص152).

(2) الشوكاني، نيل الأوطار (169/4).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (505/2).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/باب دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ، ص25: رقم الحديث 8].

(5) المرجع السابق، كتاب الرقاق/باب التواضع، ص1247: رقم الحديث 6502].

(6) القره داغي، بحوث في فقه المعاملات المالية المعاصرة (ص7).

(7) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (13/6).

﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: 20]، والمقصود بالشطر الأول من الآية هم: المسافرون في الأرض الذين يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر[1].

وبالرغم من ذلك، أمَر الله تعالى عباده المؤمنين أن يتركوا البيع عند النداء للصلاة من يوم الجمعة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9]، وقوله تعالى ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ أي: منع الله ﷻ البيع عند صلاة الجمعة، وحرَّمه في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها، واكتفى بذِكْرِ البيع دون الشراء، لأنَّ البيع لا يخلو عن شراء؛ ولأنَّ البيع أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق[2].

وقد ذمَّ الله تعالى الذين يتركون العبادة من أجل التجارة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11]، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ"[3]، وفي روايةٍ أخرى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَتَابَعْتُمْ حَتَّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدٌ لَسَالَ لَكُمُ الْوَادِي نَاراً)**[4].

وكما ذمَّ الله تعالى الذين يتركون العبادة من أجل التجارة، فقد مدح الذين لا تلهيهم التجارة عن ذكره ﷻ، قال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: 37]، أي: لا يشغل هؤلاء

---

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (269/8).

(2) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (107/18).

(3) [البخاري: صحيح البخاري كتاب الجمعة/باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة فصلاة الإمام ومن بقي جائزة، ص186: رقم الحديث 936].

(4) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ﷺ/باب ذكر وصف الآية التي نزلت عند ما ذكرنا قبل، 300/15: رقم الحديث 6877]، قال الألباني: صحيح لغيره، ينظر: الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (10/ 52).

الرجال الذين يصلُّون في هذه المساجد تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى فيها وإقام الصلاة [1]، وعن قتادة* قال: "كان القوم يتبايعون ويتجرون؛ ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة، ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله تعالى"[2].

ويتبين مما سبق، أنَّ المؤمن بحقٍ لا يمكن أن يُفضِّل تجارة الدنيا على تجارة الآخرة، فهو بذلك يضحِّي بجزء من المال، يمكن أن يفوته أثناء تأديته للصلاة، فهو وإن ضحَّى بهذا الجزء القليل من المال، فقد اكتنز لنفسه أجوراً أعظم من ذلك بكثير، يجدها يوم القيامة أمامه حيث لا ينفع المال، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88-89].

المطلب الرابع: ترك الربا.

قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: 275]، والربا محرمٌ، ليس فقط في الإسلام، بل أيضاً في الشرائع السماوية السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [النساء: 161]، وقد عدَّه النبي ﷺ أحد الموبقات السبع التي تُهلِك صاحبها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **(الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ)**[3].

والربا في الاصطلاح هو: "فضْلٌ خالٍ عن عوض شرط لأحد العاقدين"[4]، ويُعَدُّ الربا من الذنوب المدمِّرة على صعيد الفرد والمجتمع: أمَّا على صعيد الفرد، فالربا يغرس في الإنسان الأنانية، فتكون مصلحته الشخصية فوق كل اعتبار، وبذلك تنعدم روحُ المرابي من معاني التضحية والعطاء، فيصبح أشبه بالوحش المفترس، همُّه الوحيد هو جمع المال، وأما عن خطره

---

(1) يُنظَر، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (192/19).

* هو: قتادة بن دعامة السدوسي البصري، أحد أئمة التفسير، يضرب به المثل لحفظه، وكان رأساً في الغريب والعربية والأنساب، مات سنة (117هـ)، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، (143/24-144).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/باب التجارة في البر، ص389]

(3) [المرجع السابق، كتاب الوصايا/باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]، ص533: رقم الحديث 2766].

(4) الجرجاني، التعريفات (ص146).

المجتمعي، فالربا يولِّد العداوة والبغضاء بين أفراد الشعب الواحد، ويعمل على تفكيك روابط المجتمع، ويقضي على كل مظهر من مظاهر الحُبِّ والسلام بين أفراده.

إنَّ الإنسان المؤمن يُحجم عن التعامل بالربا، ويضحِّي بالمال الناتج عنه، ويتركه قربةً لله تعالى؛ لأنَّ المال الربوي وإن كان في الظاهر زيادة في المال ونماء له، فإنه في الحقيقة مَحْقاً وإزالةً له، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: 276]، "والمَحْق بمعنى الإزالة: أي يزيل الربا، والإزالة يحتمل أن تكون إزالة حسية أو إزالة معنوية، فالإزالة الحسية: أن يسلط الله ﷻ على مال المرابي ما يتلفه، والمعنوية: أن يَنزع منه البركة"[1].

المطلب الخامس: الحج والعمرة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: 196]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: 97]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: **(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)**[2].

ويُعَدُّ الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، وهذا يعني أنَّه لا يكتمل إسلام من استطاع إليه سبيلا إلا بأدائه، والحج عبادة تحتاج إلى توفر القدرة البدنية والمالية؛ لذلك هو وجهٌ من أوجه التضحية بالمال في سبيل الله ﷻ؛ لِمَا يتكلفه الحاج من مؤونة السفر والهَدْي، والاستطاعة هي: "صحة البدن، وزوال الخوف من عدوٍّ أو سبعٍ، مع القدرة على المال الذي يشتري منه الزاد والراحلة، وقضاء جميع الديون والودائع، ودفع النفقة التي تكفي لمن تجب عليه نفقته حتى العودة من الحج"[3].

المطلب السادس: إسقاط الدَّين عن المعسر.

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 280]، ذهب الجمهور إلى أنَّ الآية عامة في جميع مَنْ عليه

(1) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (378/3).

(2) سبق تخريجه، ينظر: (ص34).

(3) المراغي، تفسير المراغي (9/4).

دَيْن، وليست مختصة بالمعسور من أهل الربا[1]، والمعنى: "وَأَنْ تَصَدَّقُوا على معسري غرمائكم بالإبراء خَيْرٌ لَكُمْ، وفيه الترغيب لهم بأن يتصدقوا برؤوس أموالهم كلها، أو بعض منها على من أُعسِر، وجعل ذلك خيراً من إنظاره"[2].

وإسقاط الدين عن المعسر أحد أوجه التضحية بالمال التي حثَّ النبي ﷺ عليها، وذلك عن طريق إعطائهم الوقت الكافي لسداده، أو وضْع الدَيْن عنهم، فمن يتجاوز عن المعسر، فإنَّ الله تعالى يتجاوز عنه، عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ)**[3].

وإسقاط الدَّين عن المعسر سبيلٌ للنجاة من كرب يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ*، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: آللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)**[4].

المطلب السابع: الأضحية.

الأضحية هي: "ما يُذبَح من النَعَم، تقرباً إلى الله تعالى، من يوم العيد إلى آخر أيام التشريق"[5]، وهي من شعائر الله تعالى التي يجب تعظيمها، قال الله تعالى: ﴿**وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ**﴾ [الحج: 36]، والبدن جمع بدنة، وهي الإبل، ويمكن أن تطلق على البقر، ومعنى الآية: أن الله تعالى يمتن على عباده فيما خلق لهم من البدن، وجعلها من شعائره، وهو أنه جعلها تهدى إلى بيته الحرام[6]، وقال الله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ**﴾ [الكوثر: 2]، اختلف المفسرون بالمراد من النحر في هذه الآية إلى أقوال كثيرة، والصحيح عند ابن كثير أنَّ المراد بالنحر هو: ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي

---

(1) ينظر: القِنَّوجي، نيل المرام (ص113).

(2) القِنَّوجي، نيل المرام (ص113).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/باب مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، ص 392: رقم الحديث 2078].

* هو: عبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ، قال عنه النسائي: ثقة، توفي بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك، قال ابن حبان في كتاب الثقات: مات سنة (95هـ)، ينظر: المزي، تهذيب الكمال (14/ 295).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساقاة/باب فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ، ص639: رقم الحديث 1565].

(5) الشربيني، مغني المحتاج (122/6).

(6) ينظر: ابن كثير (425/5).

العيد ثم ينحر نسكه[1]، قال القشيري* في معنى الآية: "أي: صلِّ صلاة العيد، وَانْحَرْ النّسك، ويقال: جمع له في الأمر بين العبادة البدنية، والمالية"[2].

وكان النبي ﷺ بصفته القدوة الحسنة لأمته، يضحِّي بأجود ما يملك، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "نَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ سَبْعَ بُدْنٍ قِيَامًا، وَضَحَّى بِالْمَدِينَةِ كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ"[3]، والأضحية أحد أوجه التضحية بالمال، فالمؤمن يخرج جزءاً من ماله؛ لكي يتقرب به إلى الله تعالى، فهي دليلٌ على إيثار طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ على ما جُبِلت عليه النفس من بخل وشُحٍّ، ومن مقاصد الأضحية التوسعة على أهل البيت وعلى فقراء المسلمين، وبهذا العمل يظهر تماسك ووحدة الأمة الإسلامية، فيعطي الأغنياءُ الفقراءَ المحرومين، الذين يشتهون اللحم فلا يجدونه إلا نادراً، وهذا يؤدِّي إلى نشر المحبة بين الأمة، وسلامتها من الأضغان والأحقاد.

المطلب الثامن: التضحية بالمال لأجل العلم.

إنَّ طلب العلم من أهم العبادات التي حثَّ عليها الإسلام، وجعل الخارجين في طلبه كالمجاهدين في سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]، يقول ابن عاشور: "ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله تعالى من حيث إنَّ كليهما يقوم بعمل لتأييد الدِّين، فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخر يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده"[4]، ومن معاني هذه الآية الكريمة أنَّها تشير إلى: "أنَّ تعلم العلم أمرٌ واجبٌ على الأمَّة جميعاً، وجوباً لا يقلُّ عن وجوب الجهاد، والدفاع عن الوطن واجبٌ مقدسٌ، فإنَّ الوطن يحتاج إلى من يناضل عنه بالسيف، وإلى من يناضل عنه بالحُجَّة والبرهان، بل إنَّ تقوية الروح المعنوية، وغرس الوطنية وحُبَّ التضحية،

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم (8/ 476).

* هو: عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري النيسابوري، ولد سنة (376هـ)، كان مفسراً، محدثاً، فقيهاً، شافعياً، شاعراً، صوفياً، انتهت إليه رئاسة التصوف في زمانه، ومات سنة (465هـ)، ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين (ص61).

(2) لطائف الإشارات (775/3).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج/باب من نحر هديه بيده، ص327: رقم الحديث 1712].

(4) التحرير والتنوير (59/11).

وخلق جيل يرى أنَّ حُبَّ الوطن من الإيمان، وأن الدفاع عنه واجبٌ مقدسٌ، هذا أساس بناء الأمَّة، ودعامة استقلالها"[1].

وممَّا لا شك فيه أنَّ طلب العلم يحتاج إلى مصاريف كثيرة؛ لتوفير أدوات ووسائل التعليم المتعددة، وليس الأمر مقصوراً على الجانب المالي فحسب، بل يحتاج أيضاً إلى جهد ومشقة، ومفارقة للأهل والأحباب، وتركٍ للملذات والشهوات، وقد اشتُهِر عن السلف الصالح الرحلة في طلب العلم، فكانوا يطوفون البلاد تاركين أعمالهم وتجارتهم وراحتهم طلباً للعلم، وكانوا يخاطرون بحياتهم مقابل الحصول على العلم، ومعلومٌ أنَّ السفر في زمانهم محفوفٌ بالمخاطر الكبيرة، وهناك ستة أمور ينبغي توافرها لطالب العلم، منها القدرة المالية على متطلبات التعليم، جمعها الشافعي في بيتين من الشعر:

أخي لن تنالَ العلمَ إلا بستةٍ ... سأنبيكَ عن تفصيلِها ببيانِ

ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبُلْغَةٌ[2] ... وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ[3]

وقد جاءت رحلة موسى إلى الخضر –عليهما السلام– خير شاهدٍ على التضحية من أجل العلم، فموسى عليه السلام أعدَّ نفسه جيداً، وأخذ بالأسباب المُعِينة على السفر، فقد استأجر فتىً مصاحباً له في الرحلة، كما أعدَّ الطعام اللازم لذلك، وعقد النية والعزيمة على السفر مهما تطلب ذلك من وقت، ومهما تكلف ذلك من تعب ونصب، وقد صورت الآيات هذا المشهد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۞ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 60–62]، وقد كان الهدف الرئيس من هذه الرحلة هو طلب العلم، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطباً الخضر عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: 66].

المطلب التاسع: التضحية بالمال لأجل العتق والكفارات.

تُعَدُّ الكفارات مظهراً من مظاهر الرحمة في الشريعة الإسلامية، وإن كانت تأخذ شكل العقوبة، فقد حدَّد الإسلام أنواعاً معينة من الذنوب يمكن لمرتكبيها أن يتحصلوا على المغفرة من

(1) حجازي، التفسير الواضح (30/2).

(2) البُلْغَة: ما يُتَبَلَّغُ به من عَيْش، ابن فارس، مقاييس اللغة (302/1).

(3) سليم، ديوان الإمام الشافعي (ص138).

الله تعالى من خلال تنفيذ كفاراتها، وهذه الكفارات جاءت لتخدم الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، فأمَّا الفرد فيتحصل على العفو الإلهي من ذنبه، وأما بالنسبة للمجتمع، فالمستفيد من الكفارات هم العبيد بتحريرهم، وطبقة الفقراء والمساكين من خلال إطعامهم أو كسوتهم، وبذلك تكون الكفارات رحمة للفرد وللمجتمع معاً، ومما يدلل على رحمة الشريعة في الكفارات أنها تدرجت في العقوبة من الأعلى إلى الأدنى في الغالب، وذلك كله منوطٌ بالقدرة والاستطاعة.

وتنقسم الكفارات من حيث ترتيب العقوبة إلى قسمين هما:

1- العقوبة المالية: وتشمل إطعام الفقراء والمساكين، أو كسوتهم، بالإضافة إلى عتق الرقاب، ويختلف قدر العقوبة حسب نوع الذنب، فمنها ما يصل إلى إطعام ستين مسكيناً، ومنها ما يصل إلى إطعام ثلاثة فقط.

2- العقوبة البدنية: وتشمل الصيام، وهي أيضاً تختلف بحسب الذنب، فمنها ما يصل إلى صيام ستين يوماً متتابعات وهذا هو الحدُّ الأقصى، ومنها ما يصل إلى صيام ثلاثة أيامٍ فقط وهو الأدنى.

والأدلة على هذه الكفارات ثابتة بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية وهي:

1- كفارة حنث اليمين: قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ﴾ [المائدة: 89].

2- كفارة القتل الخطأ: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 92].

3- كفارة الظهار: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۞ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ

فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: 3-4].

4- كفارة الجماع في نهار رمضان: وهذه ثابتة بالسنة النبوية، فعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: **(مَا لَكَ؟)** قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :**(هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟)** قَالَ: لَا، قَالَ: **(فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟)** قَالَ: لَا، فَقَالَ: **(فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟)** قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ[1]، قَالَ: **(أَيْنَ السَّائِلُ؟)** فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: **(خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ)**، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَوَ اللهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا[2]، يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ، أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ[3].

فالكفارة بعتق الرقبة والصيام متحققة في جميع الكفارات، وهي: حنث اليمين، والقتل الخطأ، والظهار، والجماع في نهار رمضان، ويلاحظ هنا حرص الإسلام على القضاء على ظاهرة العبيد من خلال العتق، أمَّا الصيام فهو تهذيب روحي للمذنب، وأما الكفارة بالمال فقد تنوعت بين الإطعام أو الكسوة، وهي متحققة في الحنث باليمين، والظهار، والجماع في نهار رمضان، وهذا كله من وجوه التضحية بالمال، والهدف منه نيل المغفرة من الله ﷻ.

---

(1) سمي المكتل عرقاً؛ لأنه يضفر عرقة عرقة، فالعرق جمع عرقة، والعرقة الضفيرة من الخوص، ينظر: ابن حجر، فتح الباري (168/4)، "وقيل: إنَّ العرق يسع خمسة عشر صاعاً"، ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام، (ص: 274)، والمكتل: "قفَّه من ورق النخل يُحمَل فيه التمر ونحوه"، مسعود، معجم الرائد (ص763).

(2) اللاَّبَة: الحَرَّة وهي الأرض ذاتُ الحجارة السود التي قد ألْبَسْتها لكثرتها، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (560/4).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم/باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر، ص 367: رقم الحديث 1936].

المبحث الثالث

التضحية بالوقت

الوقت نعمةٌ عظيمةٌ من نِعَمِ الله تعالى، ومعلومٌ أنَّ الله ﷻ عظيمٌ ولا يُقْسِمُ إلا بعظيم، فإذا أقسم بشيءٍ، دلَّ ذلك على عظمته، فقد أقسم الله تعالى بالفجر، والليل، والنهار، والضحى، واليوم، والعصر، والصبح، وقد أكَّد الله ﷻ ذلك أيضاً بأن سمَّى أربع سورٍ من سور القرآن تحمل معاني الوقت هي: الفجر، الليل، الضحى، العصر، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)**[1]، وسوف يُبَيِّنُ الباحث ميادين التضحية بالوقت في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التضحية بالوقت في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

إنَّ الوقت هو أنفس وأغلى ما يملكه الإنسان؛ لأنَّ كل لحظة تَمُرُّ لن تعود أبداً، ولا يمكن أن تُقَدَّرَ بثَمَن، فالوقت يُمَثِّل عمر الإنسان، "فَوَقْتُ الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمرُّ أسرع من السحاب"[2]، قال ابن الجوزي: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قُرْبةٍ، ويقدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور"[3].

وبما أنَّ الوقت كذلك، وجب استثماره في أعمال الخير كلها، وعدم تضييعه هباءً منثوراً، نقل ابن القيم عن الشافعي قوله: "صحبت الصوفية، فما انتفعت منهم إلا بكلمتين: سمعتهم يقولون: الوقت سيفٌ، فإن قطعته وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق، وإلا شغلتك بالباطل"[4].

والدعوة إلى الله تعالى أفضل الأعمال التي يمكن استثمار الوقت فيها، فهي تتربع على عرش الفضائل كلها، وقد جعلها الله تعالى المهنة الأولى للرسل وللأنبياء، أفضل الخلق جميعاً عند الله ﷻ، وبالدعوة إلى الله تعالى حصلت أمة محمدٍ ﷺ على لقب الخيرية بين الأمم، قال

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري كتاب الرقاق/باب ما جاء في الصحة والفراغ، ص 1232: رقم الحديث 6412].

(2) ابن القيم، الجواب الكافي (ص157).

(3) صيد الخاطر (ص33).

(4) مدارج السالكين (129/3).

الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

والدعوة إلى الله تعالى ليست مهمة سهلة، بل هي من أصعب التكاليف الدينية؛ لأنَّها تحتاج إلى جهدٍ دؤوبٍ ومستمرٍ، وتتطلب من الداعي أن يضحِّي بوقته، وعمره من أجلها، فنوحٌ عليه السلام ضحَّى بتسعمائة وخمسين سنة من عمره في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14]، لم يدَّخر نوح عليه السلام وقتاً ولا جهداً في دعوته، فكان يدعو قومه في الليل والنهار، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: 5].

إنَّ الداعية إلى الله تعالى يعيش في همٍّ دائمٍ، فهو يحمل هموم الأمَّة الإسلامية، ويحزن لِمَا تتعرض إليه من ضياع وفرقة وانتشار للفساد، ولِمَا تتعرض إليه من قتل وتدمير ومؤامرات، وهو أيضا يحزن لحال أبناء الأمَّة التائهين في وحل الأفكار الهدامة التي يدعو إليها الغرب والشرق، وقد كان النبي ﷺ صاحب همٍّ عظيمٍ، حرصاً على هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6]، تشير الآية "إلى مزيد شفقته ﷺ، واهتمامه وحرصه على موافقة المخالفين، وانتظامهم في سلك الموافقين"[1]، والداعية إلى الله تعالى يحمل رسالة عليه تبليغها للآخرين، وهذا يتطلب منه جهداً كبيراً، ووقتاً طويلاً، فهو يضحِّي بوقته ووقت زوجته وأبنائه، وكل ذلك في سبيل الله تعالى ومرضاته.

المطلب الثاني: في العبادات.

إنَّ عنصر الوقت مطلوب للقيام بأي عمل ديني أو دنيوي، ويمكن القول: إنَّ أركان الإسلام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوقت، فالصلاة لها مواقيت محددة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، "يعني مكتوبة موقتة في أوقات محدودة، فلا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كان من خوفٍ أو أمنٍ"[2]، والصيام مفروض في شهر مُعَيَّن من شهور السنة، وهو شهر رمضان، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ

(1) الألوسي، روح المعاني (244/8).

(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (423/1).

رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185].

وكذلك الحج له وقته الخاص به، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة:197]، قال ابن عمر– رضي الله عنهما– "أشهر الحج: شوال، وذو القعدة، وعشرٍ من ذي الحجة"[1]، ومن شروط وجوب الزكاة: امتلاك النصاب، وحولان الحول، عَنْ عَائِشَةَ– رضي الله عنها– قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(لَا زَكَاةَ فِي مَالٍ، حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ)**[2].

وينطبق الأمر كذلك على باقي أمور الدِّين مثل: الجهاد، والرباط، وقيام الليل، وقراءة القرآن، وخدمة الوالدين، وصلة الأرحام، ومساعدة المحتاجين، وغيرها كثير؛ لأنها في الحقيقة أعمالٌ تأخذ من الإنسان أوقاتاً لكي ينفذها، إذن فالمسلم وهو يقوم بهذه العبادات، فهو في الحقيقة يضحِّي بجزءٍ من وقته مهما كان قليلاً.

وقد حذَّر النبي ﷺ من مغبة تضييع الوقت في غير منفعة، وحثَّ على اغتنام الوقت، وعدم تضييعه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ، وَهُوَ يَعِظُهُ: **(اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)**[3].

المطلب الثالث: في طلب العلم.

إنَّ طلب العلم من أفضل العبادات التي ينبغي للمسلم أن يضحِّي بوقته من أجله؛ لأنَّ العلم أساس الدِّين والدنيا، وقد ورد الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي تحث على طلب العلم، فقد فرَّق الله ﷻ بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج/باب قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 197]، ص302: رقم الحديث 1560].

(2) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه كتاب الزكاة/باب مَنْ اسْتَفَادَ مَالًا، ص310: رقم الحديث 1792]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن ابن ماجه (98/2).

(3) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق 341/4: رقم الحديث 7846، قال الحاكم عنه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، (168/3).

﴿يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، وعن أَبي الدَّرْدَاءِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)**[1].

وقد اشْتُهِر عن السلف الصالح حبهم للعلم، واجتهادهم في طلبه، وقد كانوا يضحُّون بأوقاتهم من أجل العلم، فكان الواحد منهم يقضي عمره في التعلم والتعليم، ذكر البغدادي أنَّ الإمام محمد بن جرير الطبري قضى من عمره أربعين سنة، وكان يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، وقد قال لأصحابه أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال إنا لله ماتت الهمم[2].

أمَّا الإمام البخاري فقد "أقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنه الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وروى عنه خلائق وأمم"[3]، وأمَّا عن كتابه الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه فقد قيل إنَّه: "اشتغل في تأليفه وتصنيفه وجمعه وترتيبه وتبييضه وتنقيحه، مدة بلغت ستة عشر عامًا، وهي تستغرق مدة رحلاته العلمية إلى الأقاليم والأقطار الإسلامية"[4]، وقائمة علماء المسلمين الذين ضحوا بأوقاتهم في سبيل العلم طويلة جداً، يصعب حصرها، وتحتاج إلى أبحاث مستقلة.

---

(1) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب العلم/باب فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، ص56: رقم الحديث 223]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن ابن ماجه (92/1).

(2) ينظر: تاريخ بغداد (551/2).

(3) ابن كثير، البداية والنهاية (527/14).

(4) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (77/1).

المطلب الرابع: في الإصلاح بين الناس.

إنَّ الإصلاح بين الناس عبادةٌ عظيمةٌ عند الله تعالى، وذلك لِمَا تتركه من أثرٍ على المجتمع الإسلامي، فالإصلاح يزيل الخلاف والفُرقة والنزاع بين أبناء الأمَّة الواحدة، وبه يسود الأمن والطمأنينة والاستقرار، وبه تنتشر المحبة والمودة والوئام، والإصلاح أحد مهمات الرسل، الذين أُرسِلوا لأجل الإصلاح بين أقوامهم، قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [هود: 88]، والمقصود بالإصلاح: "عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيءٍ يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى"[1].

والإصلاح بين الناس أمرٌ مطلوبٌ على الدوام؛ لأنَّ أسباب الخلاف والفرقة قائمة، فالشيطان حاضرٌ في كل وقت، ينزغ بين قلوب الناس، ويشيع الخلاف بين الناس، وكان النبي ﷺ يقوم بالإصلاح بنفسه، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ*رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: **(اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ)**[2].

وحثَّ الإسلام على الإصلاح بين الناس على صعيد الأسرة، والطوائف، والمجتمع كله، أمَّا على صعيد الأسرة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء: 35]، وأمَّا على صعيد الطوائف والمجموعات، فقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: 9]، ثم كان التوجيه العام للمجتمع كله بإصلاح ذات البين، قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال:1].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (384/5).

* هو: سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري، كان اسمه حزناً، فسماه رسول الله ﷺ سهلاً، رأى النبيﷺ، وسمع منه، عاش سهل وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، توفي سنة (91هـ) وكان عمره مائة سنة، ويقال إنه آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (548/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح/باب قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح، ص514: رقم الحديث 2693].

وللمصلح أجرٌ عظيمٌ عند الله ﷻ، وذلك لِمَا يبذله من جهدٍ ووقتٍ ومالٍ في سبيل حفظ المجتمع من الخصومة والتفكك، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114]، وقد استثنت الآية ثلاثة أعمال في الخير، لا تدخل ضمن النجوى المحرمة، وقد خصصت هذه الأنواع الثلاثة لحكمة جليلة، يقول الأصفهاني: "هذه الثلاثة متضمنة للأفعال الحسنة كلها، وذلك أنَّه نبَّه بالصدقة على الأفعال الواجبة، وخصَّ الصدقة؛ لكونها أكثر نفعاً في إيصال الخير إلى الغير، ونبَّه بالمعروف على النوافل التي هي الإحسان والتفضل، وبالإصلاح بين الناس على سياستهم، وما يؤدي إلى نظم كلهم، وإيقاع الألفة بينهم"[1].

إنَّ أجر المصلح الذي يضحِّي بوقته وجهده في سبيل الإصلاح بين الناس يفوق درجة المنشغل بالعبادات النافلة، لأنَّ هذه العبادات يعود نفعها على فاعلها فقط، أمَّا الإصلاح بين الناس فيَعِمُّ الخير على المجتمع كله، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ)**[2]، والمراد بالحالقة: "هِيَ الْخَصْلَة الَّتِي مِنْ شَأْنهَا أَنْ تَحْلِق الدِّين وَتَسْتَأْصِلهُ كَمَا يَسْتَأْصِل الْمُوسَى الشَّعر، وفي الحديث حثٌّ وترغيبٌ في إصلاح ذات البين، واجتنابٌ عن الإفساد فيها؛ لأنَّ الإصلاح سببٌ للاعتصام بحبل الله تعالى، وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البَين ثُلْمَةٌ في الدِّين، فمن تعاطى إصلاحها، ورفع فسادها، نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بِخُوَيْصَةَ نفسه"[3].

والإسلام أجاز الكذب في حالة الإصلاح بين الناس، عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ*- رضي الله عنها- قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ**

---

(1) تفسير الراغب (150/4).

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب/باب في إصلاح ذات البين، ص890: رقم الحديث 4919]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن أبي داود (206/3).

(3) العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (178/13).

* هي: أُم كُلْثُوم بِنْت عُقْبَةَ بن أبي مُعَيط القُرَشية الأُموية، أسلمت بمكة قديماً، وصلَّت القبلتين، وبايعت رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى المدينة ماشية، فسار أخواها الوليدُ وعمارةُ ابنا عقبة خلفها ليرداها، فمنعها الله تعالى، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (424/7).

خَيْرًا)[1]، "يعني: مَنْ كذبَ لأجل أن يُصْلِحَ بين عَدُوَّين لم يكنْ عليه بذلك الكذب إثْمٌ، بل ثبتَ له فيه أجرٌ، مثاله: أراد زيدٌ أن يُصلِحَ بين عمروٍ وبَكْرٍ، يجيء زيدٌ إلى عمرو ويقول: يسلِّمُ عليك بَكْرٌ ويمدحك، ويقول: أنا مُحِبُّه، وهكذا يجيءُ إلى بَكْرٍ ويبلغُه من عمرو السلامَ، فلا إثْمَ على زيدٍ فيما يقول بين عمرو وبَكْرٍ مع أنه يسمَعُ مِنْ كلِّ واحدٍ منهما شَتْمَ الآخر"[2].

المطلب الخامس: التضحية بالحرية:

إنَّ السجن من أعظم الابتلاءات، وأشدها على النفس؛ لِمَا فيه من تقييد لحرية الإنسان، فالسجين مسلوب الإرادة، بعيد عن أهله وأصحابه، وقد مثَّل السجن أحد حلقات ابتلاء يوسف عليه السلام، فقد آثر دخول السجن على ارتكاب الفاحشة، وضحَّى بحريته ووقته في سبيل رضوان ربه، قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]، وهذا يعني: "أنَّ السجن أفضل لديه من أن يوافق امرأة العزيز على فعل الفحشاء، أو يوافق النسوة على دعوتهن له أن يُحرِّر نفسه من السجن بأن يستجيب لها... وعلى الرغم من أنَّ السجن أمر كريه، إلا أنَّه قد فضَّله على معصية خالقه"[3].

فيوسف عليه السلام دخل السجن برضاه، وبمحض إرادته واختياره، وكان بإمكانه أن يتجنب مرارة السجن، ويعيش حياة الرفاهية، وذلك باستخدام أسهل الوسائل وأقصر الطرق، فما عليه إلا أن يستجيب لامرأة العزيز في إشباع شهوتها، ولكنه رفض ذلك، والتجأ إلى الله ﷻ، وطلب منه الحماية والنجاة، فاستجاب الله تعالى له، وصرف عنه كيد النساء، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: 34]، إنَّ رفْض يوسف عليه السلام لدعوة امرأة العزيز له مكانة عظيمة عند الله ﷻ، وقد عدَّ النبي ﷺ من يقوم بمثل هذا ضمن الأصناف السَبْعَةٌ الذين يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وذكر منهم: **(وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ)**[4].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح/باب لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، ص513: رقم الحديث 2692].

(2) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (175/5).

(3) الشعراوي، الخواطر: (6944/11).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحدود/باب فَضْلِ مَنْ تَرَكَ الْفَوَاحِشَ، ص1298: رقم الحديث 6806].

ولا يمكن في مثل هذا المطلب أن ننسى الإشارة إلى المجاهدين في سبيل الله ﷻ في فلسطين، وفي جميع مواطن الجهاد الأخرى، فهم عندما خرجوا للجهاد والقتال في سبيل الله تعالى، كانوا على يقين بما يمكن أن يتعرضوا له من موتٍ أو أَسْرٍ في أي لحظة، فقد آثروا مشقة الجهاد وتبعاته على القعود والتنعم بملذات الدنيا، فكانت أعمارهم وأوقاتهم ثمناً لرفعة دين الله ﷻ.

المبحث الرابع

التضحية بالهجرة من الوطن

يُعدُّ حُبُّ الوطن من الأمور الفطرية التي فطر الله تعالى الناس عليها، وهذا الحُبُّ الفطري ليس مقصوراً على الإنسان فقط؛ لأنَّ الحيوان مفطورٌ على حُبِّ موطنه الأصلي كذلك، فترْك الوطن ليس سهلاً على النفس؛ لأنَّ في ترْكه تعارضٌ مع ما جُبِلت عليه النفس من حُبٍّ للمكان الذي نشأت فيه، وترعرعت بين جنباته؛ لذلك تبقى التضحية بالهجرة من الوطن من أعظم الأمور قسوة وشِدَّة على النفس؛ لذلك سيتناول الباحث–إن شاء الله تعالى– بعض النماذج التي تمثل التضحية بالهجرة من الوطن.

المطلب الأول: إخراج الرسل من أوطانهم.

إنَّ الابتلاء بترك الوطن أحد الابتلاءات الشديدة التي تَعَرَّضَ لها الرسل أثناء دعوتهم لقومهم، والأنبياء هنا يمثلون القدوة الحسنة لجميع المؤمنين على مَرِّ العصور، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: 13]، "بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ الكفار توعدوا الرسل بالإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم إن لم يتركوا ما جاءوا به من الوحي"(1)، والتهديد بالإخراج من الوطن كان عادة جميع الكفرة، فقد كانوا يُخَوِّفون الرسل بالإخراج مرة وبالقتل مرة أخرى(2)، ويلاحظ في هذه الآية أنَّ الكفار يستخدمون مسألة الإخراج من الوطن كورقة ضغط على الرسل للرجوع عما هم فيه، وفيها "إشارة إلى ما يحاوله الكفار من الضغط على الرسل بغية التسليم لهم بملتهم، وما يهددونهم به من النفي والإبعاد عن أرضهم إن لم يذعنوا لضغطهم"(3).

وترك الوطن أمرٌ صعبٌ على الناس، وليس بمقدور الجميع أن يقوم به، وإنما يحتاج إلى إيمان راسخ، وعزيمة قوية، وقد ساوى تعالى بين الموت وترك الوطن، وجعلهما في مقامٍ واحدٍ، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [النساء:66]، أي: "لو ثبت أننا فرضنا عليهم أن يُعَرِّضوا أنفسهم للتلف من غير

(1) الشنقيطي، أضواء البيان (244/2).

(2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (501/4).

(3) الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (258/3).

أمل في النجاة، أو يخرجوا من موضع استقرارهم وأمنهم في ديارهم، إلى حيث المشقة الشديدة والعمل الكادح، ما استجاب لهذه الفريضة إلا عدد قليل من الناس"[1].

المطلب الثاني: الهجرة من مكة الى المدينة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، اتفق الكفار على إيقاع الأذى بالنبي محمد ﷺ بإحدى وسائل ثلاث: إمَّا الحبس الذي يمنعه من لقاء الناس ودعوتهم إلى الإسلام، وإمَّا القتل بطريقة لا يكون ضررها عظيماً عليهم، وإما الإخراج والنفي من الوطن، ومع ذلك فقد أحبط الله تعالى تدبيرهم، فقد أخرج نبيه ﷺ من بينهم إلى دار الهجرة، ووطن السلطان والقوة، والله خير الماكرين؛ لأنَّ مكره نصر للحق، وإعزاز لأهله، وخذلان للباطل وحزبه[2].

وعندما اشتد الأذى بالمسلمين، وأصبح صعباً عليهم ممارسة شعائرهم الدينية، أَذِنَ النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة من مكة إلى المدينة، وقد كان خروجهم من مكة إلى المدينة تضحية عظيمة، فقد كان منهم الأغنياء، وأصحاب التجارة، والمكانة المرموقة في مجتمعهم، وآثروا أن يتركوا ديارهم وأوطانهم وأموالهم وكل ما يملكون في سبيل الحفاظ على دينهم، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:8].

وقد مَثَّلت الهجرة من مكة إلى المدينة عنواناً للتضحية بحُبِّ الوطن، فالنبي ﷺ ترك وطنه مكة، البلد الأمين، الحبيب إلى قلبه، وترك أهله وأقرباءه وماله وكل شيء، وهذا ظاهرٌ من قوله ﷺ عندما وقف على أعتاب مكة مخاطباً لها: **(وَاللَّهِ، إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)**[3]، وقد مَثَّل النبي ﷺ القدوة الحسنة لأصحابه الكرام ﷺ، ففعلوا مثلما فعل نبيهم ﷺ، فتركوا أوطانهم وأموالهم ومصالحهم الدنيوية في سبيل نشر دين الإسلام.

---

(1) أبو زهرة، زهرة التفسير (1747/4).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (9/ 198).

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول ﷺ/باب فِي فَضْلِ مَكَّةَ، ص880: رقم الحديث 3925، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن الترمذي (590/3).

ونظراً للتضحيات الجسام التي قدَّمها الصحابة ﷺ أثناء الهجرة، كان القرآن يتنزل على النبي ﷺ ليمدحهم، ويثني عليهم، ويشهد لهم بالإيمان، ويبشرهم بالمغفرة والجنة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74]، وقد تحقق في المهاجرين أربع صفات هي: صفة الإيمان الصادق بالله تعالى ورسوله ﷺ، والهجرة في سبيله من أوطانهم، والجهاد بالنفس والمال، وأولية الإقدام على هذه الأفعال، وهذه الصفات الأربع جعلتهم الأفضل والأكمل في الإسلام على مَرِّ العصور؛ لأنهم خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتركوها في مكة، وجاؤوا لنصرة الله ورسوله وإقامة دينه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم[1].

المطلب الثالث: هجرة إبراهيم عليه السلام.

إنَّ كلمة التضحية لها ارتباط وثيق بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وقد لازمته منذ أن كان فتى صغيراً حتى أصبح شيخاً كبيراً؛ لذلك أصبح إبراهيم عليه السلام رمزاً للتضحية والفداء على مرِّ التاريخ، فإذا ذُكِرت التضحية، ذُكِرَ إبراهيم عليه السلام والعكس كذلك.

لقد قامت لإبراهيم عليه السلام الحُجَّة على قومه عندما رموه في النار الشديدة الملتهبة، وشاهدوا بأمِّ أعينهم المعجزة الباهرة، وكيف سلب الله تعالى من النار خاصية الإحراق، حتى صارت النار المُحْرِقَة برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، فبَعد هذه الواقعة، قرَّر إبراهيم عليه السلام الخروج من بلده، قال الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99]، "أي: مهاجر من بلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا تعصباً للأصنام، وكفراً بالله، وتكذيباً لرسله إلى حيث أمرني بالمهاجرة إليه، أو إلى حيث أتمكن من عبادته"[2].

وقد نقل الطبري إجماع أهل العلم على أنَّ هجرة إبراهيم عليه السلام كانت من العراق إلى الشام التي كان بها مقامه أيام حياته[3]، وكان إبراهيم عليه السلام أول مهاجر في تاريخ البشرية[4]، فعندما هجر إبراهيم قومه في الله تعالى، وهاجر من بين أظهرهم، وكانت امرأته عاقرًا لا يولد لها، وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فكل نبيٍ بُعث بعده فهو

(1) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (825/1).
(2) الشوكاني، فتح القدير (462/4).
(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (470/18)
(4) ينظر: مقاتل، تفسير مقاتل (103/3).

من ذريته، كرامةً من الله تعالى له؛ لأنَّه ترك بلده، وأهله، وأقرباءه، وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه ﷻ، ودعوة الخلق إليه[1].

المطلب الرابع: هجرة لوط عليه السلام.

كان لوط عليه السلام قد آمن بإبراهيم عليه السلام أثناء دعوته في بلاد العراق، قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26]، وقد هاجر مع إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الشام، قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71]، ثم أرسله الله ﷻ إلى قومه؛ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ الفواحش، ولكنهم كذبوا نبيهم، ولم يستجيبوا له، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 160 – 162].

وكما هو دأب الكافرين في كل زمان ومكان، حاول قوم لوط بكل الوسائل أن يثنوا لوطاً عليه السلام عن دعوته، وأن يتركهم يفعلون ما يريدون، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: 167]، "أي: قالوا له متوعدين: لئن لم تسكت يا لوط عن نهيك إيَّانا عما نحن فيه، لتكونن من المخرجين من قريتنا إخراجاً تاماً، ولنطردنك خارج ديارنا، وهكذا النفوس عندما تنحدر في الرذيلة، وتنغمس في المنكر، تعادى من يدعوها إلى الفضيلة وإلى الطهر والعفاف"[2].

وعندما ضاقت بهم السبل ويئسوا، ولم يبقَ عندهم حَلٌّ آخر، اتفقت كلمتهم على إخراج لوط عليه السلام، وعزموا على طرده من القرية، ونفيه ومن معه من المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82]، "إنهم أُفحِموا عن ترويج شنعتهم، والمجادلة في شأنها، وابتدروا بالتآمر على إخراج لوط عليه السلام وأهله من القرية، لأنَّ لوطاً عليه السلام كان غريباً بينهم، وقد أرادوا الاستراحة من إنكاره عليهم"[3]، وقد كان جوابهم جواباً قاطعاً، لا جواب لهم غيره، ولهذا جاء به النظم القرآني

(1) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (1/ 172).
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط (273/10).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (234/2/8).

على هذه الصورة التي تفيد القصر مما يدلل على تصميم القوم على إخراج لوط عليه السلام ومن معه من المؤمنين[1].

المطلب الخامس: قصة أصحاب الكهف.

مَثَّلت قصة أصحاب الكهف نموذجاً رائعاً للتضحية بالوطن في سبيل العقيدة، فقد قام فتيةٌ آمنوا بربهم بالهجرة من ديارهم، وتركوا حياة الرفاهية التي كانوا يعيشون في كنفها، وذلك عندما رفضوا ما كان عليه قومهم من شرك وضلال، قال الله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 14 – 15]، وعندما تيقنوا من عدم إمكانية عبادة الله تعالى في هذه القرية بِحُرِّيَّة، قرَّروا النجاة بدينهم وأنفسهم، فخرجوا منها سراً، تاركين وراءهم رغد العيش، والمنازل المريحة الواسعة؛ لينتهي بهم الحال إلى كهف مظلم موحش ضيق.

وقد تبين لهؤلاء الفتية الهدى في وسط ظالم كافر، فلا سبيل إلى الالتقاء مع قومهم المشركين، ولا للمشاركة في الحياة معهم، ولا بد من الفرار بعقيدتهم، ولا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم، ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة على سبيل التقية، فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله عز وجل، وأن يختاروا الكهف على زينة الحياة، فقد اعتزلوا قومهم، وهجروا ديارهم، وفارقوا أهلهم، وتجردوا من زينة الأرض ومتاع الحياة، وأووا إلى الكهف الضيق الخشن المظلم[2].

الخلاصة: يتبين من خلال هذا المبحث، أنَّ التضحية بالوطن أمرٌ صعبٌ على النفس؛ لأنَّها تألف البيئة التي ترعرعت فيها، وقد أُخْرِجَ الرسل من أوطانهم، فخرج النبي محمد ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة بعدما اشتدَّ عذاب أهل قريش للمسلمين، ومن قَبْلِه كانت هجرة إبراهيم ولوط–عليهما السلام، وحدَث ذلك أيضاً مع أصحاب الكهف الذين هاجروا من وطنهم لكي ينجوا بدينهم، فالهجرة من الوطن تهون عند المؤمنين مهما كانت شِدَّتها إذا كان الأمر يتعلق بأمور الدَّين والعقيدة.

---

(1) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (259/10).

(2) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (2262/4).

المبحث الخامس

التضحية بالملذات الدنيوية

تُمَثِّلُ اللذة غريزة أصيلة من الغرائز التي فُطِر الإنسان عليها، وهي تتخذ أشكالاً متعددة ومتنوعة مثل: لذة الطعام والشراب والمباشرة والنوم والراحة وغيرها، ولم يجعل الله ﷻ هذه الغرائز هدفاً في حدِّ ذاتها، بل جعلها وسيلة للمحافظة على الجنس البشري، ومن ثَمَّ القيام بعبادته ﷻ؛ لذلك جاءت الأوامر والنواهي الإلهية لكي تهذِّب هذه الغرائز، وتكبح جماحها؛ ليترتب على ذلك سمو الروح، وزكاة النفس.

المطلب الأول: التضحية بلذة الطعام والشراب.

تُعَدُّ شهوة البطن من الطعام والشراب من اللذات والرغبات الإنسانية الفطرية، فلا يمكن أن يعيش الإنسان بدونها، ولأهمية هذا الشهوة في حياة الإنسان، فقد نظَّمها الإسلام، ووضع أحكاماً خاصةً بها، فمن الأطعمة والأشربة ما حُرِّمَ تحريماً مطلقاً مثل: لحم الخنزير، والميتة، والدم، والخمر، وقد حرَّم المباحات من الأطعمة والأشربة في أوقات محددة مثل نهار أيام شهر رمضان.

والآيات التي تتحدث عن نعمة الطعام والشراب كثيرة في القرآن، وقد وصفها الله تعالى بأنها متاع للناس، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۞ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: 24– 32]، "والمتاع والتمتع: نيل الملذات والمرغوبات غير الدائمة، ويطلق المتاع على ما يتمتع به وينتفع به من الأشياء"[1]، ووصفها أيضاً بأنها طيبة، قال الله تعالى في أكثر من موضع: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [طه: 81]، وكلمة طيب مشعرةٌ باللذة، قال ابن فارس: "اللَّذّة واللَّذَاذَة: طيبُ طَعم الشَّيء"[2].

وقد فرض الله ﷻ على المسلمين الصيام، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (69/2/8).
(2) مقاييس اللغة (204/5).

والصوم هو: "الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية"[1]، فالمؤمن من خلال عبادة الصوم، يضحي بشهوة البطن المجبول على محبَّتِها، فيمتنع عن الطعام والشراب في فترة الصيام، وهو متيقن بأنه بتركه لهذه الشهوات يقدم رضا الله تعالى على هواه، فلا عجب أن يأتي الصوم مدافعاً عن صاحبه يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَيُشَفَّعَانِ)**[2].

والتضحية بشهوة البطن ليست مقصورة على الإمساك عن المباحات من الأكل والشراب أثناء الصيام فقط، بل يتعدى ذلك لكل أنواع المحرمات من المأكولات والمشروبات، فعلى سبيل المثال: يترك المؤمن شرب الخمر امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 90]، وقد وعد الله تعالى من يترك لذة الخمر الموهومة في الدنيا، ويضحي بها من أجله سبحانه، بأن يسقيه من خمر الآخرة، ذات اللذة الحقيقية، والخالية من المنغصات، قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمد: 15]، وقد أكدَّ النبي ﷺ على تلك المعادلة فقال: **(مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا حُرِمَهَا فِى الآخِرَةِ)**[3].

المطلب الثاني: التضحية بلذة المباشرة.

خلق الله ﷻ في الإنسان غرائز وشهوات، وقد تعامل الإسلام مع هذه الغرائز بمنطق التوازن، وشهوة الفرج من الشهوات التي خُلِقت في الإنسان، وهي شهوة أساسية لعملية التناسل والتكاثر البشري، وبدونها تتعذر عمارة الأرض، وكما هو الحال مع كل الغرائز الإنسانية، فقد اعتنى الإسلام بهذه الغريزة، ونظَّم شؤونها، وبيَّن الحلال فيها من الحرام.

---

(1) الجرجاني، التعريفات (ص178).

(2) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب فضائل القرآن/باب أخبار في فضائل القرآن جملةً، 740/1: رقم الحديث 2036، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ]، قال الألباني: حسن صحيح، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (238/1).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأشربة/باب عُقُوبَةِ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ إِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْهَا بِمَنْعِهِ إِيَّاهَا في الآخِرَةِ، ص832: رقم الحديث 2003].

وشرع الإسلام الزواج استجابة لهذه الفطرة، وصيانةً لشهوة الفرج، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]، وقد رغَّب النبي ﷺ بالزواج، فقال: **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)**[1]، وجعل النبي ﷺ لكل مسلم يأتي زوجه صدقة، قال ﷺ: **(وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْراً)**[2].

ومن توازن الشريعة الإسلامية أنها لم تترك العنان لشهوات الإنسان وغرائزه، فقد وضعت بعض الضوابط لهذه الشهوات، فكما أباح للرجل وطء زوجته في موضع الحرث، فقد حرم عليه الزنى ومقدماته، ورتب عليه عقوبة الجلد أو الرجم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32] "هذا نهيٌ عن مقدِّماتِه؛ كالنظرةِ والغمزةِ، فَضْلًا عن مباشرتِه، وإذا نُهي عن مقدماتِه، فالنهيُ عنه أَوْلى، ولو أرادَ النهيَ عن نفسِ الزنى لقالَ: ولا تزنوا"[3]، وقد حرَّم الله تعالى النظر للأجنبية؛ لأنه مقدمة للزنى، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: 30]، قال القرطبي: " البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله"[4].

فالمؤمن ربما تتوافر له جميع دواعي الزنى، ولكنه يضحي بهذه المتعة المؤقتة، واللذة الزائلة؛ خوفاً من عقاب الله ﷻ، وطمعاً في رضاه؛ لذلك فإنَّ من يقدر على الزنى ولم يرتكبه، له مقام عظيم عند الله ﷻ، وقد عدَّه النبي ﷺ ضمن السبعة الذين يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: **(وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ)**[5].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح/باب مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاءَةَ فَلْيَصُمْ، ص1005: رقم الحديث 5066].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ص389: رقم الحديث 1006].

(3) العليمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن (4/ 96).

(4) الجامع لأحكام القرآن (12/ 223).

(5) سبق تخريجه، ينظر: (ص49)

المطلب الثالث: التضحية بلذة النوم والفراش.

النوم آية عظيمة من آيات الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: 23]، وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: 9]، "فهذا السبات: أي الانقطاع عن الإدراك والنشاط بالنوم، ضرورة من ضرورات تكوين الحي، وسر من أسرار القدرة الخالقة، ونعمة من نعم الله تعالى لا يملك إعطاءها إلا إياه"(1).

والنوم من الأمور التي امتن الله تعالى بها على عباده المؤمنين في غزوتي بدر وأُحُد، ففي غزوة بدر قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: 11]، وفي غزوة أُحُد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: 154]، "والنوم نعمةٌ كبرى لمن يصاب بمثل تلك المصائب، وعنايةٌ من الله تعالى يخصُّ بها بعض عباده في مثل تلك المحن؛ ليخفف وقعها على النفوس، ومعنى الآية: امتنان الله تعالى عليهم بأمنهم بعد الخوف والغمَّ، بحيث صاروا من الأمن ينامون، وذلك أنَّ شديد الخوف والغمَّ لا يكاد ينام"(2).

والمسلم ينبغي أن ينام عندما يحتاج إلى النوم، ويستيقظ عندما يأخذ حاجته، دون إفراط ولا تفريط، ولا ينبغي أن يجعل حياته نوماً وكسلاً، فقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فعَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: **(أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا)**(3)، وكذلك مدح الله ﷻ أقواماً انشغلوا عن نومهم بالصلاة والقيام، واستثمروا أوقاتهم بالذكر والاستغفار، فكانوا يكتفون بالقليل من النوم، قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 17- 18]، "إنَّ الله تبارك

(1) قطب، في ظلال القرآن (3805/6).

(2) الهرري، حدائق الروح والريحان (200/5).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/باب ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2]، ص950: رقم الحديث 4837].

وتعالى وصفهم بذلك مدحاً لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقربهم منه، ويرضيه عنهم"[1].

وتتجلى التضحية بالنوم ولذة الفراش في صلاة الفجر، ففي فصل الشتاء يكون الليل طويلاً، ولا يوجد ثمة مشكلة في النوم؛ لأنَّ المسلم يأخذ حظه الوافي منه، ولكنه يجد نوعاً من المشقة والصعوبة في ترك الفراش الدافئ، والوضوء بالماء البارد، والمشي إلى المسجد في أجواء الريح والمطر، فهو يضحِّي بذلك كله مقابل تأدية فريضة صلاة الفجر، وأمَّا في فصل الصيف، فالمسلم يقاوم النعاس، وقلة ساعات النوم، فالليل قصير، وهذا أمرٌ يحتاج إلى مجاهدة النفس.

المطلب الرابع: التضحية بالسكن والراحة.

شاءت حكمة الله ﷻ أن يخلق الإنسان في الدنيا في عناء وتعب، فلا يحصل على شيء بدون مقابل، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: 4]، "أي: في شدة وعناء من مكابدة الدنيا، وأصل الكبد الشدة، ومنه تكبد اللبن: غلظ وخثر واشتد، ومنه الكَبِد، لأنه دمٌ تغلَّظ واشتد، ويقال: كابدتُ هذا الأمر: قاسيتُ شدته"[2]، وقيل: إن المراد بالكبد في هذه الآية هو "التعب الذي يلازم أصحاب الشرك من اعتقادهم تعدد الآلهة. واضطراب رأيهم في الجمع بين ادعاء الشركاء لله تعالى وبين توجههم إلى الله بطلب الرزق وبطلب النجاة إذا أصابهم ضر. ومن إحالتهم البعث بعد الموت مع اعترافهم بالخلق الأول[3].

لذلك فإنَّ الراحة كلمة محببة لنفس الإنسان، لأنَّ طبيعته الفطرية تميل إلى السكينة والطمأنينة، وتنفر من التعب والجهد والمشاكل، وتمثل الراحة بالنسبة للإنسان هدفاً يسعى دائماً لتحقيقه، من خلال الاختراعات والوسائل المعينة له في تيسير أمور الحياة، فهو يعمل ويتعب ويجدُّ من أجل توفير سبل الراحة، فيشتري البيت والأثاث والسيارات والأجهزة الحديثة وغيرها من أجل تحقيق الراحة والسكن.

وتنقسم نظرة الناس إلى الراحة إلى قسمين: دنيوية وأخروية، فأما الدنيوية فهي رؤية قاصرة مؤقتة، تنظر لراحة الجسد من التعب والهمِّ، والمشاكل في الدنيا دون النظر إلى المصير يوم القيامة، وأمَّا الأخروية فهي تنظر إلى راحة أبدية، ليس بعدها تعب ولا نصب، قال تعالى:

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (412/22).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (62/20).
(3) ابن عاشور، التحرير والتوير(351/30).

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَاهُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48]، فالمسلم حريص كل الحرص على تحقيق الراحة يوم القيامة؛ لذلك يضحِّي براحته في الدنيا مقابل حصوله على الراحة الدائمة في جنات النعيم.

إنَّ المسلم وإنْ امتلك جميع أسباب الراحة الدنيوية، فلا يمكن أن يتحصل على الراحة في هذه الدنيا؛ فهناك أمورٌ تجعله في همٍّ وفكرٍ وشغلِ بال، فقد قيل: إنَّ أربع خصال لم يبقين للمؤمن ضحكاً ولا فرحاً: هَمُّ المعاد، وشغل المعاش، وغمِّ الذنوب، وإلمام المصائب[1]، وهو في هذه الدنيا لا يضمن لنفسه الراحة في الآخرة، التي هي في علم الله تعالى فقط، فالمؤمن يعلم علم اليقين أنَّ راحته الحقيقية في الجنة، سُئِل الإمام أحمد بن حنبل، متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدمٍ يضعها في الجنة[2]؛ لذلك يكون المسلم مهتماً بأداء تعاليم دينه، ولو على حساب راحته الدنيوية.

وقد كان النبي ﷺ من اللحظة الأولى للرسالة القدوة للعمل الدائم المستمر، وقد أمره الله ﷻ بالعبادة حتى آخر لحظة في حياته، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ﴾ [الحجر: 99] أي: دُمْ على عبادة ربك، حَتَّى يَأْتِيَكَ الموت، أي ما دمت حياً، فلا تخل بالعبادة[3]، وقد عرَّف شيخ الإسلام العبادة، فقال: "هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[4]، وهذا تعريف شامل لجميع أعمال الدين.

الخلاصة: وفي نهاية هذا المبحث، يتبين أنَّ المؤمن يضحي بالملذات المؤقت والفانية، المتمثلة بشهوة البطن، والفرج، والنوم، والسكن، والراحة، من أجل الملذات الحقيقية الدائمة في جنات النعيم، وبذلك يكون قد قضى حياته كلها في طاعة الله ﷻ.

(1) ينظر: السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص198).
(2) يُنظَر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة (291/1).
(3) يُنظَر: الزمخشري، الكشاف (592/2).
(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (149/10).

الفصل الثاني

ثواب المضحِّين وعقاب المتقاعسين

المبحث الأول

ثواب المضحين بأنفسهم وأموالهم

مِن عدْل الله تعالى ورحمته بعباده أنَّه يجازي عباده، كلاً حسب عمله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7 – 8]، والله ﷻ يُطَمْئِنُ عباده المؤمنين بأنَّه لن يُضَيِّعَ أعمالهم الصالحة، فهي محفوظة عنده سبحانه، وسوف يجازي المؤمنين على تضحياتهم وبذلهم وجهدهم في الدنيا، وسوف يُبيِّن الباحث في المطلبين التاليين ثواب المضحين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

المطلب الأول: ثواب المضحِّين بأنفسهم في سبيل الله تعالى.

إنَّ النفس هي أغلى ما يملك الإنسان، ولا يمكن أنَّ يضحِّي بها إلا إذا تيقَّن أنَّ الثمن المقابل لها أكبر بكثير منها، لذلك تهون النفوس، وتُبذَل الأرواح من أجل الله ﷻ، وإذا كان الجزاء من جنس العمل، فهذا يعني أنَّ المضحِّي بنفسه له أعظم الأجور عند الله تعالى، وقد وعد الله ﷻ المضحين في سبيله بعدة أمور، وهي كالتالي:

أولاً: الشهداء أحياء عند ربهم يُرزَقون.

إنَّ كلمة الموت ثقيلة على سمع الإنسان؛ لِمَا تحمله هذه الكلمة من معانٍ عظيمة، "فهو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع... فإن أمراً يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، لهو الأمر العظيم، والخطب الجسيم"[1]، والجسد الميت لا قيمة له ولا وزن؛ لذلك يسارع الناس في دفن الأموات؛ لأنَّ الأجساد الميتة تتحلل وتتعفن، وتخرج منها الروائح الكريهة، وتتغير معالمها، فيصبح للجثث منظر فظيع جداً، تنفر منه النفوس وتشمئز.

لذلك جاءت الآيات تنفي صفة الموت عن أولئك الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله تعالى، تكريماً لهم، ورفعاً من شأنهم، فهم أناس وإن ماتوا أو قُتِلوا في الظاهر، إلا أنهم في حقيقة الأمر أحياء عند ربهم، يتنعمون ويُرزَقون كما يُرزَق الأحياء، وقد أمرنا الله ﷻ بعدم إطلاق لفظة الموت عليهم، لأنهم ليسوا كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ

(1) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (156/1).

ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: 154]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، أي: "ولا تقولوا لمن يُقتَل في سبيل الله هو ميت، فإن الميت من خَلقي مَنْ سلبته حياتَه وأعدمتُه حواسَّه، فلا يلتذّ لذة، ولا يُدرك نعيماً، فإنّ من قُتل منكم ومن سائر خَلقي في سبيلي، أحياءٌ عندي، في حياة ونعيم، وعيش هَنِيّ، ورزق سنيّ، فَرحين بما آتيتهم من فضلي، وَحبوتهم به من كرامتي"[1].

إنَّ هذه الآيات تربِّي فينا روح التضحية والكفاح من أجل العقيدة، ورفع لواء الإسلام، ويعِدُنا الله ﷻ بأن من يُقتَل في سبيله فهو حيٌّ يرزق عند ربه، وعند الناس حي بالذكر الطيب والثناء الجميل[2]؛ لذلك فإنَّ من أهم واجبات الأمَّة تجاه شهدائها "أن تعتبر التضحية والفداء مغنماً لا مغرماً، ونصراً لا هزيمةً، وتجارةً رابحةً لن تبور، وأن تعتقد أنَّ الموت في ميدان الشرف هو حياة الخلود، وأنَّ الفناء في سبيل الواجب هو عين البقاء، وهذا المعنى إن تشبّعت به الأمَّة، فهي لا شك منصورة، مهما كان في سبيلها من عقبات"[3].

وقد أكدت السُّنَّة أنَّ الشهداء لا يموتون، ولا تنقطع عنهم لذة الدنيا ونعيمها، فعَنْ مَسْرُوقٍ* قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ (هُوَ ابْنُ مَسْعُود) عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: "أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا"[4].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (215/3).

(2) ينظر: حجازي، التفسير الواضح (299/1).

(3) البنا، نظرات في كتاب الله (ص201).

* هو: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي، من كبار التابعين، إمام، قدوة في العلم، يقال إنه سُرِق وهو صغير، ثم وُجِد فسُمِّي مسروق، قال الشعبي: ما علمت أن أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق، مات سنة (62هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (63/4-68).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ص785: رقم الحديث 1887].

ثانياً: الوعد بالنصر.

إنَّ كل شيء في هذا الكون يسير وفق مراد الله ﷻ وحسب مشيئته، فالنصر بيده سبحانه وحده، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]، والله ﷻ يعطي النصر لمن يشاء من عباده ويمنعه عمن يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 13]، والفئة التي يكون الله معها فهي الغالبة لا محالة، قال الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: 160].

وقد اشترط الله ﷻ شرطين للنصر هما: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله بالمال والنفس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۞ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۞ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: 10 – 13]، "أي: ولكم مع هذا المذكور فوزٌ آخر في الدنيا بنصركم على عدوكم، وفتحكم للبلاد، وتمكينكم منها حتى تدين لكم مشارق الأرض ومغاربها، وقد أنجز الله سبحانه وعده، فرُفِعت الراية الإسلامية على جميع المعمور من العالم في زمنٍ يسيرٍ، لم يعهد التاريخ نظيره، وامتلكوا بلاد القياصرة والأباطرة، وساسوا العالم سياسة شهد لهم بفضلها العدو قبل الصديق"[1].

وقد ربط الله ﷻ بين نصره لعباده المؤمنين وبين نصرتهم لدينه، والتضحية من أجله بكل غالٍ ونفيس، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ [الحج: 40]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: 7]، والمعنى: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله ينصركم، بنصركم رسوله محمداً ﷺ على أعدائه من أهل الكفر به، وجهادكم إياهم معه، لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأولياءه"[2].

---

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (266/29).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (22/ 160).

ثالثاً: الفرحة بما آتاهم الله تعالى من فضله وعدم الحزن.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 169– 170]، أي: "مغتبطون بذلك، قد قُرَّت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغِّص، فجَمَعَ الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتمَّ لهم النعيم والسرور"[1]، والفرح أعلى أنواع نعيم القلب ولذته وبهجته، والفرح بالشيء فوق الرضا به، فإنَّ الرضا: طمأنينة وسكون وانشراح، أما الفرح فلذة وبهجة وسرور[2].

"هؤلاء الشهداء فرحون بما رأوه من نعيمٍ واسعٍ، وفضلٍ كبيرٍ، وإكرامٍ جليلٍ من الله، وهم مسرورون بإخوانهم المجاهدين الذين يتبعونهم على درب الجهاد والاستشهاد؛ لما شاهدوه من الجزاء العظيم لهم: وهو حياة أبدية ونعيم دائم، لا خوف عليهم من مكروه، ولا حزن على ما فاتهم في الدنيا، وهم يستبشرون بما يتجدد لهم من نعمة الحياة عند ربهم، ورزقه لهم"[3].

ونفت الآية الكريمة الخوف والحزن عن الذين يضحُّون بأنفسهم، ويُقتَلون في سبيل الله تعالى؛ "لأن الخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل في المستقبل، والحزن يكون بسبب فوات المنافع التي كانت موجودة في الماضي، فبيَّن ﷻ أنه لا خوفٌ عليهم فيما سيأتيهم من أحوال القيامة، ولا حزن لهم فيما فاتهم من متاع الدنيا"[4].

رابعاً: غفران الذنوب.

إنَّ الحصول على مغفرة الله ﷻ هي الأمنية الحقيقية التي يتمناها المؤمنون؛ لأنَّها مقدمة لما بعدها من دخول الجنة؛ ولذلك جعل الله ﷻ المغفرة والجنة غايتين يتسابق من أجلهما المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص124).
(2) ينظر: ابن القيم، التفسير القيم (ص321).
(3) الزحيلي، التفسير الوسيط (262/1).
(4) الشحود، الخلاصة في أحكام الشهيد (111/1).

وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: 21]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: 133].

ومن أسماء الله الحسنى الغفور والغفار، "ومعناهما الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، يقال: اللهمَّ اغفر لنا مَغْفرة وغَفْراً وغُفْراناً، وإنك أَنت الغَفُور الغَفّار يا أَهل المَغْفِرة، وأَصل الغَفْرِ التغطية والستر، غَفَرَ الله ذنوبه أَي سترها"[1]، والغفور على وزن الفعول، وهذا الوزن يدل على الجودة والكمال والشمول، فَهُوَ غَفُور بِمَعْنى أَنه تَامّ الْمَغْفِرَة والغفران حَتَّى يبلغ أَقْصَى دَرَجَات الْمَغْفِرَة، وأما الغفار فهو على وزن الفعال، وهذا يدل على كَثْرَة الْفِعْل، بمعنى أَنَّ المغْفِرَة متكررة مرّة بعد أُخْرَى[2].

إنَّ أسباب المغفرة كثيرة ومتعددة، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته بعباده، فكل عملٍ صالحٍ قائمٍ على الإيمان والعقيدة الصحيحة فإنَّه يساهم في مغفرة الذنوب والسيئات، وقد أجمل الله ﷻ هذا المفهوم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114]، أي: "إنّ الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يرضيه، يُذهِب آثام معصية الله، ويكفّر الذنوب"[3].

ويأتي الجهاد في سبيل الله ﷻ على رأس هذه الأعمال الصالحة المكفِّرة للذنوب بعد الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۞ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصف: 10– 12]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آل عمران: 157]، "والمقصود في الآية: بيان مزية القتل أو الموت في سبيل الله تعالى، وزيادة تأثيرهما في استجلاب المغفرة والرحمة"[4]، وقد ثبت أنَّ للشهيد عند ربه ست خصال، أولها كما قال ﷺ: **(يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ)**[5].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (25/5).

(2) ينظر: الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (ص105).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (509/15).

(4) الشوكاني، فتح القدير (451/1).

(5) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد/باب فضل الشهادة في سبيل الله، ص476: رقم الحديث 2799]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن ابن ماجه (392/2).

خامساً: النجاة من النار.

حذَّر الله ﷻ عباده المؤمنين من نار جهنم أشد التحذير، وأَمَرهم بأن يقوا أنفسهم وأهليهم من هذه النار، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6] فالمؤمن يعيش بين شعوري الخوف والرجاء، خوفاً من غضب الله تعالى وناره، ورجاءً لرحمته تعالى وجنته، ومن حصَّل هذين الأمرين فقد فاز فوزاً عظيماً، قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران: 185].

وتُعَدُّ التضحية بالنفس في سبيل الله ﷻ أحد أهم الأسباب المنجية من نار جهنم، وقد وصف الله تعالى حال المضحين بأنفسهم وبأموالهم كحال التجار، فهي تشبه الصفقات التجارية الدنيوية من حيث توفر أركان التجارة من بائع ومشتري وسلعة وثمن، فالمؤمنون يضحون بأنفسهم في سبيل الله تعالى في الدنيا مقابل النجاة من النار ودخول الجنة في الآخرة؛ لذلك علَّق الله ﷻ النجاة من النار والعذاب الأليم بالإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ أولاً، ثم الجهاد بالنفس والمال ثانياً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الصف: 10– 11].

وقد بيَّن النبي ﷺ أنَّ المضحِّين بأنفسهم في سبيل الله ﷻ والنار لا يمكن أن يجتمعا أبداً، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي وَجْهِ رَجُلٍ أَبَدًا)**[1]، وفي حديث آخر عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**[2]، وإذا كانت العين وهي تمثل جزءً من الجسد، تتحصل على حصن إلهي من النار بمجرد البكاء من خشية الله تعالى، أو الحراسة في سبيله، فكيف بمن يبذل جسده كله وروحه من أجل الله تعالى!!

---

(1) [النسائي: سنن النسائي، كتاب الجهاد/باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ص479: رقم الحديث3111]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن النسائي (373/2).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، كتاب فَضَائِلِ الْجِهَادِ/باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، ص385: رقم الحديث 1639، قال الترمذي: حسن غريب]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن الترمذي (230/2).

سادساً: الوعد بالجنة.

وَعَدَ الله ﷻ عباده الذين يضحُّون بأنفسهم في سبيله بأن يدخلهم الجنة، وهذا الوعد قد كتبه الله ﷻ على نفسه، ليس فقط في القرآن، بل أيضاً في التوراة والإنجيل، وفي هذا دلالة على عِظَمِ ورفعة هذا الوعد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [التوبة: 111]، والمعنى: "وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعدًا عليه حقًّا أن يوفِّي لهم به، في كتبه المنزلة: التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وَفَّوا بما عاهدوا الله، فقاتلوا في سبيله ونصرةِ دينه أعداءَه، فقَتَلوا وقُتِلوا"[1].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنَّ الجهاد بالمال تقدَّم على الجهاد بالنفس في تسعة مواضع[2]، وتقدَّم الجهاد بالنفس على الجهاد بالمال مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111]، والحكمة من تقديم المال على النفس في هذه المواضع التسعة، أنَّ المجاهدة بالأموال أكثر وقوعاً، وأتمُّ دفعاً للحاجة حيث لا يُتصَور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال، والترتيب هنا حسب الوقوع، فالجهاد بالمال يقع أولاً للإعداد والتأهب للحرب، ثم الجهاد بالنفس[3].

أمَّا عن الحكمة من تقديم الجهاد بالنفس على المال في هذه الآية، فيقول ابن القيم: "فكان تقديم الأنفس هو الأَولى؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد، وهي السلعة التي استلمها ربها، وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبع لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإنَّ العبد وما يملكه لسيده، ليس له فيه شيء، فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية حسناً لا مزيد عليه"[4].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (498/14).

(2) المواضع هي: [النساء:95]، [الأنفال:72]، [التوبة:20، 41، 44، 81، 88]، [الحجرات:15]، [الصف:11].

(3) ينظر: الألوسي، روح المعاني (232/5).

(4) بدائع الفوائد (86/1).

فالشهيد المضحي بنفسه يكون يوم القيامة برفقة الأنبياء والصديقين والصالحين، وهؤلاء هم صفوة الله ﷻ من عباده، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: 69].

المطلب الثاني: ثواب المضحِّين بأموالهم.

جُبِلَ الإنسان على الحُبِّ الشديد للمال، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر: 20]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٞ﴾ [العاديات: 8]، وأكدَّ النبي ﷺ هذا الأمر فقال: **(لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا)**[1]؛ لذلك إنَّ مسألة إنفاق المال في سبيل الله تعالى أمرٌ ثقيلٌ على النفس، ولا يقوم به إلا من صدق إيمانه، وخلصت نيته، فهؤلاء يستحقون الأجر العظيم من الله ﷻ لِمَا بذلوه من مال في سبيله، وفي هذا المطلب سيتم عَرْض بعض ما أعدَّه الله ﷻ للمضحين بأموالهم في سبيله.

أولاً: الوصف بالتقوى.

التقوى هي: "صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر"[2]، والتقوى وصية الله ﷻ في الأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 131]، فالتقوى هي خير الزاد، ومعيار التفاضل بين الناس، ووصية الأنبياء–عليهم السلام–لأقوامهم، وبها يتحصل الإنسان على حُبِّ الله تعالى، وجنته، ورحمته، ومعيته، ونصره، والتقوى تفرج الكروب، وتوسِّع الرزق، وتجلب الخيرات، وما فرضت العبادات إلا لكي يتحصل المؤمن على التقوى.

وهناك ارتباط وثيق بين التقوى والإنفاق في سبيل الله ﷻ، وقد وصف الله ﷻ عباده المتقين بالمنفقين، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 2– 3]، فالإنفاق هو الصفة الثالثة للمتقين، وقد

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، ص402: رقم الحديث، 1048].

(2) الجرجاني، التعريفات (ص90).

اختلف العلماء في المراد من النفقة في هذا الموضع على عدة أقوال: فقيل: هي الزكاة المفروضة، وقيل: هي نفقة الرجل على أهله، وقيل: المراد صدقة التطوع، والصحيح أنها عامة؛ لأنَّها خرجت مخرج المدح في الإنفاق مما رزقوا، أي: يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة وغيرها[1]، وفي موضع آخر وصف الله ﷻ الإنسان التقي بأنه الشخص الذي يزكي ماله، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۞ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: 17 – 18].

والله ﷻ ربط بين الأضحية وبين التقوى، فالله لا يقبل من المضحين اللحوم والدماء؛ لأنه ليس بحاجة لها، بل يقبل الله ﷻ التقوى، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: 37]، أي: " لن يصعد إليه، ولا يبلغ رضاه، ولا يقع موقع القبول منه لحوم هذه الإبل التي تتصدقون بها، ولا دماؤها التي تنصب عند نحرها من حيث إنها لحوم ودماء ولكن يناله أي: يبلغ إليه تقوى قلوبكم، ويصل إليه إخلاصكم له، وإرادتكم بذلك وجهه"[2].

ثانياً: الوصف بالفَلَاح.

إنَّ التضحية بالمال في سبيل الله ﷻ، وإنفاقه في وجوه الخير هو طريق الفَلَاح في الدارين، والعلاقة بين الفَلَاح والتضحية بالمال هي علاقة متأصلة في القرآن الكريم، وقد اقترن الفلاح بالإنفاق في أكثر من موضع، منها: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: 14]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9].

وكلمة الفلاح جمعت أنواع الخير كله، فإن الفَلَاح نجاح المرء فيما يطمح إليه، فهو يجمع معنيي الفوز والنفع، وذلك هو الظفر بالمبتغى من الخير، والإتيان بفعل الماضي في قوله: ﴿أَفْلَحَ﴾ للتنبيه على المحقَّق وقوعه من الآخرة، واقترانه بحرف قد لتحقيقه، ومعنى تزكى أي: بذل استطاعته في تطهير نفسه بالأعمال الصالحة والتي تشتمل على زكاة الأموال[3]، والتضحية بالمال هي أفضل الطرق لتزكية المسلم وتطهيره، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103].

---

(1) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (179/1).

(2) الشوكاني، فتح القدير (538/3).

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (287/30).

وقد أكَّد الله ﷻ على وصف المؤمنين الذين يبذلون من أموالهم، وينفقونها في سبيله تعالى بأنهم هم المفلحون، قال الله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: 38]، وفي موضع آخر قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: 88] وتُبيِّن هذه الآية أنَّ الرسول ﷺ وأهل الإيمان معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى، فنالوا سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، فاستحق المؤمنون الفلاح، أي: إدراك البغية من الجنة، كما أنهم في الدنيا أهل الفلاح بالاستمتاع بالنصر والعزة، والثروة والكرامة، وانتصار الإيمان على الكفر، والهداية على الضلالة[1].

ثالثاً: مضاعفة الأجور.

وعد الله ﷻ المضحين بأموالهم في سبيله بأنَّه سيجازيهم أضعافاً كثيرةً، على ما أنفقوه من أجله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:261]، "هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأنَّ الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف... وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذِكْر عدد السبعمائة، فإنَّ هذا فيه إشارة إلى أنَّ الأعمال الصالحة ينميها الله ﷻ لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"[2].

وكَرَمُ الله ﷻ وعطاؤه لعباده المنفقين لا يتوقف عند حدٍّ معيَّن، فالله ﷻ جعل الأجر مفتوحاً أمام المضحين بأموالهم في سبيله، ترغيباً لهم على الإنفاق، وحثاً لهم على البذل والعطاء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:261]، أي: "والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف لمن يشاء من المنفقين في سبيله"[3].

---

(1) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (902/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (691/1).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (516/5).

ووصف الله ﷻ في آيةٍ أخرى هذه الأضعاف بأنها كثيرة، من غير تحديد، وهذا يعني أنَّ الأجر ليس له حد، قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245] والمعنى: "من يبذل ماله، وينفقه في سبيل الخير ابتغاء وجه الله تعالى، ولإعلاء كلمة الله ﷻ في الجهاد وسائر طرق الخير، فيكون جزاؤه أن يضاعف الله تعالى له ذلك القرض أضعافًا كثيرة؛ لأنه قرض لأغنى الأغنياء رب العالمين ﷻ"[1]، ويقول الفخر الرازي: "إنَّ هذا التضعيف لا يعلم أحدٌ ما هو، وكم هو؟ وإنما أبهم تعالى ذلك؛ لأنَّ ذِكْرَ المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود"[2].

رابعاً: الطهارة من الشُّح.

إنَّ المضحِّي بماله يقي نفسه من مرض الشُّح، الذي يُعَدُّ من أخطر الأمراض القلبية التي تفتك بالإنسان، فالشحيح يعيش في دوامة من الهم والكرب والضيق، وهو يَحْرِم نفسه من الكثير من ملذات الدنيا التي أباحها الله تعالى لعباده، والشُّح يوجب سخط الله ﷻ وعقابه؛ لأنه يؤدي إلى عدم أداء الزكاة، والبخل على من تجب نفقته عليه من أهل بيته.

قال تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: 9] أي: "إذا وُقِي العبد شحَّ نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوقَ شح نفسه، بل ابتُلِيَ بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته"[3]، فالمؤمن يجب أن ينتصر على نزعة الشحِّ، وأن ينزع الأثرة والأنانية من نفسه، حتى يضمن لنفسه الفوز في الدنيا والآخرة.

والشح كما أنَّه مدمِرٌ لحياة الشحيح نفسه، فإنَّ أثره يمتد إلى المجتمع كله، فالشح سبب رئيس في تمزيق المجتمعات، وإفساد العلاقات الاجتماعية بين الناس، فهو يؤدي إلى سفك الدماء، وانتهاك الحرمات، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا**

(1) الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان (378/3).
(2) مفاتيح الغيب (501/6).
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص850).

مَحَارِمَهُمْ)[1]، "وفي الإنفاق تحررٌ من استذلال المال، وانفلاتٌ من ربقة الشحِّ، وإعلاءٌ لحقيقة الأخوة الإنسانية على شهوة اللذة الشخصية، وتكافلٌ بين الناس يليق بعالَمٍ يسكنه الناس"[2]

خامساً: الحصول على مرتبة البِرِّ.

إنَّ مرتبة البِرِّ مرتبة عظيمة في الإسلام، وقد سمَّى الله ﷻ الذين يصلون إلى هذه المرتبة بأنهم الأبرار، والذين يتصفون بهذه الصفة لهم درجة عالية، ومقام رفيع عند الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۞ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطففين: 18 – 22]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: 5]، ويدعو المؤمن ربه ﷻ بأن يتوفاه مع الأبرار، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 193].

وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]، بيَّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ من أنفق مما أحبَّ نال البِرَّ، وكان من جملة الأبرار، وقد فصَّل الله ﷻ البِرَّ في آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: 177]، اشتملت هذه الآية على أكثر أعمال الخير، وسمَّاها الله ﷻ البِرَّ، أما في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]، فيعني ذلك: أنكم وإن أتيتم بكل أعمال الخير المذكورة في تلك الآية فهذا لن يجعلكم تفوزون بفضيلة البِرِّ حتى تنفقوا مما تحبون، وفيه دليل على أنَّ الإنفاق مما يحبه الإنسان هو أفضل الطاعات[3].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة/باب تحريم الظلم، ص1040: رقم الحديث 2578].

(2) قطب، في ظلال القرآن (376/1).

(3) ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (288/8).

سادساً: التيسير في الأمور الدنيوية والأخروية.

إنَّ التضحية بالمال في سبيل الله ﷻ من أهم أسباب التيسير في أمور الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: 5 – 7]، أي: "فسنهيئه للخلَّة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا، ليوجب له به في الآخرة الجنة"[1]، وقد عرَّف ابن عطية اليسرى بأنها: "الحال الحسنة المرضية في الدنيا والآخرة" [2]، وقيل: إنَّ الله ﷻ ييسر عليه فعل التقوى والطاعة، ويحتمل أن يكون في جميع الأمور في المكاسب والتجارات وغيرها[3].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)**[4]، وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:5 – 10]، قال ابن حجر: "تضمنت الآية الوعد بالتيّسير لمن ينفق في وجوه البر، والوعيد بالتعسير لعكسه، والتيسير المذكور أعمُّ من أن يكون لأحوال الدنيا، أو لأحوال الآخرة، وكذا دعاء المَلَك بالخَلَف، يحتمل الأمرين"[5]، وقال العيني: "ذِكْرُ هذه الآية الكريمة هنا إشارة إلى الترغيب في الإنفاق في وجوه البِرِّ؛ لأنَّ الله تعالى يعطيه الخلف في العاجل، والثواب الجزيل في الآجل"[6].

فالإنسان الذي يضحِّي بماله في سبيل الله تعالى، فإنَّ الله تعالى ييسر له أموره في الدنيا، فالصدقة تحِلُّ كثيراً من المشاكل الدنيوية، فهي تزيد المال، وتداوي المرضى، وتشرح الصدر، وتزيل الهم، وأمَّا للآخرة فإنَّ الله يهيئ له القيام بأعمال البِرِّ الموصلة إلى الجنة.

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (471/24).

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (491/5).

(3) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (63/10).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل:5]، ص280: رقم الحديث 1442].

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري (305/3).

(6) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (306/8).

سابعاً: عدم الخوف والحزن يوم القيامة.

وَعَدَ الله ﷻ الذين يضحُّون بأموالهم في سبيله بالأمن والأمان يوم القيامة، كما وعدهم بأن ينزع عنهم الخوف عما فاتهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: 262]، أي: "لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا، ولا في أهوال القيامة، وأن ينالهم من مكارهها، أو يصيبهم فيها من عقاب الله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا"[(1)].

إنَّ الناس يوم القيامة يخافون خوفاً شديداً، لما يجدون من أهوال وأمور عظيمة، ويحزنون لما فاتهم من عمل صالح كان بإمكانهم أن يقدموه لمثل هذا اليوم، لكن هناك فئات معينة من الناس لا يشعرون بهذا الخوف ولا يحزنون ذلك الحزن، ومن هذه الفئات فئة المنفقين في سبيل الله تعالى بشرط عدم إتباع الإنفاق منّاً ولا أذىً، "فهؤلاء قد آمنهم الله من الخوف؛ لِما يَرَون من بشريات الجزاء الحسن لأعمالهم الصالحة، وقد أخلى قلوبهم من الحزن"[(2)].

وذكَرَ ابن عادل* قولين: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: 262]:

1- إنَّ إنفاقهم في سبيل الله تعالى لا يضيع، بل يجدونه يوم القيامة، فلا يخافون فقده، ولا يحزنون بسبب ألا يوجد، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾ [طه: 112].

2- إنهم يوم القيامة، لا يخافون العذاب ألبتة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: 89]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: 103][(3)].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (519/5).

(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (335/2).

* هو: أبو حفص، سراج الدين، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، من أهم مؤلفاته: اللباب في علوم الكتاب، وحاشية على المحرر في الفقه، لا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد، توفي بعد (880هـ)، ينظر: الزركلي، الأعلام (58/5).

(3) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (385/4).

ثامناً: النجاة من النار.

إنَّ التضحية بالمال في سبيل الله ﷻ من الأسباب الرئيسة للنجاة من النار، فهي تأتي مباشرة بعد الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۞ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: 10 – 11].

وقد وعد الله ﷻ الذي يضحِّي بماله في سبيله ﷻ بأن يجنبه نار جنهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۞ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۞ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۞ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: 14 – 18]، أي: سَيُزَحزح عن النار التقي النقي الأتقى الذي يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا[1]، "وسيباعد عن النار كل تقي، اتقى الكفر والعصيان اتقاءً بالغاً، وهو الذي ينفق ماله ويعطيه في وجوه الخير، طالبا أن يكون عند الله زكياً، متطهراً نقياً من الذنوب، من غير رياء ولا سمعة"[2].

وقد ربطت السُّنَّة النبوية في كثير من الأحاديث بين التضحية بالمال وإنفاقه في وجوه الخير وبين النجاة من النار، لمَّا رأى النبي ﷺ أنَّ أكثر أهل النار من النساء، أخبر بأنَّ الصدقة هي الطريق المنجية من عذاب النار، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: **(أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا)** فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: **(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ)**[3].

ومن لطف الله ﷻ بعباده، أنه يقبل الصدقات من عباده، مهما كانت قليلة في نظر الناس، فعَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا، بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ)**[4]

---

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (422/8).

(2) الزحيلي، التفسير الوسيط (2889/3).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/باب الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ، ص285: رقم الحديث 1462].

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة/باب فضل الإحسان إلى البنات، ص1055: رقم الحديث 2630].

تاسعاً: الوعد بالجنة.

لا تنفصل التضحية بالمال في سبيل الله ﷻ عن التضحية بالنفس، فكل منهما يكمل الآخر، وكما أن التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى جزاؤها الجنة كما تقدم، فإن التضحية بالمال كذلك، وقد جمع الله ﷻ بينهما في الوعد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: 111].

ولا عجب أن تكون التضحية بالمال أول الصفات التي يتصف بها المتقون، الذين أُعِدَّت لهم الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: 133 – 134]، أي: "أُعِدَّت الجنة التي عرْضُها السموات والأرض للمتقين، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله، إما في صرفه على محتاج، وإما في تقوية مُضعِف على النهوض لجهاده في سبيل الله"[1]، وقدم الإنفاق على غيره من الصفات، لأنَّه أدلُّ على الإخلاص، ولأنَّ المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام كان أشد احتياجاً إليه من غيره، إذ كان الفقر كثيراً، وكانت الحاجة إلى المال في الجهاد أشد؛ إذ كان ذلك ابتداء دولة[2].

ومن أبواب الجنة باب اسمه باب الصدقة، أعدَّه الله ﷻ للمضحين بأموالهم في سبيله تعالى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ،... وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ)**[3]

الخلاصة: في نهاية هذا المبحث، يظهر مدى كرم الله ﷻ مع عباده، سواءً المضحين بأنفسهم في سبيله أو المضحين بأموالهم: فأمَّا القسم الأول فهم موعودون إمَّا بالنصر أو الشهادة، وهم يفرحون بلقاء الله ﷻ، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، وهم موعودون بالنجاة من النار، ودخول الجنة، أما القسم الثاني، فهم المتقون المفلحون، المضاعفة أجورهم، المطهرة قلوبهم من الشحِّ، فهم بتضحيتهم بالمال حازوا على مرتبة البر، وقد تيسرت أمورهم في الدنيا والآخرة، فلا خوفٌ مما هو آت، ولا حزنٌ على ما فات، فهم ناجون من النار، فائزون بالجنة.

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (213/7).

(2) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (1412/3).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم/باب الرَّيَّانُ لِلصَّائِمِينَ، ص361: رقم الحديث 1897].

المبحث الثاني

عقاب المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم وأموالهم

إنَّ الثواب والعقاب الإلهي قائمٌ على العدل، فمن عدْل الله ﷻ في عباده أنَّه يجازي المحسنين، ويعاقب المسيئين، وقد نفى الله ﷻ المساوة بينهم على أي حال، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21]، فكما أنَّ الله ﷻ وعد المضحين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى بالثواب الجزيل كما تقدم، فإنَّه تعالى في المقابل توعد المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم وأموالهم بالعقاب الأليم، وسيبين الباحث في المطلبين الآتيين عقاب المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم وأموالهم.

المطلب الأول: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم.

إنَّ المتقاعسين عن التضحية بأنفسهم يفوتهم الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى للمضحين بأنفسهم في سبيله، ولا يقف الأمر عند فوات الأجر، بل إنَّ هناك عقاباً لمن تقاعس عن التضحية في سبيله، وقد بيَّن القرآن الكريم العقوبات المنتظَرة في حق من يحجم عن التضحية بنفسه، وسيذكر الباحث– إن شاء الله تعالى– ستاً من هذه العقوبات، وهي كالتالي:

أولاً: هلاك النفس.

ربط الله ﷻ بين التقاعس عن الخروج للجهاد في سبيله وبين هلاك النفس، قال الله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: 42]، ومعنى ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: يوجبون لأنفسهم الهلاك؛ لأنهم يورثونها سَخَط الله تعالى، ويكسبونها أليم عقابه[1]، وقد أورد الماتريدي سببين لهلاك الأنفس في هذه الآية: الأول: يهلكون أنفسهم بسبب أيمانهم الكاذبة بأنهم لا يستطيعون الخروج للقتال، والثاني: يهلكون أنفسهم بتركهم الخروج؛ لأنهم يُقتَلون إذا تركوا الخروج[2].

وتوعد الله ﷻ في آية أخرى المتقاعسين عن التضحية في سبيله بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: 39]، "والعذاب

---

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (271/14).

(2) ينظر: تأويلات أهل السنة (378/5).

الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمُعادين، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدِّمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء، وما من أُمَّة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء"[1].

ثانياً: الاتصاف بصفات المنافقين.

عاش المنافقون في حذر شديد من الوحي؛ لأنهم كانوا على علم بأنَّ الله ﷻ سيخبر النبي ﷺ بحقيقتهم، قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 64]، وقد تحقق هذ الأمر عندما نزلت سورة التوبة على النبي ﷺ؛ لتفضح المنافقين، وتكشف عورتهم، وتبيَّن صفاتهم، حتى سميت هذه السورة بالفاضحة، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ* قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ– رضي الله عنهما–: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا[2].

والتقاعس عن التضحية في سبيل الله ﷻ من أهم صفات المنافقين، فهم قوم برعوا في اختلاق الأعذار، والاستئذان عن الجهاد، قال الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 94]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى﴾ [التوبة: 49].

والمنافقون لا يعتذرون عن القتال في أرض المعركة فحسب، بل يرفضون أي فكرة ممكن أن تساهم في خدمة الجيش الإسلامي، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ [آل عمران: 167]، فكان

---

(1) قطب، في ظلال القرآن (1655/3).

* هو: سَعِيدٌ بْنُ جُبَيْرٍ بن هشام الأسدي، كوفي، أحد أعلام التابعين، كان فقيهاً، عابداً، ورعاً، ثقةً، خرج مع ابن الأشعث في جملة القراء، فلما هُزِم ابن الأشعث، هرب سعيد بن جبير إلى مكة، أَمَر الحجاج بقتله في سنة (95هـ)، ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (9/2–10)، وابن حبان، الثقات (275/4).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/باب الْإِخْرَاجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، ص960: رقم الحديث 4882].

بإمكانهم فعل أمور غير القتال، مثل: تكثير سواد المسلمين، أو الدعاء، أو الرباط، ولكنهم رفضوا ذلك متعللين بأنَّ الحرب لن تقع، ولو كانوا يعلمون ذلك للجؤوا للقتال[1].

ومن الآيات التي صوَّرت خبث المنافقين، وفرحهم بالقعود مع الخوالف، وكرههم للتضحية في سبيل الله ﷻ ، قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 81]، فالمنافقون نموذج لضعف الهمَّة، فهم يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويتساقطون خلف الصفوف المؤمنة المجاهدة العارفة بأنَّ طريقها مملوءة بالعقبات والأشواك؛ لأنها تدرك بفطرتها أنَّ كفاح العقبات والأشواك ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال[2]، ومن أهم صفات المنافقين:

1- وصفهم بالكذب.

الكذب هو الصفة الغالبة على المنافقين، وقد شهد الله ﷻ على كذبهم، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:1]، وينكشف كذب المنافقين في المواقف الصعبة، كالخروج إلى القتال في سبيل الله تعالى، ومواطن الإنفاق في سبيل الله تعالى، حينها تتبين الحقيقة، ويُعرَف الصادقُ من الكاذب، والمؤمن من المنافق، وهذا ما حدث بالفعل في غزوة تبوك، تلك الغزوة التي فضحت المنافقين، وكشفت حقيقتهم، وأفصحت عما في داخلهم من تكذيب لله ورسوله، وقد تقدم في البند السابق كيف كانوا يحلفون بالله كذباً، أنهم لو استطاعوا الخروج لخرجوا، وقد أكدَّ الله ﷻ على وصمهم بصفة الكذب، مما عرضهم لهلاك أنفسهم.

وفي موضع آخر تحدثت الآيات عن تكذيب المتقاعسين عن التضحية لله ﷻ وللرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 90] وتتحدث الآية في القسم الثاني منها عن الذين قعدوا عن الجهاد في سبيل الله تعالى، وهم الذين كذبوا الله ورسوله بادّعائهم الإيمان من منافقي الأعراب الذين جاؤوا ولم يعتذروا، وظهر بذلك أنهم كاذبون، هؤلاء توعدهم الله بالعذاب المؤلم في نار جهنم؛ لأنهم قوم كافرون[3].

---

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (160/2).

(2) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (1682/3).

(3) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (903/1).

2- الطبع على قلوبهم، ووصفهم بعدم الفقه وعدم العلم.

إنَّ الطبع على القلب، وعدم الفقه والعلم، أوصافٌ أطلقها الله ﷻ على المنافقين المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله تعالى، وسبب هذه الأوصاف الإعراض عن العطاء والتضحية بالنفس في سبيل الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87] ، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 93]، والمراد من الطبع على القلوب: "أنها خُتِم عليها بحيث لا يصل إليها الخير، ولا تعرفه ولا تطمئن إليه، وهذا الطبع هو أشد الأمراض"[1]، وسبب الطبع على قلوبهم هو: "تكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله"[2].

ويلاحظ في الآية الأولى أنَّ الله تعالى أسند الطبع إلى المجهول إمَّا للعلم بفاعله وهو الله تعالى، وإمَّا للإشارة إلى أنهم خُلِقوا كذلك وجُبِلوا عليه، وفرَّع على الطبع عدم الفقه: أي عدم إدراك الأشياء الخفية، أي آثروا القعود على الجهاد، فهم لا يدركون إلا المحسوسات، فلذلك لم يكونوا فاقهين، وذلك أصل جميع المضار في الدارين[3]، وأسند الطبع على قلوبهم إلى الله تعالى في الآية الثانية للإشارة إلى أنَّه طبعٌ أنشأه الله ﷻ في قلوبهم؛ لغضبه عليهم، فحرمهم النجاة، وزادهم عماية؛ ولأجل هذا المعنى فرَّع عليه عدم العلم؛ لنفي أصل العلم عنهم[4].

3- قربهم من الكفر.

المنافقون فئة مذبذبة بين المؤمنين والكافرين، فهم مسلمون في الظاهر، كافرون في الباطن، قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: 143]، "أي: مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين، وتارة إلى الكافرين"[5]، ويتبين قرب المنافقين من الكفر في أوقات القتال والتضحية والعطاء، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: 167]،

(1) ابن جبرين، الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية (601/2).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (197/4).
(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (10/ 289-290).
(4) ينظر: المرجع السابق، (6/11).
(5) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (360/1).

يرى الواحدي أنَّ المنافقين كانوا قبل يوم أُحُد أقرب إلى الإيمان بظاهر حالهم، فلما أظهروا خذلانهم للمؤمنين، صاروا أقرب إلى الكفر من حيث الظاهر[1]، وقيل: "إنَّهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان، وما ظهرت منهم أمارة مؤذنة بكفرهم، فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين، وقالوا ما قالوا، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم، واقتربوا من الكفر، وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان؛ لأنَّ تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين"[2].

وهناك تفسير آخر يجزم بأنَّ المنافقين كافرون قطعاً، قال النيسابوري: "قال أكثر العلماء: إنه تنصيصٌ من الله تعالى على أنَّهم كفار؛ لأنَّ القرب من الكفر حصول الكفر"[3]، ونقل الألوسي عن الحسن قوله: "إذا قال الله تعالى أَقْرَبُ فهو لليقين بأنَّهم مشركون، ولا يخفى أنَّ الآية كالصريح في كفرهم، لكنَّهم مع هذا لا يستحقون أن يعاملوا بذلك معاملة الكفار"[4].

والذي يراه الباحث أنَّ المنافقين كافرون؛ لأنَّ الله ﷻ جمع بين الكافرين والمنافقين في أربعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140]،[5] وجمع في موضعين آخرين بين المنافقين والمشركين، قال الله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: 73]، وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفتح: 6].

4- الوعيد بالنار.

توعد الله ﷻ المنافقين بعذاب النار، ووصف الله تعالى هذا العذاب بأوصاف متعددة، فهو عذابٌ أليمٌ، مقيمٌ، مهينٌ، قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 138]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 68]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: 16].

---

(1) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص242).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (110/2).

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (305/2).

(4) روح المعاني (331/2).

(5) المواضع الأخرى هي: [التوبة: 68]، [الأحزاب: 1، 48].

وقد اتفق العلماء على أنَّ المنافق أشد عذاباً من الكافر[1]؛ لأنَّه في أسفل دركاتها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: 145]، يقول الرازي: "لمَّا كان المنافق أشد عذاباً من الكافر؛ لأنَّه مثله في الكفر، وضُمَّ إليه نوعٌ آخر من الكفر، وهو الاستهزاء بالإسلام وبأهله؛ وبسبب أنَّهم لمَّا كانوا يظهرون الإسلام يُمْكِنُهم الاطلاع على أسرار المسلمين، ثم يخبرون الكفار بذلك، فكانت تتضاعف المحنة من هؤلاء المنافقين؛ فلهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيَد من عذاب الكفار"[2]، "فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار؛ لأنَّ الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين"[3].

المطلب الثاني: عقاب المتقاعسين عن التضحية بأموالهم.

توعد الله ﷻ المتقاعسين عن التضحية بأموالهم بعقابٍ شديدٍ في الدنيا والآخرة، وسيتعرض الباحث لأهم هذه العقوبات، وهي كالتالي:

أولاً: هلاك النفس أو المال أو كليهما.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، يأمر الله ﷻ بالإنفاق في سبيله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال وبذلها فيما يقوى به المسلمون في قتال الأعداء، ويخبر ﷻ أنَّ ترْك الإنفاق فيه الهلاك والدمار[4]، والتقاعس عن الإنفاق في سبيل الله تعالى يؤدي إلى الهلاك بلا شك، "فمن بخل بالقليل من ملكه فقد سدَّ على نفسه باب نجاته، وفتح عليها طريق هلاكه"[5]، قال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۞ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: 25 – 28]، وسيذكر الباحث نموذجاً لهلاك النفس والمال معاً، ونموذجاً آخر لهلاك المال فقط:

---

(1) ينظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه (2/ 364).

(2) مفاتيح الغيب (251/11).

(3) ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص402).

(4) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (530/1).

(5) السلمي، حقائق التفسير (273/1).

1- هلاك النفس والمال معاً:

إنَّ اكتناز الأموال وعدم إخراج حق الفقراء والمساكين منها، وعدم إنفاقها في وجوه الخير، سبب رئيس في هلاك المال وصاحبه، وقد مثَّلت قصة قارون هذا النموذج، وهو رجل من قوم موسى عليه السلام، آتاه الله ﷻ من الكنوز والأموال ما يعجز الرجال الأقوياء عن حمل مفاتيح خزائنها، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: 76].

وقد بغى قارون على قومه بكثرة ماله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: 76]، "فربما بغى عليهم بظلمهم، وغصبهم أرضهم وأشياءهم- كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان-وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء"[1]، وقد قام مجموعة من عقلاء القوم بإسداء عدة نصائح لقارون، وكان من ضمنها أن يحسن إلى الفقراء والمساكين كما أحسن الله ﷻ له، بأن أعطاه هذه الكنوز والأموال العظيمة، قال الله تعالى على لسان قوم قارون: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، أي: "وأحسن في الدنيا إنفاق مالِك الذي آتاكه الله، في وجوهه وسبله، كما أحسن الله إليك"[2].

ولم يقبل قارون نصائح قومه، وخرج ذات يوم بكامل زينته متكبراً متفاخراً على قومه، وقد جُمِعَت له زهرة الحياة الدنيا وزخرفها، فكانت النتيجة أن عاجله الله ﷻ بالعقوبة فخسف به وبداره الأرض، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:81]، فكان العقاب هلاكاً لقارون ولكل ما يملك من الكنوز والأموال الطائلة.

2- هلاك المال:

يكون الإمساك عن التضحية بالمال أحياناً سبباً في هلاك المال فقط دون صاحبه، وتمثل قصة أصحاب الجنة هذا النموذج، فقد قصَّ الله ﷻ علينا قصة إخوة أعطاهم الله ﷻ بستاناً عظيماً، فقابلوا هذه النعمة بالشح والبخل والعزم على حرمان المحتاجين من ثمرها؛ لذلك حلفوا

(1) قطب، في ظلال القرآن (2711/5).
(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (625/19).

ليقطعن ثمارها في أول الصبح، وآخر جزء من الليل خفيةً حتى لا يراهم أحد من المساكين[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم:17].

وفي طريقهم إلى البستان، كانوا يتخافتون فيما بينهم، "ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفًا أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء"[2]، وقد اتفقوا على عدم إدخال أحدٍ من المساكين إلى جنتهم، قال الله تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۞ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ [القلم: 23 – 24].

ولم يكن يعلم هؤلاء بأنَّ الله ﷻ يعلم ما تخفيه قلوبهم، ويسمع ما يتخافتون به، فكان الله ﷻ لهم بالمرصاد، فعاقبهم بإهلاك جنتهم، قال الله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: 19– 20]، أي: "أصبحت جنّتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم"[3]، فكان العقاب في هذه الحالة هلاكاً للمال فقط، وبقيت لهم أنفسهم وأزواجهم وأولادهم.

وقد اختلف المفسرون في مصير أصحاب الجنة، ومنشأ الخلاف هو الاختلاف في عود الضمير في ﴿كَانُوا﴾ من قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: 33]، ويرى الباحث أنَّ أصحاب الجنة صدقوا الله تعالى في توبتهم، بدليل قوله تعالى على لسانهم: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: 32]، أما الضمير في ﴿كَانُوا﴾ فهو يعود إلى ما عاد إليه ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾، وهم المشركون، فإنهم كانوا ينكرون عذاب الآخرة، فهُدِّدوا بعذاب الدنيا، ولا يصح عوده إلى أصحاب الجنة، لأنهم كانوا مؤمنين بعذاب الآخرة وشدته[4].

ثانياً: توريث النفاق.

التقاعس عن التضحية بالمال في سبيل الله ﷻ من الأسباب التي تورث الإنسان النفاق، فالبخل يزرع النفاق في قلب صاحبه، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ

(1) ينظر: العليمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن (128/7).
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص815).
(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (544/23).
(4) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (90/29).

ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۞ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: 75 – 77]، ومعنى الآيات: من هؤلاء المنافقين من عاهد الله تعالى إن أعطاه الله ﷻ مالاً، ليُخرِجنَّ الصدقة، ولينفقنَّه في سبيل الله تعالى ﷻ، فلما رزقهم الله تعالى وآتاهم من فضله بخلوا بهذا المال، فلم يتصدّقوا منه، ولم ينفقوا منه في حق الله ﷻ، وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه، فأورثهم الله تعالى نفاقاً في قلوبهم؛ بسبب بخلهم، وإخلافهم الوعد بإخراج الصدقة، والنفقة في سبيله، وقد حَرَمهم الله ﷻ التوبة من هذا النفاق؛ لأنه جلَّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنَّه أعقبهموه إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم، وخروجهم من الدنيا[1].

ثالثاً: العسر في الحياة الدنيا والآخرة.

يُعَدُّ البخل والتقاعس عن التضحية بالمال من أهم الأسباب التي تقود الإنسان إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، فأما في أمور الحياة الدنيا فالبخل يجلب الضيق والبؤس والنكد، وأما في الآخرة فيجلب سخط الله ﷻ، وعذابه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۞ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: 8 – 11]، ومعنى الآيات: والذي يبخل بماله، ويستغني عن هدى الله ﷻ، ويكذب بدينه، فإنَّه يُعَرِّض نفسه للفساد، ويستحق أن يعسِّر الله تعالى عليه كل شيء، فيوفقه إلى كل وعورة، ويحرمه من كل تيسير، ويجعل في كل خطوة من خطواته مشقة وحرجاً، فينحرف به عن طريق الرشاد، ويصعد به في طريق الشقاوة، فهو يتعثر، فيتقي العثار بعثرة أخرى، تبعده عن طريق الله ﷻ، فإذا سقط في نهاية العثرات والانحرافات، لم يغنِ عنه ماله الذي كان يبخل به[2].

رابعاً: تطويق الأعناق يوم القيامة.

تطويق عنق المتقاعس عن التضحية في سبيل الله ﷻ أحد العقوبات التي تنتظره يوم القيامة، وقد بيَّن الله ﷻ أنَّ المال الذي يبخلون بإنفاقه في الدنيا سيتحول إلى عقاب عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 180]، "هذه الآية نزلت في البخل

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (370/14).
(2) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (3922/6).

بالمال، والإنفاق في سبيل الله، وأداء الزكاة المفروضة"[1].

وقد فسَّر النبي ﷺ هذه الآية، وأعطى صورة دقيقة لحال البخيل الذي بخل بماله، فالله ﷻ يُحوِّل هذا المال إلى ثعبان ضخم، يطوق رقبة صاحبه البخيل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ[2]، لَهُ زَبِيبَتَانِ[3]، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ[4] يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ)** ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[آل عمران: 180][5].

خامساً: العذاب الأليم.

يبشر الله ﷻ –على سبيل التهكم– الذين يكنزون الذهب والفضة، ولا يؤدُّون الحق الواجب منها بعذابٍ أليمٍ يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَفِرُّ مِنْهُ صَاحِبُهُ، فَيَطْلُبُهُ، وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ، قَالَ: وَاللهِ لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ، حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ فَيُلْقِمَهَا فَاهُ)**[6]، وقد بيَّن ابن الهائم* نوع الكنز الذي يوجب هذا العذاب، فقال: "كل مالٍ أديتَ زكاته فليس بكنزٍ وإن

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (291/4).

(2) الشجاع الأقرع: حية ذَكَر، سُمِّي أقرع؛ لأنَّه يقرع السم، ويجمعه في رأسه حتى تتمعط منه فروة رأسه، ينظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (253/8).

(3) زبيبتان: نكتتان سوداوان فوق عينيه، وهو أخبث ما يكون من الحيات، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(4) لهزمتان: مثنى لِهْزِمة، وهما عَظْمان ناتئانِ في اللحيين تحت الأذنين، ينظر: ابن منظور، لسان العرب (556/12).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/باب ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[التوبة: 34]، ص865: رقم الحديث 4565].

(6) [المرجع السابق، كتاب الْحِيَلِ/باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق، خشية الصدقة، ص1328: رقم الحديث6957].

* هو: أحمد بن محمد القرافي المصري المعروف بابن الهائم، ولد بالقاهرة سنة (756هـ)، برع في الفقه والعربية، وعلم الفرائض، ارتحل إلى القدس، وانقطع به للتدريس والإفتاء، من مؤلفاته: ترغيب الرائض في علم الفرائض، اللمع في الحث على اجتناب البدع، وغيرها، توفي عام (815هـ)، ينظر: السخاوي، الضوء اللامع (157/2)، ونويهض، معجم المفسرين (70/1).

كان مدفوناً، وكل مالٍ لم تؤد زكاته فهو كنزٌ وإن كان ظاهراً، يُكوَى به صاحبه يوم القيامة"[1].

ثم فصَّل الله ﷻ نوعية هذا العذاب، فقال: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 35]، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ)**[2].

وهناك عدة تفسيرات لتخصيص الجباه والجنوب والظهور بالعذاب، قال أبو حيان: "وخُصَّت هذه المواضع بالكَيِّ، قيل: لأنَّه في الجبهة أشنع، وفي الجنب والظهر أوجع، وقيل: لأنَّها مجوفة فَيَصِلُ إلى أجوافها الحر، بخلاف اليد والرجل، وقيل: معناه يُكْوَون على الجهات الثلاثة: مقاديمهم ومآخرهم وجنوبهم"[3]، وقيل: "لأنَّها أشرف الأعضاء الظاهرة، فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسية التي هي الدماغ والقلب والكبد"[4].

الخلاصة: يتبين من خلال هذا المبحث أنَّ الله ﷻ توعد المتقاعسين عن التضحية في سبيله بأنفسهم بالهلاك، لأنهم مكذبون لله تعالى ولرسوله ﷺ، وهم أناس طبع الله ﷻ على قلوبهم، ووصفهم بعدم الفقه وعدم العلم، فأصبحوا منافقين وقريبين للكفر؛ لذلك فإنَّ مصيرهم النار، وقد توعد المتقاعسين عن التضحية بأموالهم في سبيل الله تعالى إمَّا بهلاكهم مع أموالهم، أو بهلاك أموالهم فقط، والتقاعس عن التضحية يورث النفاق، والعسر في الحياة الدنيا والآخرة، ويؤدي إلى تطويق الأعناق يوم القيامة، ثم إلى عذاب النار.

---

(1) التبيان في تفسير غريب القرآن (ص224).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/باب إثم مانع الزكاة، ص381: رقم الحديث987].

(3) البحر المحيط (39/5).

(4) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (80/3).

الفصل الثالث

نماذج للتضحية بالنفس والأهل والمال

المبحث الأول

نماذج للتضحية بالنفس

المضحِّي بنفسه إنسانٌ، سمَت روحه، وصفا قلبه، واطمأنت نفسه، فهو متعلق بخالقه، لا ينظر إلى الدنيا الفانية، بل ينظر إلى رضا الله ﷻ؛ لذلك تهون نفسه، ولا يبخل بالتضحية بها من أجل خالقها، وسيعرض الباحث في هذا المبحث–إن شاء الله تعالى– نماذج قرآنية للمضحين بأنفسهم في سبيل الله تعالى:

المطلب الأول: تضحية إبراهيم عليه السلام بنفسه.

مَرَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام في مسيرة حياته بسلسلة من الابتلاءات، وكان أحدها إلقاؤه في النار، وحدَثَ ذلك عندما وجد قومه يعبدون الأصنام من دون الله ﷻ، وقد استنفد إبراهيم عليه السلام كل الوسائل الدعوية مع قومه، لكي يثنيهم عن عبادة الأصنام، ويعبدوا الله وحده، ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته، وأصرُّوا على شركهم، بل وناصبوه العداء.

وجاءت اللحظة الحاسمة، عندما قرَّر إبراهيم عليه السلام أن يحطِّم أصنامهم التي اتخذوها آلهة من دون الله ﷻ، وهو يعلم نتيجة ذلك الأمر، قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 57]، أقسم إبراهيم عليه السلام بأن يكيد أصنام قومه بتكسيرها، وذلك بعد أن يولوا مدبرين إلى عيدهم، وكان لهم عيد يخرجون إليه، وقد سمع بعض الناس قَسَم إبراهيم عليه السلام[1]، وقيل: "لم يسمعه إلا رجل واحد، وهو الذي أفشاه عليه، والواحد يُخبَر عنه بخبر الجمع إذا كان ما أخبر به مما يَرضَى به غيرُه"[2].

بَرَّ إبراهيم عليه السلام بيمينه، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 58]، "أي: فتاتاً، وكلّ شيء كسرته: فقد جذذته"[3]، والجذُّ هو كسر الشيء وتفتيته، ويطلق على حجارة الذهب المكسورة وفتاته[4]، وكان هدفه من وراء ذلك "أن يثبت لهم بالفعل أنها لا تضر، ولا تنفع غيرها، بل لَا تنفع نفسها، ولا تدفع عنها"[5].

---

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (348/5).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (297/11).

(3) ابن قتيبة، غريب القرآن (ص244).

(4) ينظر: الأصفهاني، مفردات غريب القرآن (ص190).

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير (4884/9).

وعندما رأى القوم ما حدث لآلهتهم، قرروا أن يوقدوا ناراً عظيمة ليحرقوا إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68]، لمَّا دُحِضَت حجة القوم، وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم، فجمعوا حطباً كثيراً جداً، ثم أضرموها ناراً ملتهبة، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق، وألقوه في النار، حينها قال: حسبي الله ونعم الوكيل[1]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–رضي الله عنهما–: "﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]"[2].

مثَّلَ سيدنا إبراهيم عليه السلام نموذجاً رائعاً للتضحية بالنفس، فقد ضحَّى بنفسه من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فحطَّم آلهة قومه المزعومة، وهو يدرك أنَّ القوم لن يتركوه، فاستعد للامتحان خير استعداد، فلم تثنِّه حرارة النار المُحرِقة الملتهبة عن توحيد ربه ودعوته إليه، وحينها تدخلت القدرة الإلهية، فأَمَرَ الله جل جلاله النار أن تكون برداً وسلاماً على خليله، قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، فكانت الغلبة لإبراهيم عليه السلام بنجاته من النار، وخسران قومه، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 70].

المطلب الثاني: تضحية ابن آدم.

لم يحدد السياق القرآني زمان ومكان وأسماء قصة ابني آدم، وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات التي فصَّلت القصة، إلَّا أنَّها كلها موضع شك في أنها مأخوذة عن أهل الكتاب الذين غيَّروا وبدَّلوا في كتبهم، والأفضل ذكر القصة مجملة كما وردت[3]، قال شاكر: "وأما تسميتهما "قابيل وهابيل" فإنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سُنَّة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا ألا نجزم به ولا نرجِّحه، وإنما هو قول قِيل"[4].

---

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (351/5).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: 173]، ص865: رقم الحديث 4563].

(3) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (875/2).

(4) عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير (662/1).

لذلك سيكتفي الباحث بظاهر القصة كما يعرضها القرآن الكريم، وأخْذ العِبرة منها، والقصة تقول: إنَّ آدم عليه السلام كان له ابنان، وقد قدَّم كل منهما قرباناً لله تعالى، وبِغَضِّ النظر عن نوع القربان، تقبل الله جل جلاله من أحدهما وقد كان مخلِصاً فيما قدَّمه، فالله عز وجل لا يقبل إلا من المتقين المخلصين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]، حينها قرَّر المردود قربانه أن يقتل أخاه بغياً بدون وجه حق، وواجه أخاه بما يدور بخاطره، قال الله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: 27]، فكان الردُّ من أخيه الصالح الذي تقبَّل الله تعالى قربانه، مليئاً بالحُبِّ والعطف والحنان على أخيه، قال الله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 28]، أي: لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة، إنَّي أخاف من أن أصنع كما تريد أن تصنع، بل أصبر وأحتسب[1].

والشاهد من القصة أنَّ الأخ الصالح ضحَّى بنفسه من أجل الله عز وجل، وكان الرادع من أن يردَّ بالمثل على أخيه المعتدِي هو خوفه من الله تعالى، وقد تلطف لأخيه بالحوار، وذكَّره بالله سبحانه وتعالى وبإثم القاتل ومصيره يوم القيامة، قال الله تعالى على لسانه: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 29]، أي: "إذا أنت مددت يدك إليَّ لتقتلني، فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك، فهذا الخاطر – خاطر القتل – لا يدور بنفسي أصلاً، ولا يتجه إليه فكري إطلاقاً، خوفاً من الله رب العالمين، لا عجزاً عن إتيانه، وأنا تاركك تحمل إثم قتلي، وتضيفه إلى إثمك"[2].

المطلب الثالث: تضحية سحرة فرعون.

تمثِّلُ قصة سَحَرة فرعون نموذجًا رائعًا في التضحية بالنفس، قرَّر فرعون أن يجمع أمهر السحرة في عصره لمواجهة معجزة موسى عليه السلام المتمثلة بالعصا التي تتحول إلى ثعبان مبين، وكان لكلٍ من فرعون والسحرة هدفه الخاص به، فكان هدف فرعون سياسي وهو القضاء على موسى عليه السلام، الذي جاء يدعو لترك عبادة فرعون، ويوجه الناس لعبادة الله سبحانه وتعالى وحده، وكان هدف السحرة العائد المادي، والحظوة بالقرب من السلطان، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (85/3).
(2) قطب، في ظلال القرآن (876/2).

﴿لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: 41 – 42]، والمعنى: فلمَّا جاء السحرة إلى فرعون ابتدؤوا بطلب الجزاء، وهو إمَّا المال وإمَّا الجاه، فبذل لهم ذلك، وأكده بوعده تقريبهم منه؛ لأنَّ نهاية مطلوبهم هو المال، ورفع المنزلة فبذل كِلا الأمرين[1].

وعندما ابتلع ثعبان موسى عليه السلام كل ما جاء به السحرة، أيقن السحرة أنَّ الذي جاء به موسى عليه السلام ليس من قبيل السحر، وإنما هي معجزة إلهية حقيقية، فسجدوا لله تعالى، معلنين إيمانهم برب موسى وهارون، لتبدأ بعدها مرحلة الامتحان والاختبار، قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 45 – 47]، "إنَّ السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فَنِّهم، ومدى ما يمكن أن يبلغ إليه، وهم أعرف الناس بالذي جاء به موسى إن كان من السحر والبشر، أمَّ من القدرة التي وراء مقدور البشر والسحر، والعالِم في فنِّه هو أكثر الناس استعداداً للتسليم بالحقيقة فيه، حين تتكشف له؛ لأنَّه أقرب إدراكاً لهذه الحقيقة، ممن لا يعرفون في هذا الفن إلا القشور، ومن هنا تحوَّل السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين"[2].

وتجلَّت تضحيات السحرة العظيمة عندما ثبتوا في وجه الطاغوت وتهديداته، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: 49]، كما رفضوا كذلك إيثار المال والجاه على آيات الله تعالى البينات، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: 72]، أي: قال السحرة لفرعون: لن نتبعك، ونكذب من أجلك موسى عليه السلام الذي جاء بالحجج والأدلة على حقيقة دعواه، فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك، فإنما تقدر أن تعذّبنا في هذه الحياة الدنيا فقط[3].

وبرغم استهانتهم بعذاب الدنيا، إلا أنَّهم يعلمون أنَّ العذاب الذي هم ملاقوه ليس هيِّناً، بل عذابٌ شديدٌ، تُقطَّع فيه الأيدي والأرجل، ثم الصلب على جذوع النخل؛ لذلك توجهوا إلى الله تعالى لكي يصبرهم على هذا البلاء العظيم، وتمنوا من الله تعالى أن يتوفاهم وهم على ملة الإسلام،

---

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (502/24).

(2) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (1350/3).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (341/18).

قال الله تعالى على لسان سحرة فرعون: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126]، يقول قطب معلِّقاً على هذه الآية: "يقف الطغيان عاجزاً أمام القلوب التي خُيِّل إليه أنَّه يملك الولاية عليها كما يملك الولاية على الرقاب، ويملك التصرف فيها كما يملك التصرف في الأجسام، فإذا هي مستعصية عليه، لأنَّها من أمر الله، لا يملك أمرها إلا الله... إنه موقف من المواقف الحاسمة في تاريخ البشرية، هذا الذي كان بين فرعون وملئه، والمؤمنين من السحرة"[1]، "وبذلك يكون السحرة قد ضربوا للناس في كل زمان ومكان أروع الأمثال في التضحية من أجل العقيدة، وفي الوقوف أمام الطغيان بثبات وعزة، وفي الصبر على المكاره والآلام، وفي المسارعة إلى الدخول في الطريق الحق بعد أن تبين لهم، وفي التعالي عن كل مغريات الحياة"[2].

المطلب الرابع: تضحية المؤمنين في قصة أصحاب الأخدود.

ظهرت التضحية بالنفس في أبهى صورها في قصة أصحاب الأخدود، وذلك حين أقدمت مجموعة مؤمنة صابرة على التضحية بأرواحهم لتحقيق كلمة التوحيد، ليمثلوا نموذجاً يَحتذِي به من جاء بعدهم في أوقات الشدة والضعف، قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۞ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۞ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۞ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: 4 – 8].

اختلف المفسرون في المراد من أصحاب الأخدود في قول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: 4]، فقيل: إنَّ أصحاب الأخدود هم الذين عذبوا المؤمنين وألقوهم في النار، وقيل: إنهم أهل الإيمان الذين تم تعذيبهم، ويرجح الطبري الرأي الأول، والمعنى: "لُعِنَ أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود"[3]، وبمثله قال ابن كثير: "لُعِنَ أصحاب الأخدود... وهذا خبر عن قوم من الكفار عَمَدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ﷻ، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدُودًا وأججوا فيه ناراً، وأعدَّوا لها وقودًا يسعرونها به، ثم أرادوهم، فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها"[4]، ويؤيد الباحث ما ذهب إليه الإمامان الطبري وابن كثير.

---

(1) في ظلال القرآن (1352/3).

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (352/5).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (342/24).

(4) تفسير القرآن العظيم (366/8).

وجاءت قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم مجْمَلة، وفصَّلت السُّنَّة النبوية أحداثها، وملخص القصة أنَّ ملكاً طاغية ادّعى الألوهية، وكان له ساحر، فلما كبر في السن، طلب من الملك أن يرسل له غلاماً، ليخلفه في مهمته، وفي طريقه للساحر، كان الغلام يمرُّ براهب، فيجده على غير دِين الملك والساحر، فآمن بالله ﷻ على يد هذا الراهب، ولما وصل الخبر للملك أنَّ الغلام على غير دينه أمر بقتله، وقد حاول قتله بعدة طرق، فلم يستطع، ثم دلَّ الغلامُ الملك على الطريقة الوحيدة لقتله، وهو أن يأخذ سهماً من كنانة الغلام، ثم يقول باسم الله، رب الغلام، ويرميه به، حينها ينجح في قتله، وعندما رأى الناس ذلك، آمنوا برب الغلام، فاغتاظ الملك، وأمر بحفر الأخاديد، وإشعال النيران فيها، وحرْق المؤمنين، وكان من ضمنهم امرأة معها صبيها، وعندما وجدت حَرَّ النار ترددت، فقال لها صبيها: إنَّكِ على حق يا أماه، فاقتحمت النار[1].

وفي القصة ثلاثة نماذج للتضحية بالنفس في سبيل الله ﷻ:

أولاً: الغلام.

ضحَّى الغلام بنفسه في سبيل الله ﷻ، ومن أجل نشر كلمة التوحيد، وهذا واضحٌ عندما دلَّ الملك على السبيل إلى قتله: قال ﷺ على لسان الغلام: **(فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي)**[2]، كان الغلام ذكياً وفطناً، وأراد بطريقة ما أن يوجه أنظار الناس إلى حقيقة أنَّ الملك ليس إلهاً، بل هو مجرد إنسان، لا يضر ولا ينفع، وهذا ما حققه بالفعل، وعندما مات الغلام بالطريقة التي دلَّ عليها، "ما وسع الحاضرين والمشاهدين لتلك العملية إلا الرضوخ والإيمان بالله وحده والكفر بالملك، وهذا ما أراده الغلام بالملك، فانقلب الموقف لصالح الغلام وعقيدة التوحيد، وخسر الشرك والملك وكل المؤيدين له، هكذا تكون التضحية في سبيل العقيدة والدعوة إليها، وهكذا يكون الجود والبذل بالأنفس والأرواح في سبيل

---

(1) ينظر: القصة عند: [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق/باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، ص1202: رقم الحديث 3005].

(2) المرجع السابق، كتاب الزهد والرقائق/باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، ص1202: رقم الحديث 3005].

الدين والعقيدة، وهذا هو الجهاد في الإسلام"[1].

إنَّ ما قام به الغلام ليس انتحاراً، لأنه لم يطلب الموت لحَّد ذاته، وإنما بذل نفسه لتحيا الدعوة، وكان يطلب إيمان الناس، وهذا ما حققه بموته عندما آمن الناس برب الغلام، فكانت تضحيته بنفسه سبباً في نجاة قومه وأهله من نار الآخرة، وبذلك أعطى الغلام الدعاة درساً في التضحية في سبيل الله ﷻ، حتى لو أدَّى ذلك إلى ذهاب النفس، فهداية الناس وسعادتهم لا تتم إلا بتضحية الدعاة المخلصين.

ثانياً: المؤمنون.

طلب الغلام من الملك أن يجمع الناس لمشهد قتله، وكان الغلام ذكياً في طلبه، فهو أراد أن يثبت للناس بطريقة عملية بطلان دِين الملك، وإثبات الوحدانية لله ﷻ، وكان للغلام ما أراد عندما **(قَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ)**[2]، "وقد ارتفع الإيمان بهذه القلوب على الفتنة، وانتصرت فيها العقيدة على الحياة، فلم ترضخ لتهديد الجبارين الطغاة، ولم تُفْتَن عن دينها، وهي تُحرَق بالنار حتى تموت، لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة، فلم يستذلها حُبُّ البقاء، وهي تعاين الموت بهذه الطريقة البشعة، وانطلقت من قيود الأرض وجواذبها جميعاً، وارتفعت على ذواتها بانتصار العقيدة على الحياة فيها"[3].

ثالثاً: الأم وصبيها.

جاء في نهاية القصة، أنَّ النبي ﷺ قال: **(حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)**[4]، هذا المشهد أكدَّ على حقيقة مهمة وهي أنَّ التضحية والفداء ليس حكراً على الرجال فقط، فقد قدَّمت النساء بمواقفهنَّ الرائعة نماذج عظيمة للتضحية، منها تلك المرأة الحنون التي استجابت لنداء الحقِّ، وقررت أن تلقي بنفسِها في نارِ الطغاةِ، فتوقفت قليلاً، فألهم الله ﷻ صبيها لينطق بكلمات أذهبت بعض الشوائب العالقة في قلب أمه، لتلقي نفسها في النار وهي في قمة الإيمان وطهارة القلب، إنَّه نموذج رائعٌ للأمِّ الصالحة التي تتمسك بالحق، وتموت دونه، فقد ضربت أروع الأمثلة في الصبر والثبات، والتضحيةِ والفداءِ.

---

(1) السلطاني، في سبيل العقيدة الإسلامية (ص127).

(2) سبق تخريجه، ينظر: (ص96).

(3) قطب، معالم في الطريق (ص174).

(4) سبق تخريجه، ينظر: (ص96).

المطالب الخامس: تضحية مؤمن آل فرعون.

إنَّ طريق الدعوة إلى الله ﷻ طريق شاق يواجه فيه الداعية شتى أنواع العذاب النفسي والبدني، ويمكن أن يصل الأمر إلى حدِّ القتل، فقد تكون الكلمة أَحَدُّ من السيف، وأقوى من الرصاص، وذلك لما لها من تأثير في النفوس، فالجهاد بالكلمة يفوق الجهاد بالقتال، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ* ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: **(أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)** [1]، وفي حديث آخر عَنْ جَابِرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ)**[2].

فالجهاد بكلمة الحق في وجه الحكام والرؤساء الظلمة أعظم من القتال في ميادين القتال؛ "لأنَّ من جاهد العدو كان متردداً بين الرجاء والخوف، لا يدري هل يَغلِب أو يُغلَب، وصاحب السلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحق، وأمره بالمعروف، فقد تعرَّض للتلف، وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف"[3]، وقيل: "لأنَّ ظلم السلطان يسري في جميع من تحت سياسته، وهو جم غفير، فإذا نهاه عن الظلم، فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، بخلاف قتل كافر"[4].

قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

---

* هو: أبو سعيد، سَعْدُ بن مالك بن سِنَان الخدري، الخزرجي، الأنصاري، من حفاظ الحديث المكثرين، ومن العلماء الفضلاء العقلاء، رده النبي ﷺ في غزوة الخندق لصغر سنه، مات سنة (74هـ)، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (151/6).

(1) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن/باب الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، ص663: رقم الحديث 4011]، قال الألباني: حديث صحيح، الألباني، صحيح سنن ابن ماجه (314/3).

(2) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة/باب ذِكْرُ إِسْلَامِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، 215/3: رقم الحديث 4884، قال الحاكم: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (285/2).

(3) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (330/6).

(4) المرجع السابق، (330/6).

كَذَّابٌ ﴾ [غافر: 28]، اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقيل: هو رجل من قوم فرعون، آمن بموسى عليه السلام، وكان يُسِرّ إيمانه خوفاً على نفسه من فرعون وقومه، وقيل: هو رجل من بني إسرائيل، كان يكتم إيمانه من آل فرعون، والراجح هو الرأي الأول، ودليل ذلك أن فرعون أصغى لكلامه، واستمع لما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، ولو كان إسرائيلياً لعاجله بالعقوبة؛ لأن فرعون لم يكن ليقبل النصيحة من بني إسرائيل؛ لأنَّه يَعُدُّهم أعداءً له، ولكنه لمَّا كان من قومه، استمع لقوله، وكفّ عما هَمَّ به من قتل موسى عليه السلام[1]، وهذا ما يميل إليه الباحث.

وكان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، حتى جاءت اللحظة التي يعلن فيها إيمانه، ويقول كلمة الحق، حتى لو كانت روحه ثمناً لهذه الكلمة، وهي اللحظة التي أراد فرعون فيها قتل موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر: 26]، حينها أخذت الرجل غضبة لله عز وجل، وقال كلمته: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[غافر: 28] [2].

وقد جاء في السُّنَّة موقفٌ مشابهٌ، ترددت فيه نفْسُ الكلمة، فكلمة الحق ثابتة لا تتغير، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ * قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: 28][3].

وقد بيَّن القرآن أنَّ النجاة كانت مصير مؤمن آل فرعون، بينما كان الغرق مصير فرعون وجنوده في الدنيا، والنار مصيرهم يوم القيامة، "وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مَكَرَ فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنَّه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا

---

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (376/21).

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (140/7).

* هو: عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني، إمام المدينة، كان عالما بالسيرة، حافظا، ثبتا، مات سنة (94هـ)، ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (62/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة/باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **(لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا)**، ص702: رقم الحديث 3678].

يحتملونه، وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وانقلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم"[1].

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: 45]، "أي: في الدنيا والآخرة، أمَّا في الدنيا فنجاه الله مع موسى عليه السلام، وأمَّا في الآخرة فبالجنة ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 45]، وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم. فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]، أي: أشده ألماً، وأعظمه نكالاً"[2].

المطلب السادس: تضحية مؤمن آل ياسين.

يمثِّل مؤمن آل ياسين نموذجاً في التضحية بالنفس من أجل الدعوة إلى الله ﷻ، فالمؤمن الصادق يدافع عن دعوته، ويبذل كل ما يستطيع من أجلها حتى لو أدَّى به ذلك إلى القتل، فالدعوة تحتاج إلى الصبر وتحمل المشاق من أجل إيصالها إلى الناس، فمؤمن آل ياسين ضحَّى بنفسه من أجل الدعوة إلى الله ﷻ، والعجيب أنَّه لم يكتف بدعوة قومه حياً، بل تمنَّى هدايتهم بعد قتلهم إياه.

تبدأ قصة مؤمن آل ياسين بعد قصة أصحاب القرية التي أرسل الله تعالى إليها اثنين من رسله لتوصيل الرسالة لهم، فما كان منهم إلا أن كذبوا الرسل، فعزز الله ﷻ إليهم برسول ثالث، فلم يؤمنوا كذلك، وكانت حجتهم في عدم الإيمان أنّ هؤلاء الرسل بشرٌ مثلهم، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15].

ثم بيَّن الله ﷻ قصة رجل آمن بما جاءت به الرُّسل، فقرَّر أن يتحمل التعب والمشقة، وأن يواجه المخاطر، وأصرَّ على القدوم من أقصى المدينة إلى أصحاب القرية لكي يطالبهم بأن يتبعوا المرسلين، وينكر عليهم الشرك، ويذكرهم بالرجوع إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 20]، "حينما استشعر قلبه

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص685).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (146/7).

حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره، فلم يطق عليها سكوتا، ولم يقبع في داره بعقيدته، وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره، وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق"[1].

لم يستجب أصحاب القرية لدعوة هذا الرجل المؤمن كما كان الحال مع الرسل الثلاثة من قبل، وقرروا أن يقتلوا هذا المؤمن الذي صدح بكلمة الإيمان، ودعا الناس إليها، ولم يذكر القرآن الكريم مقتل مؤمن آل ياسين صراحةً، ولكن أشار لذلك إشارة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: 26]، "وفي قوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ كناية عن قتله شهيداً في إعلاء كلمة الله تعالى؛ لأن تعقيب موعظته بأمره بدخول الجنة دفعة بلا انتقال يفيد بدلالة الاقتضاء أنه مات، وأنهم قتلوه لمخالفته دينهم"[2].

وبرغم ما فعلوه به، تمنَّى بعد موته الخير لقومه، قال الله تعالى على لسانه: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: 26-27]، أي: "يا ليتهم يعلمون أنَّ السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة"[3].

ثم بين الله ﷻ عقاب القرية التي كذبت رسله، وقتلت الرجل المؤمن، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: 28 – 29]، يخبر تعالى أنه انتقم من أهل القرية، غضباً منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه، وما احتاج إهلاكهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، فالأمر كان أيسر من ذلك، قال المفسرون: إنَّ الله ﷻ بعث إليهم جبريل عليه السلام، فصاح بهم صيحةً واحدةً، فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبقَ فيهم روح تتردد في جسد[4].

الخلاصة: بيَّن هذا المبحث ستة نماذج عظيمة للتضحية بالنفس، متمثلة في إبراهيم عليه السلام، وابن آدم الصالح، وسحرة فرعون، والمؤمنين في قصة أصحاب الأخدود، ومؤمن آل

(1) قطب، في ظلال القرآن (2963/5).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (370/22).
(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (509/20).
(4) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (573/6).

فرعون، ومؤمن آل ياسين، وقد ذكر الله ﷻ هذه النماذج في كتابه الحكيم؛ لتكون أمثلة خالدة يحتذي بها المسلمون في كل زمان ومكان.

المبحث الثاني

نماذج للتضحية بالأهل

الانتماء إلى الأهل والعائلة من فطرة الله ﷻ التي فطر الناس عليها، وقد حثَّ القرآن الكريم على رابطة القرابة، قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 75]، وقد جعل الله ﷻ الوالدين والأقربين أَولى الناس في الإنفاق، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: 215]، وبالرغم من قوة الروابط الأسرية، وعلاقتها المتينة، ذَكَرَ القرآن نماذج للتضحية بالأهل، وسيذكر الباحث بعض هذه النماذج.

المطلب الأول: تضحية إبراهيم بابنه إسماعيل- عليهما السلام-.

قبل البدء في هذا المطلب، ينبغي أن نشير إلى أنَّ العلماء اختلفوا في تحديد من هو الذبيح، ومنشأ الاختلاف أنَّ القرآن لم يحدده بشكل مباشر؛ لذلك قام كل فريق بحشد الأدلة التي تثبت صحة رأيه، وتجدر الإشارة أنَّ إمامي التفسير: الطبري وابن كثير، قد افترقا في هذه المسألة، فالطبري يقول: إنَّ الذبيح هو إسحاق عليه السلام[1]، أما ابن كثير فيقول: إنَّه إسماعيل عليه السلام [2]، وسار وراء كل إمام مجموعة كبيرة من المفسرين، ويرى الباحث أنَّ الراجح هو ما ذهب إليه ابن كثير وذلك لقوة الأدلة التي أوردها.

يُعدُّ إبراهيم عليه السلام رمزاً للتضحية في جميع مجالاتها، فهو يمثل نموذجاً فريداً في التضحية بالابن في سبيل الله ﷻ، يضحي بابنه الذي طالما انتظره، وقد رُزِق إبراهيم عليه السلام الولد بعد أن بلغ من العمر عتياً، بلغ حُبُّ إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل عليه السلام مبلغاً عظيماً، وعندما بلغ السعي مع أبيه، بدأ الابتلاء العظيم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102].

ابتُلِي إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه، وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه، فإنَّ الولد عزيز على نفس الوالد، وهو أمل الوالد في مستقبله، فبعد أن أقرَّ الله تعالى عينه بإجابة سؤله، وترعرع ولده، أمره بأن يذبحه، ويتولى بيده إعدام

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (86/21).
(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (27/7).

أحب النفوس إليه وذلك أعظم الابتلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: 106][1].

ثم بيَّن تعالى امتثال إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهما السلام– لأمر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 103– 105]، أي: فلما استسلما وانقادا، إبراهيم على الذبح، وإسماعيل على شهادة الموت، صرع إبراهيم عليه السلام ابنه على وجهه؛ ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه، حينها نودي إبراهيم عليه السلام، وقيل له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ أي: حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح[2].

وعندما رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أنَّه يذبح ابنه، أدرك أنَّها إشارة من ربه بالتضحية، فلم يتردد، ولم يخالجه إلا شعور الطاعة، ولم يخطر بباله إلا خاطر التسليم، إنَّما هو القَبول والرضا والطمأنينة والهدوء، ويبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعْرِض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب، قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102][3].

ثم عقَّب الله ﷻ بعد ذلك بذكر الفداء، فقال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107]، أي: "جعلنا الذبح فداءً له، وخلصناه به من الذبح"[4]، "ومن الجزاء الحسن الذي جازى الله ﷻ به إبراهيم عليه السلام، أنَّه سبحانه تقبَّل قربان إبراهيم بولده، دون أن يصاب هذا الولد بسوء، ثم ضاعف هذا الإحسان بعد أن تولَّى سبحانه فداء هذا الولد بهذا الذبح العظيم الذي قدمه لإبراهيم عليه السلام، فقدَّم الله ﷻ له قرباناً من فضله وإحسانه، وهذا ما يشير إليه وصف الذبح بأنَّه عظيم؛ لأنه مقدَّم من عند الله ﷻ الذي تُقدَّم إليه القربات، وليس الشأن في هذا الذّبح، أكان كبشاً نزل من الجنة، أو أُخِذ من الأرض، وإنما الشأن في أنَّه كان رمزاً لرضا الله ﷻ[5].

---

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (150/23).
(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (30/7).
(3) ينظر، قطب، في ظلال القرآن (2995/5).
(4) الشوكاني، فتح القدير (465/4)
(5) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (1008/12).

وتخليداً لهذا الحادث العظيم في حياة إبراهيم عليه السلام، مضت سنة النحر في الأضحى، عند الأمَّة الإسلامية؛ لتدرك أنَّ طبيعة العقيدة التي يقوم عليها الدِّين الإسلامي هي الاستسلام لقدر الله ﷻ، ثم لتعرف أنَّ ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء، ولا أن يؤذيها بالبلاء، إنَّما يريد أن تأتيه طائعة، مستسلمة، لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والآلام، واحتسبها لها وفاء وأداء، وقَبِلَ منها وفدّاها، وأكرمها كما أكرم أباها[1].

المطلب الثاني: تضحية أمِّ موسى بابنها عليه السلام.

عاشت أمُّ موسى عليه السلام في عصر أعتى الطغاة في تاريخ البشرية قهراً وظلماً للإنسانية، إنَّها فترة الطاغية فرعون، الذي كان إذا ذُكِر اسمه، مُلِئت النفوس خوفاً ورعباً، قال الله تعالى على لسان موسى وهارون–عليهما السلام– عندما أمرهما بالذهاب إلى دعوة فرعون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: 45]، وقد وصف الله ﷻ تعذيب فرعون لبني إسرائيل بأنه سوء العذاب، وأنه بلاء عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: 49].

وظهرت أمُّ موسى عليه السلام في هذه الأجواء المشحونة بالخوف والرعب، لتكون عنواناً للتضحية والفداء، ونموذجاً للتضحية بالابن في سبيل الله ﷻ، تلك المرأة الصالحة، المؤمنة الصابرة، التي امتُحِنت في ابنها امتحاناً شديداً، وقد شاءت إرادة الله ﷻ أن تلد أمُّ موسى عليه السلام في هذه الفترة، فخافت على ابنها خوفاً شديداً، إنه الخوف الفطري لأمٍّ تشعر بأنَّ ابنها على وشك أن يُذبَح، في هذا الوقت جاءها الوحي من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: 7].

وقد اختلف العلماء في المراد من وحي الله ﷻ لأمِّ موسى عليه السلام، فقيل: كان قولاً في منامها، وقيل: كان إلهاماً، وقيل: كان ملَكاً تمثل لها، وقيل: أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام، لكن أجمع الكل على أنَّها لم تكن نبيَّة[2]، ورجَّح ابن عاشور الوحي هنا

(1) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (2997/5).

(2) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (250/13).

بأنه "وحي إلهام، يوجد عنده من انشراح الصدر ما يحقق عندها أنَّه خاطر من الواردات الإلهية، فإنَّ الإلهام الصادق يُعرَض للصالحين، فيُوقِع في نفوسهم يقيناً، ينبعثون به إلى عمل ما أُلهِموا إليه"[1].

أوحى الله إلى أمِّ موسى عليه السلام أن تلقيه في اليمِّ في حال خافت عليه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: 7]، والمراد بالخوف هنا هو "الخوف عليه من القتل، لأنَّه كان إذا صاح، خافت أن يسمع الجيران صوته، فينمُّوا عليه"[2]، واليَمَّ هو البحر بإجماع أهل اللغة، والمراد به عند أَهل التفسير: هو نيل مصر [3]، قال الشعراوي: "لا توجد أمٌّ تُقبل على تنفيذ مثل هذا الأمر؛ لأنَّه موتُ محققٌ؛ لأنَّ الابن إن خُطِف أو فُقِد فهذا كله موتٌ مظنونٌ، أمَّا إلقاؤه في الماء فليس فيه موت مظنون، بل موتٌ مؤكدٌ، إن لم يُنجِّه الله تعالى، ولكن أمّ موسى لإيمانها بالله عز وجل فعلت ما أوحى به الله سبحانه وتعالى لها"[4].

أراد الله جل جلاله بعد ذلك أن يُطَمْئِن أمَّ موسى عليه السلام، فنهاها عن الخوف والحزن، وبشَّرها بأنَّ موسى عليه السلام راجع إليها، وبأنه سيكون من المرسلين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]، والخوف هنا غير الخوف الأول، والمراد به هنا هو "الخوف عليه من الغرق، ومن الضياع، ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان، وغير ذلك من المخاوف"[5]، ونهاها أيضا عن الحزن على فراقه، فالله سبحانه وتعالى سيرده إليها عن قريب، وسيجعله من المرسلين الذين يرسلهم الله جل جلاله إلى العباد[6].

ثم صوَّر القرآن حال أمِّ موسى عليه السلام بعد إلقائها طفلها في اليم، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10]، يعطي القرآن صورة حية لفؤاد أمِّ موسى عليه السلام، فاستعمل لفظة ﴿فَارِغًا﴾ أي: لا

(1) التحرير والتنوير (73/20).
(2) الزمخشري، الكشاف (393/3).
(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (42/4).
(4) الخواطر (6168/10).
(5) الزمخشري، الكشاف (393/3).
(6) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (184/4).

عقل فيه، ولا وعي، ولا قدرة على نظر أو تصريف، حتى كادت أن تذيع أمرها في الناس، وتخبر بأنها ألقت طفلها في اليم اتباعاً لهاتفٍ غريبٍ، ولكنَّ الله ﷻ ربط على قلبها، وثبَّتها، لتكون بعد ذلك من المؤمنين بوعد الله ﷻ، الصابرين على ابتلائه، السائرين على هداه[1] ثم يتبين لاحقاً تحقيق وعد الله ﷻ لأمِّ موسى عليه السلام، فقد نجَّى الله ﷻ موسى عليه السلام من الغرق والذبح على يدي فرعون، ثم ردَّ موسى عليه السلام لأمه لتعيش في قصر فرعون، ثم كان بعد ذلك التكليف الإلهي لموسى عليه السلام بالرسالة، ويكون هلاك فرعون على يدي موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: تضحية الابن بأمه.

كرَّم الإسلام الأم، ورفع من مكانتها، وجعل البِرَّ بها أصلاً من أصول الفضائل والأخلاق، وقد قدَّم حقها على حق الأبِّ؛ لِمَا تتحمله من آلام الحمل والولادة، ومشاق الإرضاع والتربية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **(أُمُّكَ)**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أُمُّكَ)**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أُمُّكَ)**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أَبُوكَ)**[2]، وقد قدَّس الإسلام رابطة الأمومة، فجعلها ثابتة، لا تتبدل ولا تتغير، فحرَّم الزواج من الأمهات، كما ضمن لها الإسلام حقاً ثابتاً في الميراث، وغيرها.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 14 – 15]، نزلت هذه الآيات في شأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه [3]، فعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ*، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنْ الْقُرْآنِ، قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا، قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنْ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي القرآن

---

(1) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (2680/5).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ص1029: رقم الحديث 2548].

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (138/20).

* هو: مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري، يكنى أبو زرارة، تابعي مشهور، ثقة، كثير الحديث، تُوفِّي سنة (103هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (169/5)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (84/4).

هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [لقمان: 14 – 15]، وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1] [2].

إنَّ وصية الله ﷻ بالوالدين وخصوصاً الأم يجب ألا تكون في معصية الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]، أي: "إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً"[3]، وعن عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)**[4].

فسعد بن أبي وقاص ﷺ كان بارًّا بأمِّه، محباً لها، وبالرغم من ذلك لم يستسلم لرغبتها، ورفض دعوة أمه إليه من تركٍ للإسلام، وإن كان في ذلك سخطها وغضبها أو حتى موتها، فعندما خاصمت سعداً، وحلفت ألا تأكل ولا تشرب، قال لها سعد: "يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفْس فخرجت نفْساً نفْساً، ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئتِ فَكُلِي، وإن شئتِ لا تأكلي، فأكلَت"[5]، فسعد ﷺ لم يقبل أن يترك الإسلام، حتى لو كان موت أمه ثمناً لذلك.

المطلب الرابع: تضحية الابن بأبيه.

أَمَر الله ﷻ بإفراد العبادة له وحده، وأتبعه بالإحسان إلى الوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]، وقد قدَّم النبي ﷺ برَّ

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، ص982: رقم الحديث 1748].

(2) في صحيح مسلم، طبعة بيت الأفكار الدولية، أضيفت كلمة ﴿حُسْنًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [لقمان: 14]، وهذا خطأ، فآية لقمان لا تشتمل على لفظة ﴿حُسْنًا﴾، وإنما هي موجودة في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت: 8]، ينظر: [مسلم: صحيح مسلم، (ص982).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (337/6).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ص769: رقم الحديث 1840].

(5) الواحدي، أسباب النزول (ص342)، قال محقق الكتاب الحميدان: إسناده لا بأس به.

الوالدين على الجهاد في سبيل الله تعالى، وجعله من أحب الأعمال إلى الله ﷻ، عن عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **(الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا)** قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **(ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ)** قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ **(قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)**[1].

إنَّ المؤمن مطالب بالإحسان لوالديه، ولو كانا مشركَين، إلا إذا كان في معصية الله ﷻ، فحينها لا سمع لهما ولا طاعة، وقد ذَكَر الله تعالى مقولة رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول، ثم بينت السُّنَّة كيف كان رد الابن المؤمن على أبيه المنافق، قال تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون: 8].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ[2] رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللهُ رَسُولَهُ ﷺ، قَالَ: **(مَا هَذَا)**؟ فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ)**، قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَ قَدْ فَعَلُوا، وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)**[3].

وقد أخرج الترمذي الحديث السابق وزاد فيه، "فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ*: وَاللَّهِ، لاَ تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَزِيزُ، فَفَعَلَ"[4]، أوضحت هذه الزيادة الموقف

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ/باب فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، ص538: رقم الحديث 2782].

(2) كسع: "أي ضَرَب دُبُرَه بيَده"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (173/4).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/باب قوله تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ** ﴾ [المنافقون: 8]، ص966: رقم الحديث 4907].

* هو: عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول الأنصاري، كان اسمه الحباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، من فضلاء الصحابة وخيارهم، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، استشهد يوم اليمامة سنة (12هـ) ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (940/3).

(4) [سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن/باب ومن سورة المنافقين، ص750: رقم الحديث 3315، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن الترمذي (355/3).

الإيماني الذي أبداه عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ، فهو يرفض أن يمسَّ النبي ﷺ أي كلمة لا تليق بمقامه الكريم، وقد وقف مدافعاً عن النبي ﷺ، شاهراً سيفه في وجه أبيه، وحلف ألا يدع أباه يدخل المدينة حتى يعترف أنه هو الذليل، وأنَّ النبي ﷺ هو العزيز، لم ينتصر عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ لأبيه، ولم تدفعه القبلية لأن يقف إلى جانب أبيه على حساب رسول الله ﷺ، بل ضحَّى برابطة الأبوة من أجل عزة الله ﷻ وعزة رسوله ﷺ.

قال ابن حجر عن عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول: "ومن مناقبه أَنَّهُ بَلَغَهُ بَعْضُ مَقَالَاتِ أَبِيهِ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِهِ، قَالَ: **(بَلْ أَحْسِنْ صُحْبَتَهُ)**"[1]، وقد علَّق الصالحي*على استئذان عبد الله بن عبد الله بن أبيّ في قتل أبيه المنافق، من أجل المقالة الخبيثة التي قالها، فقال: "إنَّ العرب كانت أشد خلق الله حميَّةً وتعصباً، فبلغ الإيمان منهم، ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده، تقرباً إلى الله تعالى وتزلفاً إلى رسوله ﷺ"[2]، "إنها لروعة تواجه القلب أينما اتجه وأينما قلَّب النظر في هذا الموقف الكريم، روعة الإيمان في قلب إنسان، وهو يَعْرِض على رسول الله ﷺ أن يَكِلَ إليه أشق عمل على النفس البشرية– أن يقتل أباه– وهو صادق النية فيما يَعْرِض"[3].

لكن النبي ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، لم يثأر لنفسه، بل صبر على أذى رأس المنافقين له، وأوصى ابنه بإحسان الصحبة إلى والده، وهي نفسها وصية الله ﷻ لمن ابتُلِي من المؤمنين بكفر أو نفاق والديه أو أحدهما، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 8].

---

(1) أخرجه ابن مندة كما ذَكَرَ ابن حجر، فتح الباري في صحيح البخاري (334/8)، قال المحقق البصارة: حديث حسن، ينظر: البصارة، أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري (2560/4) ولم أعثر على المرجع الأصلي.

* هو: محمد بن يوسف الشامي الصالحي، محدث، عالم بالتاريخ، من الشافعية، ولد في صالحية دمشق، وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة إلى أن توفى، من كتبه: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، يعرف بالسيرة الشامية، وقد جمعه من ألف كتاب، وعين الاصابة في معرفة الصحابة، وغيرها، مات سنة (942هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام (155/7).

(2) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (357/4).

(3) قطب، في ظلال القرآن (3578/6).

الخلاصة: اتضح من هذا المبحث أنَّ علاقة المرء بأهله هي علاقة قوية بحكم الفطرة، لكن المسلم يضحي بهذه العلاقة إذا كان رضا الله ﷻ في قطعها، ومثَّل إبراهيم عليه السلام نموذجاً لتضحية الأب بابنه، وأمُّ موسى عليها السلام نموذجاً لتضحية الأم بابنها، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه نموذجاً لتضحية الابن بأمه، وأخيراً عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول نموذجاً لتضحية الابن بأبيه.

المبحث الثالث

نماذج للتضحية بالمال

قدَّم القرآن الكريم نماذج للتضحية بالمال، وقد تنوعت شخصيات هذه النماذج ما بين رسل كرام، وأولياء صالحين، وصحابة، كما تباينت هذه النماذج في نوع التضحية، ليمثِّل كل منهم نموذجا خاصا ومستقلا، ولكن الهدف واحد، وسيعرض الباحث-إن شاء الله تعالى- أهم هذه النماذج القرآنية:

المطلب الأول: سليمان عليه السلام.

من الأحداث الواردة في قصة سليمان عليه السلام قصته مع ملكة سبأ، وفيها أنَّ هدهاً جاء لسليمان عليه السلام بخبر مفاده أنَّ أناساً في منطقة سبأ تحكمهم امرأة، وقد كانوا يعبدون الشمس من دون الله تعالى، حينها بعث سليمان عليه السلام لها رسالة يدعوها وقومها إلى عبادة الله ﷻ وحده، وإلا القتال، وكان المشهور من حال الملوك غالبا حبهم للمال، وحرصهم على امتلاك أكبر قدر ممكن منه، فالطمع والجشع يسيطر على قلوبهم، لذلك لا يأتون إلا بِشَرٍّ، وهكذا تولدت هذه القناعة لدى الناس بمن فيهم الملكة، قال تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34].

وقد كانت هذه الملكة تعلم ما يجول في نفوس الملوك، فقررت أن ترسل الهدايا والأموال إلى هذا الملك، لعله يتركهم وشأنهم، قال الله تعالى على لسانها: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35]، وكانت الملكة تنتظر الرد لِتُقَيِّمَ الأمر، "فإن يكن الرجل نبياً مرسَلاً فلا طاقة لنا به ولا قوّة، وإن يكن الرجل ملكاً يكاثر، فليس بأعزّ منَّا، ولا أعدّ، فهيَّأت هدايا مما يُهدَى للملوك، مما يُفتتون به، فقالت: إن يكن ملكا فسيقبل الهدية، ويرغب في المال، وإن يكن نبياً فليس له في الدنيا حاجة، وليس إياها يريد، إنما يريد أن ندخل معه في دينه، ونتبعه على أمره"[1].

ولم تكن تعلم هذه الملكة أنَّ الملك الذي تتعامل معه إنما هو نبي من أنبياء الله ﷻ، وقد آتاه الله ﷻ العلم والحكمة، وأعطاه مُلْكاً لم يحصل لبشر، وقد سخَّر الله تعالى له الريح والجن، وعلمه منطق الطير، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَٰطِينَ

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (456/19).

﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: 36 – 37]، وقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل: 16]، ثم كان من بعد تخصيص هذه المعجزات، أن أجمل عطاء الله ﷻ له، فقال: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

"والظاهر أنَّ سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكُلِّية، ولا اعتنى به، بل أَعْرَض عنه"[1] وهذا هو الشاهد من القصة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ [النمل: 36]، ، "وفي الرد استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله، مجال العقيدة والدعوة: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾، أتقدِّمون لي هذا العَرْض التافه الرخيص؟ ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ﴾، لقد آتاني من المال خيراً مما لديكم، ولقد آتاني ما هو خير من المال على الإطلاق: العلم والنبوة، وتسخير الجن والطير، فما عاد شيء من عَرَضِ الأرض يفرحني، ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾، وتهشون لهذا النوع من القيم الرخيصة التي تعني أهل الأرض، الذين لا يتصلون بالله تعالى"[2].

وهكذا مثَّل سليمان عليه السلام نموذجاً راقياً في التضحية بالمال، وبيَّن للملوك والحكام والرؤساء أنَّ المال الذي يتهافتون عليه ليس له قيمة عند الملك الصالح، وأنه يجب أن تُسخَّر القوة لأجل الدعوة إلى الله تعالى، بدلا من الحروب الطاحنة التي يكون المال غالباً السبب في اشتعالها.

المطلب الثاني: الخضر عليه السلام.

ذَكَرَ الله تعالى ﷻ قصة موسى مع الخضر–عليهما السلام–، فقال: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: 77]، وتبين هذا الآية الحادثة الثالثة من قصة موسى مع الخضر–عليهما السلام–، وذلك بعد حادثتي خرق السفينة وقتل الغلام، وعندما وصلا إلى القرية، كانا قد بلغا من الجوع والعطش مبلغاً كبيراً؛ لذلك طلبا طعاماً من أهلها، وقد كانوا بأمسَّ الحاجة إليه، "وطلَبُ الطعام هو أصدق أنواع السؤال، فلا يسأل الطعام إلا جائع محتاج، فلو سأل مالاً لقلنا: إنه يدخره، إنما الطعام لا يعترض عليه أحد، ومنْعُ الطعام عن سائله دليل بُخْل ولُؤْم متأصل في الطباع"[3].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (191/6).

(2) قطب، في ظلال القرآن (2640/5).

(3) الشعراوي، الخواطر (8962/14).

ومن البلاغة القرآنية استعمال لفظ أهلها، دون الإتيان بضميرهم بأن يقال: استطعماهم، لزيادة التصريح، تشنيعا بهم في لؤمهم، فقد أبوا أن يضيفوهما، وذلك لؤم؛ لأنَّ الضيافة كانت شائعة في الأمم من عهد إبراهيم عليه السلام، وهي من المواساة المتبعة عند الناس، ويقوم بها من يُنتَدَب إليها، أو من أعدَّ نفسه لذلك من كرام القبيلة[1]، وقد صوَّر القرآن مدى بُخْل هؤلاء القوم ولُؤْمهم وسُوء طباعهم، فلم يقُلْ: فأبوا أن يطعموهما؛ لأنَّ هذا يعني أنهم منعوهما الطعام فقط، ولكن أهل القرية أَبَوْا أن يُضيّفوهما، وهذا يعني: منعوهم من كل أنواع الضيافة حتى مجرد الإيواء والاستقبال، وهذا مُنْتَهى ما يمكن تصوُّره من لُؤْمْ هؤلاء الناس[2].

وبالرغم من بخل وشح ولؤم أهل القرية، وبالرغم من الجوع والعطش والتعب، قام الخضر بإصلاح جدار كان على وشك السقوط، حينها لم يستطع موسى عليه السلام أن يصبر على مثل هذا المشهد، فالمنطق يقتضي عدم إصلاح الجدار إلا بأجر، أو على أقل تقدير مقابل القليل من الطعام والشراب، قال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: 77]، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: "كان في مكنتك أن تجعل لنفسك أجراً على إقامة الجدار، تأخذه ممن يملكه من أهل القرية، ولا تقيمه مجانا؛ لأنهم لم يقوموا بحق الضيافة؛ ونحن بحاجة إلى ما ننفقه على أنفسنا... وهذا اللوم يتضمن سؤالا عن سبب ترك المشارطة على إقامة الجدار عند الحاجة إلى الأجر، وليس هو لوماً على مجرد إقامته مجاناً، لأن ذلك من فعل الخير وهو غير ملوم" [3].

إنَّ الخضر عليه السلام لم يطلب مالاً من أهل القرية على إقامته للجدار بالرغم من الحاجة الشديدة إليه في مثل وضعهم، بل قام بهذا العمل ابتداءً؛ وبعدما قرَّر الخضر عليه السلام مفارقة موسى عليه السلام وضح له حقيقة هذا الجدار، قال الله تعالى على لسان الخضر عليه السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82].

---

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (7/16).

(2) ينظر: الشعراوي، الخواطر (8962/14).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (9/16).

والشاهد في القصة أن الخضر عليه السلام ضحَّى بأجرة عمله، وهي قليلة نسبياً، لكن هذه المال القليل كان كفيلاً بأن يغنيهما عن استطعام القرية، وأن يجدوا حاجتهم من الطعام والشراب ما يعينهم في سفرهم، وكان بإمكانه أن يأخذ الكنز ويبيعه، ويتلذذ بأطيب المأكولات والمشروبات، فهو أقام الجدار دون مقابل مادي، وابتغى بذلك العمل الأجر من الله تعالى، والتضحية بالقليل من المال، لا يقلل أبداً من قيمة التضحية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ)**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ؟ قَالَ: **(رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ، فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا، فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا)**[1]، وقد سُئِل النبي ﷺ عن أفضل الصدقات أجراً، فأجاب: **(أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى)**[2].

يتبين مما سبق أن الذي قام به الخضر عليه السلام هو عمل عظيم، وقد شكَّل نموذجاً لكل الفقراء الذين لا يجدون الأموال لكي يتصدقوا، فبإمكانهم التصدق بالجهد، وقد مدح الله عز وجل الفقراء الذين لا يجدون إلا جهدهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79]، وقد نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يسخرون من صدقة الأغنياء والفقراء على حد سواء، فهم لا تعجبهم الصدقات سواء كانت كبيرة أو صغيرة، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ* رضي الله عنه قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التوبة: 79]"[3]، فالإسلام لا يحتقر صدقة مهما تناهت في الصغر، فالتصدق بشِقِّ

---

(1) [النسائي: سنن النسائي، كتاب الزكاة/باب جُهْدُ الْمُقِلِّ، ص394: رقم الحديث 2528]، قال الألباني: حديث حسن، الألباني، صحيح سنن النسائي (203/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/باب أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ وصَدَقَةُ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، ص 276: رقم الحديث 1419].

* هو: عقبة بن عمرو، أبو مسعود البدري الأنصاري، اختلف في شهوده بدرا، شهد أُحداً وما بعدها، مات بالمدينة سنة (42هـ)، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1075/3).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/باب اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَالْقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، ص276: رقم الحديث 1415].

تمرة بنية خالصة ممكن أن تقي صاحبها من نار جهنم، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ* ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)**[1].

المطلب الثالث: ذو القرنين ﷺ.

ذكر الله تعالى قصة ذي القرنين في القرآن الكريم، وقد ورد فيها قصة القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: 94– 95]، سأل القوم الذين لا يفقهون قولاً ذا القرنين أن يبنيَ لهم سداً منيعاً؛ لكي يحميهم من فساد يأجوج ومأجوج، وقد عرضوا على ذي القرنين خرْجاً مقابل هذا العمل، فقابل عَرْضهم بالعفاف، قال الشوكاني: "الخراج يقع على الضريبة، ويقع على مال الفيء، ويقع على الجزية، وعلى الغلة، والخراج أيضاً اسمٌ لِمَا يخرج من الفرائض في الأموال... وقيل: الخَرْجُ ما يُخرجه كل أحد من ماله، والخراج ما يجبيه السلطان"[2].

لم يقبل ذو القرنين أن يأخذ أجراً من هؤلاء القوم مقابل بناء السد، والواضح من القصة أنَّ العَرْض المالي كان كبيراً لسببين، أولهما: كان في هذا العَرْض خلاص القوم من ظلم يأجوج ومأجوج، وهم مستعدون أن يدفعوا كل ما يستطيعون مقابل هذا الأمر، وكان بالإمكان أن يستثمر ذو القرنين هذه الفرصة، ويطلب الأجر الذي يريده، ثانيهما: إنَّ بناء سدٍّ كبيرٍ في مثل ذلك الزمان يتطلب جهوداً ضخمة، وغالباً ما تُقابَل الجهود الكبيرة في العمل بمقابل مالي كبير، فبناء سد ضخم بحاجة إلى تكاليف إنشائية باهظة، وقد ضحَّى ذو القرنين بهذا العائد المادي الكبير؛ لأجل إنقاذ هؤلاء القوم من الظلم، وما كانت تضحيته إلا قربةً لله تعالى، وطمعاً في رضوانه، قال الله تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ أي: "ما آتاني الله من المال والقوة خيرٌ من الخراج الذي عرضتموه، أو خيرٌ من السد الذي سألتموه، أي: ما

---

* هو: عدي بن حاتم الطائي، ابن الجواد المشهور، أسلم في سنة تسع، وكان نصرانياً قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، شهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، ومات بعد الستين، وقد بلغ عشرين ومائة سنة، ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (470/4).

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/باب اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، والقَلِيلِ من الصَّدقَةِ، ص276: رقم الحديث 1417].

(2) فتح القدير (445/3).

مكنني فيه ربي يأتي بخيرٍ مما سألتم"[1]، "وتبعاً للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في الأرض، فقد ردَّ عليهم عَرْضَهم الذي عرضوه من المال، وتطوع بإقامة السد"[2]، وذو القرنين هنا يشكل نموذجاً رائعا للتضحية بالمال، فهو يمثِّل طبقة الحكام، وأصحاب السلطان الذين يجب عليهم السعي من أجل قضاء حوائج الناس.

المطلب الرابع: صهيب الرومي*ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: 207]، عَنْ عِكْرِمَةَ**، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا، تَبِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَنَثَلَ[3] كِنَانَتَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَهْمًا، فَقَالَ: "لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ، وَقَدْ خَلَّفْتُ بِمَكَّةَ قَيْنَتَيْنِ[4] فَهُمَا لَكُمْ، وعَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ، وَنَزَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: **(أَبَا يَحْيَى، رَبِحَ الْبَيْعُ)** قَالَ: وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ"[5].

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ***: أَنَّ صُهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لَهُ كُفَّارُ قريش:

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (34/16).

(2) قطب، في ظلال القرآن (2292/4).

* هو: صهيب بن سنان الرومي، يعرف بذلك؛ لأنه أخذ لسان الروم إذ سبوه وهو صغير، ولا خلاف أنه من العرب، هاجر إلى المدينة بعد النبي ﷺ ، وترك ماله مقابل أن تدعه قريش يهاجر، مات صهيب بالمدينة سنة (88-هـ)، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (733/2).

** هو: عكرمة البربري أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس، من علماء التابعين في التفسير والحديث، مات سنة (105هـ)، ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (134/3)

(3) نَثَلَ: اسْتَخْرج مَا فِيهَا مِنَ السِّهام، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (16/5).

(4) القَيْنةَ: الأَمَةُ، مغنِّيةً كانت أو غَيْرَها، ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (45/5).

(5) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة/باب مَنَاقِبِ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ، 450/3: رقم الحديث 5700، قال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ]، وقال الألباني: "والمعروف في كتب التفسير أنها نزلت في صهيب ﷺ" ينظر: الألباني، السلسلة الضعيفة (636/10)، وقال الوادعِيُّ: الحديث له طرق أخرى أغلبها مراسيل كما في الإصابة وفي الطبقات لابن سعد، وهي بمجموعها تزيد الحديث قوة، وتدل على ثبوته، ينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص33).

*** أبو عثمان النهدي، اسمه عبد الرحمن بن مل، أسلم على عهد رسول الله ﷺ، ولم يره، من كبار التابعين بالبصرة، مات سنة (100هـ)، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (853/2- 855).

أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللَّهِ، لا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **(رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ)**[1].

لم يتردد صهيب ﷺ في التنازل عن كل ما يملكه من مال من أجل أن تتركه قريش يهاجر إلى المدينة، ويلتحق بالنبي ﷺ، وإخوانه من المؤمنين المهاجرين، وكان صهيب صادقا في عَرْضِه، وكان على استعداد على أن يقدِّم روحه أيضا، بدليل أنه استعد للقتال حتى آخر سهم، ثم يبدأ معركته بالسيف لآخر لحظة من حياته، ولعله فطن لمراد من يطاردونه، فعرض عليهم ذلك العَرْض المغري في نظرهم، وما كان منهم إلا أن قبلوا عرضه، إما طمعاً في المال، أو خوفاً من تهديده، وهكذا يمثِّل صهيب نموذجاً للتضحية بالمال كله في سبيل الله تعالى، وكان الذي قام به دليلاً على صدق إيمانه وإخلاصه، وقد أكدَّ النبي ﷺ ثبوت الربح الحقيقي لصهيب، فقد باع ماله ونفسه مقابل الحصول على رضا الله ﷻ.

الخلاصة: ذكر الله ﷻ في كتابه العزيز نماذج متنوعة للتضحية بالمال، وذلك ليكونوا أسوة وقدوة للناس من بعدهم، ومن هذه النماذج: نبي الله سليمان، والخضر، وذو القرنين– عليهم السلام– وصهيب الرومي ﷺ، وقد أثبتت هذه النماذج أنَّ المال ليس غاية بحدِّ ذاته، وإنما هو وسيلة يأخذ منه الإنسان ما تستقيم به حياته، وأنَّ التضحية بالمال إنما تكون من أجل تحصيل رضا الله ﷻ.

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ﷺ أجمعين/باب ذكر صهيب بن سنان ﷺ، 557/15: رقم الحديث 7082]، قال الألباني، صحيح، الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (173/10).

الفصل الرابع

مقومات التضحية وغاياتها

المبحث الأول

مقومات التضحية

غَرَس القرآن الكريم حُبَّ التضحية في نفوس المؤمنين، فأصبحوا على استعداد لأن يضحُّوا بكل ما يملكون في سبيل الله تعالى، فالتضحية ليست أمراً سهلاً على النفس، ولا يتقبلها أي إنسان بسهولة؛ لذلك حرص القرآن الكريم على ترسيخ مفهوم التضحية لدى المؤمنين، وبيَّن أنَّ التضحية لها مقومات ينبغي توافرها في المضحِّي، وسيعرض الباحث-إن شاء الله تعالى- أهم هذه المقومات من خلال آيات القرآن الكريم:-

المطلب الأول: الإيمان.

هناك ارتباط وثيق وتلازم كامل بين الإيمان والتضحية، فالإيمان له دلائل وشواهد تصدقه، والتضحية أبرز هذه الشواهد وأقواها، فالإنسان الذي يُقْدِمُ على التضحية سواء بالنفس أو المال أو غير ذلك، فهذا مُشعِرٌ بقوة إيمانه بالله ﷻ، وهذا الإيمان هو الذي يدفع المؤمن إلى المسارعة إلى ما يحبه الله تعالى وسوله ﷺ؛ لذلك يلعب الإيمان دوراً هاماً وكبيراً في كل المجالات سواءً الكبيرة منها مثل الجهاد، والدعوة، والإنفاق، أو الصغيرة منها مثل إماطة الأذى عن الطريق.

ولذلك يُعدُّ الإيمان بالله تعالى أساساً لجميع أعمال الدِّين، ويُمَثِّل القوة المحرِّكة لكل الأعمال الشاقة والصعبة التي يمرُّ بها المؤمن في حياته، وهو الدافع للمؤمنين؛ لكي يقدِّموا التضحيات الجسام، ويجعلهم يتحملون مرارة العذاب والصعاب، ويصبرون على الآلام والجراح، والتضحية في المقابل دليلٌ على صدق إيمان المرء وقوته، "فمن علامة الإيمان الكامل: التضحية بالنفس والمال في سبيل الله تعالى، ببذلهما في تقوية دعائم الدين، وإعلاء شأنه"[1]، "وأعظم دلائل الإيمان هو التضحية التي يقدمها المؤمن عن طواعية وحرية، وهو بذل النفس من أجل المثل العليا"[2].

والجهاد بالنفس والمال يمثلان أعظم مجالات التضحية، لذلك ارتبط ذكرهما بالإيمان في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: 20]، وقال الله

(1) الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان (334/27).

(2) دراز، دستور الأخلاق في القرآن (ص639).

تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التوبة: 88]، أي: لكن الرسول محمد ﷺ والذين صدَّقوا وآمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها، فهم الذين يستحقون خيرات الآخرة، من جنات، ونعيم وأزواج، وأولئك هم المخلدون في الجنات، الباقون فيها، الفائزون بها[1].

وكما أنَّ التضحية دليلٌ على قوة إيمان المسلم، فإنَّ عدم وجودها دليل على ضعف الإيمان، وربما دليل على النفاق، وقد شهد القرآن الكريم بأنَّ المؤمنين الصادقين لا ينتظرون الإذن بالجهاد، بل يبادرون إليه طواعية، وهم مستعدون للقتال في أي وقت إذا تطلب الأمر، وأما الذين يستأذنون من أجل القعود عن الجهاد، فهم الذين انتفى عنهم الإيمان، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 44-45].

وإنَّ تخصيص الإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر في الموضعَين السابقَين دليلٌ على أنَّ الباعث على الجهاد، والمانع عنه، هو الإيمان بهما أو عدمه، فمن آمن بهما قاتل في سبيل دينه وتوحيده، وهان عليه القتل فيه؛ لِمَا يرجوه في اليوم الآخر من النعيم المقيم، ومن لم يؤمن بهما فيفضل القعود والراحة[2]، وقد وصف الله ﷻ فرح المنافقين عندما قعدوا عن الجهاد، قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: 81].

والإيمان الحقيقي بالله تعالى يخلق في القلوب خوفاً من يوم القيامة، مما يدفع المؤمن دفعاً إلى المسارعة في أعمال الخير، والسباق من أجل تحصيلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَا ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57 – 61]، "وهذا يعني فيما يعنيه أنَّ الإيمان بالآخرة

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (415/14).

(2) ينظر: الألوسي، روح المعاني (302/5).

يجعل صاحبه يتحمل المكاره، ويصبر على الشدائد، ويقوم على التضحية بماله ونفسه في سبيل الله والحق، دون أن يهتم كثيراً لِمَا قد يصيبه أو يناله من جزاء دنيوي، أو حرمان، أو أذى، أو نكران؛ لأنه يعتقد أنه سوف يستوفي جزاءه على أوفى ما يكون في ذلك اليوم"[1].

المطلب الثاني: الإخلاص.

يُعَدُّ الإخلاص من أهم مقومات التضحية؛ لأنها تحتاج إلى همَّةٍ قويةٍ في تنفيذ أعمال الدِّين العظيمة، والإخلاص لله تعالى يرفع همة الإنسان في تحقيق ما يريده من أعمال، والإخلاص لله ﷻ مطلوب في كل العبادات، لاسيما في العبادات الظاهرية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: 5]، وتدل هذه الآية على وجوب النية في العبادات؛ لأنَّ الإخلاص عمل القلب، وهو إرادة وجه الله تعالى بالعمل، ولا يراد غيره به[2]، فالمُخلص هو الذي يعبد الله ﷻ ابتغاء الحصول على رضوانه، والثواب منه ﷻ، ولا يكون هدفه مدحَ الناس وثناءهم عليه.

وجعل الله ﷻ الإخلاص شرطاً لقبول الأعمال الصالحة، فالله ﷻ لا يقبل من الناس أعمالهم، مهما كانت عظيمة في نظر الناس، إن لم يكن الإخلاص ركناً أساسياً فيها، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: 37]، أي: "لن ينال رضا الله تعالى اللحومُ المتصَدَق بها، ولا الدماء المهراقة بالنحر، ولكن تُرفَع إليه الأعمال الصالحة والإخلاص فيها بإرادة وجهه تعالى فحسب، والخلاصة لن يُرضِي المضحُّون ربهم إلا إذا أحسنوا النية، وأخلصوا له في أعمالهم، فإذا لم يراعوا ذلك لم تغنِ عنهم التضحية والتقرب بها شيئا وإن كثر ذلك"[3]، ويؤكد هذا المعنى ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)**[4].

ومن رحمته تعالى بعباده أنَّه يقبل منهم النية والإخلاص له، ويجازيهم على ذلك، وإن لم يستطيعوا العمل بسبب العذر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ

(1) دروزة، التفسير الحديث (298/1).

(2) ينظر: الكيا الهراسي، أحكام القرآن (431/4).

(3) المراغي، تفسير المراغي (115/17).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ص1035: رقم الحديث 2564].

لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: 92]، هؤلاء مجموعة من المؤمنين الفقراء المخلصين جاؤوا إلى النبي ﷺ في غزوة تبوك ليعدّ لهم وسائل الركوب، فلم يجد ما يحملهم عليه، فبكوا بكاءً شديداً؛ بسبب عدم توفر وسيلة نقل لهم في السفر للجهاد، فهؤلاء في هذه الحال لا إثم ولا ذنب عليهم، وهم قوم محمودون غير مذمومين، بسبب ظهور إخلاصهم(1).

والذي يظهر للباحث أنَّ هؤلاء المجموعة ليسوا فقط بريؤون من ذنب التخلف عن الجهاد في سبيل الله تعالى، بل هم مأجورون تماماً كالذين خرجوا للغزو، ويصدِّق ذلك قول النبي ﷺ: **(إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)**(2)، وقوله **(حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)** "أي: الفقراءُ والضعفاءُ الذين لم يقدِرُوا على الغزو لضعفهم، أو لعدم زادِهم ومركوبهم، حصلَ لهم ثوابُ الغزو وإن لم يَغْزُوا؛ لأنهم يتمنَّون الغزوَ، ولكنهم لم يقدِرُوا عليه"(3)، وقد تحقق لهؤلاء الأجر بإخلاصهم وصدقهم لله ﷻ، وجعلهم الله ﷻ بدرجة الذين خرجوا للجهاد، وتحملوا الحَرَّ الشديد، وبُعْدَ المسافة، ونازلوا الأعداء في ميدان المعركة، وهذا كله من فضل الله ﷻ.

وقد بيَّن النبي ﷺ في موضع آخر أنَّ الذي يُخْلِص في طلب الشهادة، فإنَّ الله ﷻ يعطيه أجر الشهداء وإن مات على فراشه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ)**(4)، وفي رواية أخرى، **(مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)**(5)، "وهذا لأنَّ صدق الطلب للشهادة يدل على تسليم النفس لها، ورضا القلب بها، فكأنها وقعت، فحصل أجرها"(6).

---

(1) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (1/ 905).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ/باب مَنْ حَبَسَهُ الْعُذْرُ عَنِ الْغَزْوِ، ص547: رقم الحديث2839].

(3) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (347/4).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، ص792: رقم الحديث 1908].

(5) المرجع السابق، كتاب الإمارة/باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، ص792: رقم الحديث 1909].

(6) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين (306/3).

والإخلاص يمثل الأساس في قبول أعمال العباد، وبدونه لا يكون للأعمال عند الله تعالى قيمة ولا وَزْنٌ، وقد ذكر النبي ﷺ خبر ثلاثة أصناف من الناس انقلبت أعمالهم عليهم وبالاً يوم القيامة بسبب عدم إخلاصهم، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ؛ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلاَنًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ)**، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: **(يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[1].

إنَّ هؤلاء الأصناف الثلاثة الذين ذكرهم الحديث يمثلون أعظم مجالات التضحية، فالقارئ يمثل التضحية بالوقت والملذات الدنيوية، وذلك بانقطاعه للتعلم والتعليم، والمنفق يمثل التضحية بالمال، والشهيد يمثل التضحية بالنفس، والمتوقع أن يحصل هؤلاء الأصناف الثلاثة على أعلى الدرجات عند الله ﷻ، ولكن بفقدانهم للإخلاص، تحوَّل مصيرهم من النعيم في الجنة إلى العذاب في الجحيم، فالله ﷻ لا يقبل التضحية من العبد إلا إذا كانت خالصة لوجه تعالى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَا أَجْرَ لَهُ)** فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ/باب ما جاء في الرياء والسمعة، ص536: رقم الحديث 2382، قال الترمذي: حسن غريب]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن الترمذي (558/2).

عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: **(لَا أَجْرَ لَهُ)**، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ: **(لَا أَجْرَ لَهُ)**[1].

"والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة"[2]، وهذا يعني أنَّ الإخلاص أصل لجميع الأعمال، وفي مقدمتها التضحية بجميع مجالاتها، فالتضحية المبنية على الإخلاص يظهر أثرها في الدنيا قبل الآخرة، فقد قصَّ النبي ﷺ قصة ثلاثة نفر دخلوا في مغارة، فأطبقت عليهم صخرة عظيمة، فلم يستطيعوا الخروج منها، حينها دعوا الله ﷻ بأعمال كانت خالصة لوجهه الكريم لكي يفرج عنهم كربهم، أما الأول فقد آثر أبويه على نفسه وعياله، وضحَّى بلذة الطعام، والنوم، وسعادة أبنائه، قال ﷺ على لسانه: **(فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ[3]مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا[4]، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ)**[5].

وأما الثاني فكان يحبُّ ابنة عمه حُبَّاً شديداً، فاحتاجته في بعض المال، فراودها عن نفسها، وعندما همَّ بالزنى ذكرته بالله تعالى، فاستجاب على الفور، وضحَّى بلذة الزنى، قال ﷺ على لسانه: **(كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا، حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتِ: اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ، وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ)**[6].

وأما الثالث فكان عنده أجير، وقد ذهب ولم يأخذ أجره، فنمَّى له الرجل أجره حتى أصبح مالاً عظيماً، وعندما رجع الأجير ليأخذ أجره، أعطاه المال كله، فكان نموذجاً في التضحية بالمال، قال ﷺ على لسانه: **(وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا،**

---

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الجهاد/باب فِي مَنْ يَغْزُو وَيَلْتَمِسُ الدُّنْيَا، ص:442: رقم الحديث 2516]، قال الألباني: حسن، الألباني، صحيح سنن أبي داود (101/2).

(2) ابن القيم، الفوائد (ص240).

(3) يَتَضَاغَوْنَ: أي: "يُصَوِّتُون بَاكِين"، ابن الجوزي، غريب الحديث (13/2).

(4) معنى قوله: (وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا)، أي: كرهت أن يصيرا ضعيفين مسكينين لعدم شربتها، ينظر: السيوطي، التوشيح شرح الجامع الصحيح (2236/5).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ/باب حديث الغار، ص668: رقم الحديث 3465].

(6) المرجع السابق، ص668: رقم الحديث 3465].

فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا)[1].

أثمرت هذه التضحيات المبنية على الإخلاص بأن فرَّج الله عنهم ما كانوا فيه من بلاءفي الدنيا، وسوف يجازيهم الله ﷻ عن تضحياتهم خير الجزاء في الآخرة، ويتبين مما سبق أنَّ الإخلاص ركن أساسي في جميع أعمال الخير، وهو أقصر الطرق للنجاة في الدنيا وفي الآخرة.

المطلب الثالث: الصبر.

الصبر هو حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، وسُمِّي الصّوم صبراً؛ لكونه كالنّوع له، قال ﷺ: **(صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَذْهَبْنَ بِوَحَرِ**[2] **الصَّدْرِ)**[3][4] وقيل: "سُمِّي الصومُ صَبْراً لِمَا فِيهِ مِنْ حَبْس النَّفس عَنِ الطَّعَامِ والشَّراب والنّكاح"[5]، "وأما حقيقته فهو خُلُق فاضل من أخلاق النفس، يُمتَنَع به من فعل ما لا يَحْسُن ولا يَجْمُل، وهو قوة من قوى النفس، التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها"[6].

ويُعَدُّ الصبر من مقومات التضحية في كل مجالاتها، ولا يخلو مجال من مجالاتها إلا ويكون الصبر موجوداً فيه، فلا يمكن تصور التضحية بدون صبر، وكما أنَّ التضحية لها ارتباط بجميع مقامات الدين، فإنَّ الصبر كذلك، فهو يدور مع التضحية حيث دارت، ويُحتاج إليه على الدوام، فالمضحُّون بأنفسهم وأموالهم وأوقاتهم وغير ذلك، مطالبون بالصبر على الدوام؛ لأنهم مُعَرَّضون دائماً للابتلاءات والأذى، وهم في صراع مع الباطل إلى يوم الدِّين، قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

---

(1)[البخاري: صحيح البخاري، كتاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ/باب حديث الغار، ص668: رقم الحديث 3465].

(2) وحر الصدر: "غشه ووساوسه، وقيل: الحقد والغيظ ،وقيل: العداوة، وقيل: أشد الغضب"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (160/5).

(3) [البزار: البحر الزخار، مسند علي بن أبي طالب ﷺ/ باب ومما روى الأعمش عن أبي إسحاق، 271/2: رقم الحديث688]، قال الألباني: حسن صحيح، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (249/1).

(4) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص474).

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (7/3).

(6) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص19).

﴿ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]، أي: "لتُختبرنّ-أيها المؤمنون- في أموالكم، بأداء الحقوق الواجبة فيها، وبما ينزل بها من مصائب، ولتختبرُنَّ في أنفسكم بالقيام بتكاليف الشريعة، وما ينزل بكم من أنواع البلاء، ولتسمعُنّ من الذين أُعطوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا شيئًا كثيرًا مما يؤذيكم من الطعن فيكم وفي دينكم، وإن تصبروا على ما يصيبكم من أنواع المصائب والابتلاءات، وتتقوا الله بفعل ما أَمَرَ، وتَرْك ما نهى، فإن ذلك من الأمور التي تحتاج إلى عزم، ويتنافس فيها المتنافسون"[1].

وهكذا يعلم المسلمون ما ينتظرهم من تضحيات وآلام، وما ينتظرهم من أذى وبلاء في الأنفس والأموال من أعدائهم، فهذا التوجيه القرآني يبث في قلوب المؤمنين الطمأنينة، كلما تجمعت عليها وسائل الكيد والفتنة، ووسائل الدعاية الحديثة، لتشويه أهدافها، وتمزيق أوصالها، كما يبيِّن هذا التوجيه القرآني طبيعة هذه الدعوة، وطبيعة طريقها، وطبيعة أعدائها الراصدين لها في الطريق، فتعرف حين يصيبها الابتلاء والفتنة، أنها سائرة في الطريق الصحيح[2].

وقد أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بالصبر في كثير من المواضع في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: 115]، وفي آية أخرى أَمَرَه أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل من قبله، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]، وفي هذه الآية تثبيت وحث من الله ﷻ لنبيه ﷺ على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة، وأمره بالاقتداء بأولي العزم من رسله، الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد، وامتُحِنوا في ذات الله في الدنيا بِالمحَن، فلم تزدهم المحن إلا جدّا في أمر الله ﷻ، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى-عليهم السلام- ومن أشبههم، فاصبر يا محمد ﷺ على ما أصابك من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار[3].

ولربما سائل يسأل هل يحتاج النبي ﷺ إلى مثل هذا التوجيه الرباني؟ وهو الذي صبر على أذى قومه، وعانى الكثير من أجل دعوته، وهو القائل: **(لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ**

---

(1) الشنقيطيّ، وآخرون، المختصر في تفسير القرآن الكريم (74/1).

(2) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (540/1).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (145/22).

أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ)[1]، والجواب نعم؛ لأنَّ الدعوة تتطلب تقديم التضحيات الجسام في سبيل الله ﷻ، "إنه لطريق شاق طريق هذه الدعوة، وطريق مرير، حتى لتحتاج نفسٌ كنفس محمد ﷺ في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها وصلابتها، وفي صفائها وشفافيتها، تحتاج إلى التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين[2]، وكذلك كان الرسل جميعاً، فهم محتاجون للصبر في دعوتهم وجهادهم، وقد كان رد الرسل على أقوامهم عندما توعدوهم بالطرد من أوطانهم بأنهم سيصبرون على أذى أقوامهم، قال تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: 12].

وإذا كان الأنبياء والمرسلون في حاجة إلى الصبر، فإنَّ غيرهم بحاجة إليه من باب أولى، فهذه الثلة المؤمنة مع طالوت عندما رأوا قوة جالوت وجنوده الهائلة بالنسبة إلى قوتهم، لجؤوا إلى الله ﷻ بأن يرزقهم الصبر، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، وكذلك سحرة فرعون عندما آمنوا بموسى عليه السلام، كانوا على يقين بأنَّ الطريق الذي سلكوه ستكون حياتهم ثمناً له، وأنَّ إيمانهم بموسى عليه السلام يحتاج إلى التضحية، وعلموا أنَّ التضحية تحتاج إلى صبر؛ لذلك طلبوا من الله ﷻ أن يصبرهم، قال الله تعالى على لسانهم: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126]، وكان لسان حالهم يقول:

سَأَصْبِرُ كَيْ تَرْضَى وَأَتْلَفَ حَسْرَةً وَحَسَبِي أَنْ تَرْضَى وَيُتْلِفَنِي صَبْرِي[3]

"إن الجهاد في سبيل الله ﷻ عبادة عظيمة تحتاج إلى صبر ومصابرة؛ لأنَّ فيها من المشاق والتضحيات ما لا يوجد في عبادة غيرها... ولمَّا كان الجهاد فيه ما فيه من المشاق وبذل المال والنفس في سبيل الله تعالى أصبح الاستعداد له بالإيمان، والإخلاص، والمتابعة، والصبر، وقوة الصلة بالله ﷻ أمرًا لا بد منه، وإلا خارت القوى، وانحلت العزائم"[4].

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة/باب 34، ص557: رقم الحديث 2472 قال الترمذي عنه: حَسَنٌ صَحِيحٌ]، وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن الترمذي (596/2).

(2) قطب، في ظلال القرآن (3276/6).

(3) ابن القيم، مدارج السالكين (2/ 158).

(4) ناصر الجليل، التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة (ص54)

والعبادات كلها تحتاج إلى صبر؛ لأنَّ أداءها ثقيل على نفس الإنسان؛ ومن أسباب ذلك تسلط الشيطان على الإنسان، وميله إلى الراحة والكسل، ونزعته الفطرية إلى ملذات الحياة وشهواتها؛ لذلك ربط الله ﷻ بين الصبر والعبادة في عدة مواضع، منها ما جاءت مجملة كقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: 65].

ومنها ما جاءت مبينة لأنواع عبادات بعينها، وأهم العبادات التي تحتاج إلى صبر هي الصلاة، وذلك لاستمراريتها، فطبيعة الإنسان لا تحبُّ الالتزام المستمر، قال الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: 132] وقد قرن الله ﷻ بين الصبر والصلاة فقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

وقد خصَّ النبي ﷺ صلاة الفجر والعشاء بالذكر؛ لكونهما ثقيلتان على نفس المنافق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ)**[1].

وكذلك الزكاة فإنها تحتاج إلى صبر؛ لأنَّ المال محبوب الإنسان، والتضحية به في سبل الخير تحتاج إلى صبر، كما أنَّ المسلم مطالب بالصبر على شهوة تحصيله، قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: 96]، "وهذه الآية إشارة إلى الصبر عن شهوة كسب المال بالوجوه المنكرة أو المحرمة، من الرّشاوى، وأخذ الأموال على ترك الواجبات، وفعل القبائح والمحظورات، فإن كل عاقل ينفر من الحرام، ولا يتقبل العفيف الشريف تلويث مكاسبه بالمحرمات والشبهات"[2].

وفي الصوم يحتاج المسلم إلى الصبر على مفارقة شهوتي البطن والفرج في نهار رمضان، كما أنه يحتاج إلى الصبر على أعمال الحج، من تضحية بالمال، ومفارقة للوطن والأحبة، والقيام بمناسك الحج، وكذلك باقي العبادات، فكلها يحتاج المسلم إلى صبر لكي يؤَدِّيها.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان/باب فَضْلِ الْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ، ص140: رقم الحديث 657].
(2) الزحيلي، التفسير الوسيط (1299/2).

المطلب الرابع: اليقين.

اليقين هو: "العلم بالشيء استدلالاً بعد أن كان صاحبه شاكاً فيه"[1]، وقيل: هو: "أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه"[2]، والتضحية في كل مجالاتها تحتاج إلى اليقين؛ "لأنّه يحمل صاحبه على الطمأنينة بخبر الله تعالى، والطمأنينة بذكر الله ﷻ، والصبر على المكاره، والقوة في أمر الله ﷻ، والشجاعة القولية والفعلية، والاستحلاء للطاعات، وأن يهون على العبد في ذات الله تعالى المشقات، وتحَمُّل الكريهات"[3]، "فلا يمكن أن يُضحِّي الإنسان بماله وأهله ونفسه إلا إذا كان لأمر يقينيّ"[4].

وقد كان سيدنا إبراهيم يسعى من أجل تحصيل اليقين التام، لذلك طلب من الله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى رؤيا العين لكي يتحصل على اليقين، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: 260]، وقد أثمر اليقين في نفس إبراهيم عليه السلام في جميع تضحياته، ففي محنة إلقائه في النار كان يقينه بالله ﷻ بأنه سوف ينجيه منها، وفيما ترْك زوجه وابنه الصغير في واد غير ذي زرع، كان على يقين بأن الله ﷻ لن يضيعهما، ثم كانت المحنة الكبرى عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه، فدفعه اليقين إلى الامتثال للأمر وعدم التردد.

وهذه أم موسى عليها السلام قبل الإقدام على إلقاء ابنها في اليم، كانت على يقين كامل بأن ما تقوم به هو استجابة لأمر الله تعالى،" فساعة دخل الإيحاء من الله إلى قلبها، أو الإعلام بخفاء إلى وجدانها آمنت به، ومادام الإعلام من الله فلا شيطان يزاحمه، بل يدخل إلى النفس، فتستقبله استقبال اليقين والإيمان بلا مناقشة، وألقت أم موسى بابنها بعد أن أرضعته"[5].

واليقين بالله تعالى من المقومات التي تقوم عليها التضحية في ميادين القتال، فهو الذي يثبِّت قلوب المجاهدين، وينزع من صدورهم التردد والشك في مواقف الشدة، فلا ينظرون إلى تخاذل المتخاذلين، وشائعات المرجفين، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ

---

(1) العسكري، الفروق اللغوية (ص374).

(2) الكفوي، الكليات (ص67).

(3) السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (359/2).

(4) الشعراوي، الخواطر (7935/13).

(5) المرجع السابق، (2823/5).

جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: 22]، إنَّ العبد إذا وصل إلى درجة اليقين، فلا يبقى في القلب شك، ولا ريب في كل ما أخبر الله ﷻ به في كتابه، أو جاء على لسان رسوله ﷺ، فحينها يطمئن قلبه عند المصائب والمكاره، ويعلم أنها من عند الله تعالى، فيرضى ويسلِّم، فيخفُّ عليه حملها، ويهون عليه ثقلها[1].

ويحتاج المسلم إلى اليقين لكي تهون عليه التضحيات، والشدائد، والمصائب التي تصيبه في نفسه أو ماله أو أهله، وقد ذكر الله ﷻ أن الجنود الذين كانوا مع طالوت انقسموا إلى ثلاث فئات، فأما الفئة الأولى فهي فئة انعدمت الصبر واليقين من بداية الطريق، وهذه الفئة تمثل أغلبية الجيش، وأما الفئة الثانية فهي مجموعة صبرت على العطش الشديد، لكن كانوا يفتقرون إلى اليقين، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: 249].

ثم ذكر فئة ثالثة امتلأت قلوبهم باليقين بالله ﷻ، وعلموا أنَّ الأمر كله بيد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، وتفيد الآية أنه "لا يثبت عند الفتن والشدائد إلا من عَمَرَ اليقينُ بالله قلوبَهم، فمِثْل أولئك يصبرون عند كل محنة، ويثبتون عند كل بلاء"[2].

وقد كان النبي ﷺ يزرع اليقين في قلوب أصحابه؛ لأنهم كانوا في أشد الحاجة إلى اليقين الذي يعينهم على التضحيات العظيمة التي يقدمونها في سبيل الدعوة، فكلما اشتد العذاب بأصحاب النبي ﷺ، كان يوجههم إلى اليقين بأنَّ الله ﷻ سيظهرهم على أعدائهم، وينصرهم على

(1) ينظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (326/1).
(2) الشنقيطيّ وآخرون، المختصر في تفسير القرآن الكريم (41/1).

الكافرين، ولكنها مسألة وقت، عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ*ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: **(كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ، لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)**[1].

لذلك كان من هديه ﷺ أنَّه كان دائماً يُعلِّم أصحابه أن يدعوا الله تعالى بأن يرزقهم اليقين، عن ابْن عُمَرَ–رضي الله عنهما– قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لأَصْحَابِهِ: **(اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا)**[2]، فالمؤمن يحتاج إلى اليقين وقوة صبر ليوطن نفسه على تحمل مشقة الطريق، فإذا فُقِدَ اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوى يقينه وصبره هان عليه كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة.

إنَّ اليقين الذي يملؤ قلب المسلم بأنه على الحق هو الذي يدفعه لأنْ يضحي بنفسه لأجل عقيدته وإيمانه، وكم شهد الشعب الفلسطيني رجالاً قدموا أرواحهم رخيصة لأجل الله ﷻ، حتى أعيى ذلك رؤساء يهود، وقد تساءل أحدهم: ماذا أفعل مع شاب جاء ليفجر نفسه ويموت؟ فهذا اليقين يربك حسابات أعداء الأمَّة؛ لذلك كان الهدف الأول لأعداء الأمَّة هو ضرب اليقين، وانتزاعه من قلوب شباب المسلمين؛ ليصبحوا عاجزين عن تقديم أي نوع من التضحيات.

المطلب الخامس: الذِّكْر والدعاء.

يُعَدُّ الذِّكْر من أقوى الأسلحة التي يملكها المؤمنون، فَبِهِ يستجلبون معية الله ﷻ، وقوته، ونصره، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، والمعنى: "اذكروا عظمتي وصفاتي وثنائي وما ترتب عليها من الأمر والنهي، أو اذكروا نعمي ومحامدي، وهو تقدير من دلالة الاقتضاء، وأما أذكركم فهو مجاز، أي أعاملكم معاملة من ليس بمغفول عنه بزيادة النعم، والنصر، والعناية في الدنيا، وبالثواب ورفع الدرجات في الآخرة"[3]،

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/باب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ، ص690: رقم الحديث 3612].

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الدعوات/باب 80، ص795: رقم الحديث 3502]، قال الألباني: حسن، الألباني، صحيح سنن الترمذي (442/3).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (50/2).

أما الدعاء فهو عبادة يخضع المؤمن لله ﷻ ويتذلل له، فالداعي يشعر دائماً أنه بحاجة مُلِحَّة إلى ربّه ﷻ، والاستعانة بعزَّته وقوته، وطلب العون منه عند المحن والبلايا[1].

والذِّكْر من مقومات التضحية، فهو يثبت المؤمنين في مواطن الشِّدَة والضيق، وقد وجَّه الله ﷻ المؤمنين إلى الذِّكْر في مواطن القتال وملاقاة الأعداء، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، قال قتادة: "افترضَ الله ذكره عند أشغل ما تكونون، عند الضِّراب بالسيوف"[2]، وتشير الآية إلى أهمية الذِّكْر في القتال، فإنه يثبِّت القلوب، ويستنزل النصر، ويُذهِب الشر والبلاء، ويدفع كيد الأعداء، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]، فالله ﷻ يستجيب الدعاء وقت التحام المعركة، لأنَّ المجاهدين في هذه اللحظات يكونون في قمة الإخلاص واليقين بالله ﷻ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ- أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ-: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ، حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)**[3].

وكان النبي ﷺ ملازماً للدعاء والذكر، وخاصة عندما يتأهب للغزو، ويستعدُّ للقتال، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: **(اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ)**، فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ[4].

---

(1) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (89/1).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (574/13).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الجهاد/باب الدُّعَاءِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ص447: رقم الحديث 2540]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن أبي داود (108/2).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير/باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ص731: رقم الحديث 1763].

والمجاهدون مطالبون بالتوجه إلى الله تعالى بالذِّكْر والدعاء، وخاصة عند اشتداد القتال، اقتداءً بسُنَّة النبي ﷺ، والتزاماً بمنهجه، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه كان يقول إذا لقي عدواً: **(أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)**[1]، لعلَّ الله ﷻ يستجيب لهم، وينصرهم على أعدائهم، والمجتمع المسلم كله كذلك مطالب في حالة الحرب بالابتهال إلى الله تعالى، ومناشدته ﷻ بأن يثبِّت المجاهدين ويحفظهم، فلعل الله ﷻ يستجيب لأحدهم وإن كان ضعيفا، فيكون السبب في نصر المسلمين، عن مُصْعَبِ بن سَعْدٍ عن أبيه، أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ له فَضْلًا على من دُونه من أَصْحَابِ النبي ﷺ، فقال نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: **(إنما يَنْصُرُ الله هذه الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ)**[2].

المطلب السادس: الشعور بخطر الأعداء.

إنَّ الصدَّ عن سبيل الله ﷻ، ومنْع الناس من الدخول في الإسلام، ومحاولة القضاء على الإسلام والمسلمين من أهداف الكفار المستمرة إلى قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: 217]، "وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر، وعلى فتنة المسلمين عن دينهم، بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل، إنَّ وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدِّين ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين، إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم، فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد"[3].

وأعداء الإسلام يمكرون ويكيدون بالإسلام والمسلمين ليل نهار، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ [سبأ: 33]، فَهُمْ في جهد متواصل لا ينقطع في كل زمان ومكان، من أجل المكر والكيد للإسلام والمسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/باب لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، ص579: رقم الحديث 3025].
(2) [النسائي: سنن النسائي، كتاب الجهاد/باب الِاسْتِنْصَارُ بِالضَّعِيفِ، ص492: رقم الحديث3178]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن النسائي (399/2).
(3) قطب، في ظلال القرآن (227/1).

ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، والتعبير بالفعل المضارع ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ يفيد التجدد والاستمرار لهذا المكر، ثم إنَّ مكر أعداء الإسلام كبير وشديد، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46]، "وزوال الجبال مَثَلٌ لعظم مكرهم وشدته"[1].

وقد واجهت الدعوة الإسلامية في بداية نشأتها الكثير من المخاطر والتحديات، فقد سخَّرت قريش كل إمكاناتها للقضاء على الدعوة الإسلامية، ترغيباً وترهيباً، وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة، كوَّنوا نواة لجيش قوي متماسك، لكن خطر قريش استمر يهددهم، فكان النبي ﷺ دائما في حالة استعداد مستمر، فنزلت الآيات الكثيرة التي تحث على التضحية بالنفس والمال، وربطت ذلك بالأجر العظيم عند الله ﷻ، وكان مما أمر الله تعالى به الاستعداد للقتال، فخطر الأعداء قائم إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يحرِّض المؤمنين على القتال والشهادة في سبيل الله ﷻ؛ لأنَّ الجندي المستعد للتضحية بنفسه وماله فداءً لدينه من أهم أسباب تحجيم خطر الأعداء على الأمَّة، وبقوة المسلمين واستعدادهم لتحدى المخاطر ينزل الرعب في قلوب الأعداء، فيكفُّوا عن إيذاء المسلمين، قال تعالى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: 84].

وقد كان ﷺ يدرك أن الخطر الذي يلاحق المسلمين يهدد وجود الإسلام كله، لذلك كان من دعائه يوم بدر: **(اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ)**[2]، وفي السنة الخامسة للهجرة، قام نفر من اليهود يحملون الحقد والكراهية تجاه المسلمين بتحزيب الأحزاب على رسول الله ﷺ، فقدِموا على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، ثم توجهوا نحو غطفان ليكتمل عقد الأحزاب، واتفقوا على تحريض باقي القبائل لغزو المدينة، وقتل محمد ﷺ، والتنكيل بأصحابه[3]، وكان هدفهم هو

(1) الشوكاني، فتح القدير (140/3).

(2) سبق تخريجه، ينظر: (ص133).

(3) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية (165/3-167).

القضاء على الإسلام، وإطفاء نوره، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

ولم تتغير سياسة الكفار منذ فجر الإسلام حتى الآن، فالكيد بالإسلام مستمر، وقد شهد التاريخ الإسلامي الحملات الصليبية، ثم التتار، ثم ذهاب الخلافة، والاحتلال المباشر للأراضي الإسلامية والعربية، ثم بعد ذلك، تقسيم دولة الخلافة إلى دويلات، ثم احتلال القدس وفلسطين، ثم الحروب في أفغانستان، والشيشان، والبوسنة والهرسك، ثم احتلال العراق، ثم الحروب في سوريا وليبيا واليمن وغيرها من البلاد الإسلامية، وزرع فتيل الفتنة في الدول الإسلامية، فكان أثر ذلك مقتل مئات الآلاف من المسلمين الموحدين بالله ﷻ في هذه الهجمات والحروب، وكم خلفت من الجرحى والثكالى واليتامى، والخراب والدمار في هذه البلاد.

إنَّ رؤية الكفار عموما للمسلمين هي رؤية مليئة بالحقد والحسد، والدم، يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه باثولوجيا[1] الإسلام: "إن الديانة المحمدية جُذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء، والإدمان على معاقرة الخمور، وارتكاب جميع القبائح... أعتقد أن من الواجب إبادة خُمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر"[2]، هذه هي العقلية التي يفكر بها الكفار من صليبين ويهود وشيوعيين وغيرهم من أعداء الإسلام.

لكن بالرغم من ذلك كله، فإن نور الإسلام ساطع لا يمكن أن يُطفأ أبداً، ومهما حلَّ بالمسلمين من مصائب، فإن التاريخ يشهد بأن الله ﷻ ييسر للأمَّة من ينقذها، فكما يسَّر صلاح الدين الأيوبي ليهزم الصليبين، وسيف الدين قطز* لدحر التتار، فإنه ﷻ قادر على أن يبعث للمسلمين قائداً ربانياً يخلصهم مما هم فيه من بلاء، ولكن كم من التضحيات يحتاجها الطريق في سبيل رد كيد الأعداء! والحفاظ على الهوية الإسلامية! والنهوض من جديد لنشر الإسلام! ورفع راية التوحيد خفاقة! "إننا في حاجة إلى رجال امتلأت قلوبهم بإيمان لا يتزعزع، وعمل لا

---

(1) باثولوجيا: هو قسمٌ مِن عِلْم الطِّبِّ، يُبْحث فيه عن أسباب الأمراض وأعراضها وتشخيصها، ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 153)

(2) العالم، دمّروا الإسلام أبيدوا أهله (ص45-46).

* هو: سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي، ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام، انتصر على التتار في معركة عين جالوت بفلسطين، مات سنة (658-هـ)، ينظر: الزركلي، الأعلام (201/5).

يتوقف، وتضحية بكل غالٍ وثمين، وثقة بالله تعالى لا تضعف، وأرواحا أسعد أيامها يوم تلقى الله ﷻ شهيدة في سبيله"[1].

الخلاصة: التضحية أمر عظيم، ولا يمكن القيام بها حتى تتحقق مقوماتها، المتمثلة في الإيمان بالله ﷻ، والإخلاص له، والصبر على الابتلاءات، واليقين بالله ﷻ وبما قدَّره للعباد، وذكر الله تعالى ودعائه، وأخيراً الشعور بخطر الأعداء، هذه المقومات تعزز عند المسلمين الاستعداد للتضحية.

(1) عبد العزيز، التضحية والفداء (ص11).

المبحث الثاني

غايات التضحية

تنقسم الغايات التي يضحِّي من أجلها المؤمن إلى أخروية ودنيوية، فالمؤمن لا يضحِّي إلا من أجل غاية مشروعة، وشريفة، تستحق التضحية، وأن تُبذَل من أجلها الأنفس، والأموال والأوقات، والملذات وكل شيء، وسيذكر الباحث –إن شاء الله تعالى– أهم هذه الغايات.

المطلب الأول: الغايات الأخروية.

وهي الغايات التي يسعى المؤمن لتحقيقها في الآخرة، وهي كما يلي:

أولاً: نيل رضوان الله تعالى.

إنَّ رضا الله تعالى هي غاية الغايات، وهي الغاية الأولى والأسمى التي تهون التضحية من أجلها، وهي الغاية من تضحيات الأنبياء والرسل أجمعين، ولأجلها نفذوا أصعب وأشق المهام، وكانت حياتهم كلها لله ﷻ، وماتوا من أجلها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، وقد كانت سيرة النبي ﷺ تطبيقاً عملياً لهذه الآية، "فإنه قاوم العالم كله، وتجرد للدعوة إلى الله تعالى، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله ﷻ على رضا الخلق من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم، بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصوراً على إيثار مرضاة الله تعالى، وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه، حتى ظهر دِين الله على كل دين، وقامت حجته على العالمين، وتمت نعمته على المؤمنين، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعَبَدَ الله حتى أتاه اليقين من ربه"[1].

وكانت غاية الصحابة ﷺ هي تحصيل رضوان الله ﷻ، فقد قدَّموا التضحيات تلو التضحيات، وقدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ﷻ حتى رضي عنهم، وأنزل الله ﷻ بذلك قرآنا يُتلَى إلى يوم القيامة، شاهداً على رضاه عنهم، وهو أقوى رد على الذين يتطاولون على أسياد الأمة من الصحابة الكرام، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100]، أي: والذين سبقوا الناس إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا، وفارقوا منازلهم

---

[1] ابن القيم، مدارج السالكين (300/2).

وأوطانهم، وكذلك الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر، وكل من سَلَكَ سبيلهم طلباً لرضا الله ﷻ فهؤلاء جميعا رضي الله عنهم[1]، يقول ابن القيم: "كل من سَلَكَ سبيلهم، فهو من التابعين لهم بإحسان، وهو ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه"[2].

إنَّ الذي يجعل غايته رضا الله ﷻ، فإنه قد سَلَكَ طريق التضحيات؛ لأنَّ الطريق إلى رضا الله تعالى محفوف بالصعاب، ومليء بالمحن والفتن، فمن يرفع شعار الله غايتنا، يتحرك القريب والبعيد لمحاربته، والقضاء عليه، فهذه سنة الله ﷻ في خلقه، حتى يتميز من يرفع هذا الشعار عن صدق وإيمان ويقين، عن غيره ممن يعدُّه مجرد شعار، يذهب مع الريح مع أول فتنة، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣]، إنّ الذي يؤثر رضا الله تعالى فلابد أن يعاديه رذالة العالم، وسقطهم، وجهالهم، وأهل البدع والفجور منهم، وأهل الرياسات الباطلة، ولا يُقْدِمُ على معاداة هؤلاء إلا من كان إسلامه صلباً، لا تزعزعه الطغاة، ومن كان لديه عزيمة قوية، فلا تهزُّه المحن، والشدائد، والمخاوف[3].

إنَّ تحصيل رضا الله تعالى أعظم من النجاة من النار، ودخول الجنة، فأصحاب الجنة عندما يدخلونها لا يتوقعون أنَّ يكون هناك شيء أفضل مما هم فيه، فقد نجاهم الله من عذاب جهنم، وأدخلهم جنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72]، إنَّ الرضوان أكبر من ذلك كله؛ لأنَّ رضا الله ﷻ سبب كل فوز وسعادة، ولأن أصحاب الجنة ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته، والكرامة أكبر أصناف الثواب، لأنَّ العبد إذا علم أنَّ مولاه راضٍ عنه، فهو أكبر في نفسه مما ورائه من النِّعَم، وجاءت كلمة رضوان نكرة، لتدل على أن شيئًا يسيرًا من الرضوان خير من الجنان وما فيها[4]، وقد جاء في الحديث ما يؤكد ذلك، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا**

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (434/14).
(2) مجموع الرسائل، الرسالة التبوكية (ص60).
(3) ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين (302/2).
(4) ينظر: الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (3560/11).

أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)[1].

ثانياً: النجاة من النار.

النجاة من النار من الغايات الكبرى، والمقاصد السامية في حياة المؤمن، وقد جعل الله ﷻ النجاة من النار أحد غايات دين الإسلام؛ لذلك وجَّه الله ﷻ المؤمنين إلى الطريق الموصلة لهذه الغاية، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: 10 – 11]، تشير الآية إلى أنَّ الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ، والتضحية بالمال والنفس إنما الغاية منهما النجاة من عذاب النار؛ فالنّار هي أعظم ما يخاف المؤمن، لذلك يسيرُ إلى هذه الغاية، بتقديم التضحيات؛ لينجو من نار قعرها بعيد، وحرها شديد، وطعامها مرٌّ من غسلين، وشرابها حميم وخبيث، وعذابها أبدي.

وقد أنذر الله ﷻ الناس من النار إنذاراً مباشراً، فقال: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: 14]، والمؤمن يعتقد جازما أنَّ إنذار الله ﷻ لعباده إنما هو إنذار يقيني؛ ولذلك أصبح الدعاء بطلب النجاة من النار من أهم صفات المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: 65 – 66]، وجاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ... مِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً)**[2].

إنَّ أقصى ما يتمناه المؤمن أن ينجو من النار، وأن يدخل الجنة، فهما الغايتان الأساسيتان اللتان تدور حولهما جميع مطالب المؤمنين، ويقدِّمون من أجلهما كل غالٍ ونفيس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: **(مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟)** قَالَ: أَتَشَهَّدُ، ثُمَّ أَسْأَلُ

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق/باب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ص1254: رقم الحديث 6549].
(2) [المرجع السابق، كتاب الدعوات/باب فَضْلِ ذِكْرِ اللهِ ﷻ، ص1230: رقم الحديث 6408].

اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ، مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ[1]، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: **(حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ)**[2]، ومعنى ذلك أنَّ جميع الأدعية التي يدعو بها المؤمن إنما تدور حول غاية محددة، وهي الوصول إلى الجنة والسلامة من النار.

إنَّ النجاة من النار هي الفوز الحقيقي، وهي السعادة الدائمة التي لا شقاء بعدها، قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185]، وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ)**[3] إنَّ شدة الفرح بالخروج من النار جعلت هذا الرجل يعتقد أنه حقق الغاية العظمى؛ لذلك "أقسم من الفرح أنَّ نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين"[4]، فهذا صحيح على حدِّ علمه في تلك اللحظة، فقد تحققت له الغاية التي كان يتمناها متمثلة بالخروج من النار، ولكن بقيت غاية أخرى وهي الفوز بالجنة؛ لذا يجب على المؤمن أن يبذل كل طاقته، ويسخر كل إمكاناته، ويضحِّي بنفسه وماله ووقته وجهده في سبيل الله تعالى، لعل الله ﷻ يمنُّ عليه ويكرمه بأن ينجيه من عذاب النار، ومن أجل هذه الغاية فإنَّ عليه أن يصبر على التضحية، وأن يتحمل المشاق والصعاب والمكاره.

ويتبين من ذلك أنَّه يجب على المؤمن أن يستعيذ بالله ﷻ من النار، ويجعل ذلك هدفاً أساسياً في حياته، فكُلُّ إنسان سيمرُّ مروراً على النار حتماً: قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]، ثم تكون النجاة من النار للذين اتقوا الله ﷻ، وضحوا في سبيله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 72]، فالخروج من نار جهنم، والنجاة منها غاية رئيسة في حياة المؤمن.

---

(1) الدَنْدَنَةُ أَنْ يَتَكَلَّمَ الإِنْسَانُ بِالكَلاَمِ تُسْمَعُ نَغَمَتُهُ ولا يُفْهَمُ، ابن الجوزي، غريب الحديث (350/1).

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الصلاة/باب في تخفيف الصلاة، ص140: رقم الحديث 793]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن أبي داود (225/1).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب آخر أهل النار خروجاً، ص104: رقم الحديث 310].

(4) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (181/16).

ثالثاً: الفوز بالجنة.

وَعَد الله ﷻ عباده المؤمنين الجنة، وقد بيَّن تعالى أنَّ الجنة هي غاية أعمال الإسلام، وقد جعلها الهدف الذي يتسابق إليه المتسابقون، ويتسارع إليه المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: 21]، فالمؤمن يضحِّي بحياته، وينفق ماله، ويؤدي العبادات، ويجتنب المحرمات، ويتعب ويكد في هذه الحياة الدنيا، كل ذلك من أجل الفوز بجنات النعيم، "إنَّ الذي يضحِّي بماله مجاهداً في سبيل الله ﷻ، لو لم يعلم أن الجهاد باب يدخله الجنة لَمَا ضَحَّى بماله، وعندما تضحِّي بالمال أو النفس في سبيل الله تعالى يكون هذا من يقين الإيمان، فلو لم تكن على ثقة أنك إذا استشهدت دخلت الجنة ما حاربت، ولو لم تكن على ثقة بأنك إذا أنفقتَ المال جهاداً في سبيل الله دخلتَ الجنة ما أنفقت"[1].

إنَّ نفس الإنسان مجبولة على الشحِّ وعدم التضحية والعطاء، إلا بمقابل يهوّن عليها ذلك الأمر، فإذا وَضَعَ الإنسان أمام عينيه غاية عظيمة كدخول الجنة فإن هذا يذلِّل كل العقبات التي تواجهه في الطريق، ويهوِّن عليه مشقة العمل، لذلك كان النبي ﷺ يصبر المعذبين من أصحابه وهم يواجهون الموت، وكان يذكرهم بالجنة حتى يثبتهم، عَنْ جَابِرٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: **(أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةَ)**[2]

والجنة هي الثواب الذي أعده الله تعالى للمضحِّين بأنفسهم وأموالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ [التوبة: 111]، لمَّا عظمت الغاية، عظم الطريق الموصل إليها، فجنة الله ﷻ غالية الثمن، والوصول إليها يحتاج إلى تضحيات غالية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألاَ إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ)**[3]، ولأجل ذلك كان ﷺ

---

(1) الشعراوي، الخواطر (5227/9).

(2) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة/باب ذكر مناقب عمار بن ياسر ﷺ، 438/3: رقم الحديث 5666، قال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح السيرة النبوية (ص154).

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/باب 18، ص552: رقم الحديث 2450، قال الترمذي: حسن غريب]، وقال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن الترمذي (587/2).

يحث أصحابه على العمل الدؤوب، والجهد المستمر من أجل تحقيق هذه الغاية، وقد بيَّن لهم أنَّ أفضل مكان لتحقيق هذه الغاية هو تحت ظلال السيوف، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى* ﷺ قال: قال ﷺ: **(اعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)**[1].

وقد ظهر أثر جهد النبي ﷺ في أصحابه، حتى أصبح الواحد يؤمن بأن الشهادة في سبيل الله تعالى هو الذي يفصل بينه وبين دخول الجنة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: "فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ)** فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)**، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ** ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: **(نَعَمْ)**، قَالَ: بَخٍ بَخٍ [2]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟)** قَالَ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: **(فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)**،فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[3]، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ"[4].

المطلب الثاني: غايات دنيوية.

قبل البدء بهذا المطلب، ينبغي التذكير بأنَّ الغايات الدنيوية ليست كلها مشروعة، فمن الناس من تكون غايته العظمى هي جمع المال، أو الوصول لمنصب، أو إشباع شهوة الفرج أو البطن، أو غيرها، وهناك غايات إنسانية مشروعة، حثَّ الإسلام عليها ورغَّب بها، وهي بلا شك مرتبطة بالغايات الأخروية، عن طريق تحصيل الأجر لمن قام بذلك، وهي غايات دنيوية ليس

---

* هو: عبد الله بن أبى أوفى الأسلمي، شهد الحديبية وخبير وما بعد ذلك من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتى قُبِض رسول الله ﷺ، ثم تحول إلى الكوفة، وهو آخر من مات بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ، مات سنة (87هـ)، ينظر: ابن عبد البَر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (870/3).

(1) سبق تخريجه، ينظر: (ص134).

** هو: عمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري، استشهد يوم بدر، قيل: إنه أول شهيد قتل من الأنصار في الإسلام، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1214/3).

(2) بَخٍ بَخٍ: هي كلمة تقال عند المدح والرِّضَى بالشيء، وتُكَرر للمبالغة، ومعناها تعظيم الأمر وتَفْخِيمُه، وقد كثُر مجيئها في الحديث، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (101/1).

(3) القَرَن: هو جَعْبَةٌ صغيرةٌ تُضَمُّ إلى الكَبِيرة، وقيل: هو جَعْبَةٌ مَشْقُوقَةُ الجَنْبِ، لتدخلَ الرِّيحُ فيها، فلا يتآكل الرِّيشُ، ينظر: المديني، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (697/2).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة/باب ثبوت الجنة للشهيد، ص789: رقم الحديث 1901].

بالمعنى المنفر، ولكن بمعنى أن هذه الغايات قريبة المنال، ويمكن رؤيتها والحس بها، وسيتعرض الباحث– إن شاء الله تعالى– لأهم هذه الغايات:

أولاً: التضحية من أجل كرامة الإنسان.

كرَّم الله ﷻ الإنسان، وفضَّله على كثير من المخلوقات بأمور كثيرة، فقد خلَقَه الله ﷻ أباه آدم بيديه، وجعل خلقه في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه، ثم أسجد له الملائكة إكراماً له، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، فهو يمشي قائمًا، ويأكل بيديه، وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفرِّق بين الأشياء، ويعرف منافعها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية، وحملهم في البَرِّ على الدواب من الأنعام والخيل والبغال، وفي البحر على السفن، ورزقهم من أفضل أنواع الأطعمة والأشربة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، وفضَّلهم على سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات[1].

إنَّ هذه الآية الكريمة تشكِّل الأساس الذي تُبنَى عليه كرامة الإنسان في الإسلام، فكرامة الإنسان تستمد قداستها من كرامة الله ﷻ له، وهذا يعني أنَّه يجب صيانة كرامة الإنسان، وتحصينها ضد أي انتهاك، لذلك عدَّ النبي ﷺ الذي يموت دون أهله شهيداً؛ لأنه يموت مدافعاً عن كرامة أسرته، فقد جاء في الحديث أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **(مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ)**[2]، والدفاع عن الأهل يعني الدفاع عن عِرْضِ المرء وكرامته، فالأهل يشمل الأمهات، والبنات، والزوجات، والأخوات وغيرهن من القرابة التي يضحِّي المرء بنفسه من أجل حفظ كرامتهن، وقد عدَّ بعض العلماء، منهم الشعبي، والأوزاعي، وإسحاق شهيد الظلم مثل شهيد المعركة في الحكم، فلا يُغسَّل، ولا يُصلَّى عليه[3].

والكرامة غاية سامية يسعى المسلم لتحقيقها، حتى لو أدَّى ذلك إلى التضحية بالنفس والمال من أجلها، وربما امتهان كرامة فرد واحد يؤدي إلى إعلان حرب، وما كانت غزوة بني قينقاع إلا لسبب كشف وجه امرأة، وإهانة كرامتها، قال ابن هشام: " كان من أمر بني قينقاع أنَّ

---

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (97/5).

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب السُّنَّة/باب فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ، ص865: رقم الحديث 4772]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن أبي داود (172/3).

(3) ينظر: ابن قدامة، المغني (207/2).

امرأة من العرب، قدمت بجلبٍ لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ، فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع"[1]، لقد تحركت نخوة المسلم، فاندفع ليحفظ كرامة المرأة، إنها الكرامة التي ضحَّى من أجلها، ودفع حياته ثمناً لها.

وقد ذكرت كتب التاريخ قصة المرأة التي استنجدت بالمعتصم، يقول ابن الأثير: "ولما خرج ملك الروم، وفعل في بلاد الإسلام ما فعل، بلغ الخبر المعتصم، فلما بلغه ذلك استعظمه، وكبُر لديه، وبلغه أنَّ امرأة هاشمية صاحت، وهي أسيرة في أيدي الروم: وامعتصماه، فأجابها وهو جالس على سريره: لبيك، لبيك، ونهض من ساعته، وصاح في قصره النفير النفير[2]، انتفض المعتصم لكرامة المسلمين، وجيَّش الجيوش لأجل استرداد كرامة الأمة الإسلامية.

ثانياً: التضحية من أجل الحرية.

الحرية هي أحد الغرائز التي فطر الله ﷻ الإنسان عليها، فالإنسان بطبعه يكره القيود، ويتفلت منها، ويأبى الذل والخضوع لغيره من البشر؛ لأنَّ ذلك خلاف الفطرة التي فُطِر عليها، والحرية نعمة عظيمة من نعم الله ﷻ على الإنسان، فموسى عليه السلام اعترف بهذه النعمة، عندما تركه فرعون حراً، بينما استعبد قومه من بني إسرائيل، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: 22]، والمعنى: "تربيتك إياي، وتركك استعبادي، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحقّ"[3]، والحرية غاية شريفة يضحي الناس لأجلها على مدى التاريخ، فهي من حقوق الإنسان التي لازمته، وكافح لأجل الحفاظ عليها، فالحرية نعمة تصاحبها عزة وكرامة وحياة شريفة، ومقابل ذلك العبودية التي تلازمها ذلة ومهانة وحياة بائسة.

---

[1] السيرة النبوية (47/2).

[2] الكامل في التاريخ (40/6).

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (342/19).

والتضحية لأجل الحرية من المنظور الإسلامي ترتكز على ثلاثة محاور أساسية، هي:

1- تحرير الإنسان من الرقِّ والعبودية.

من مظاهر اعتناء الإسلام بالحرية، أنه حثَّ على تحرير العبيد؛ لأنَّ في العبودية قهراً لنفس الإنسان، وانتقاص من قدره، فجاء التشريع الإسلامي بالأحكام التي من شأنها القضاء على ظاهرة العبودية التي كانت منتشرة قديماً، والتضحية بالمال هي المطلوبة لهذا الأمر، وقد حثَّ الإسلام المسلمين على التضحية بأموالهم لتحرير العبيد، وجاء التشريع الإسلامي لتحقيق هذه الغاية، فجعل المصرف الخامس من مصارف الزكاة الثمانية تحرير الرقاب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: 60]، وربما لا تكفي أموال الزكاة لتحرير كل العبيد، لذا خصَّص الشارع بعض الكفارات لتحريرهم، مثل: كفارة القتل الخطأ، والظهار، وحنث اليمين، والجماع في نهار رمضان.

ولكي يقضي الإسلام على هذه الظاهرة تماماً، رتَّب الشارع أجراً عظيماً على من يضحي بماله في سبيل تحرير العبيد، قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: 11 – 13]، "شبَّه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها"[1]، "وإعتاق الرقاب من أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ لأنَّ في الحرية كمال الإنسانية، وكمال التكليف الاجتماعي؛ ولأنَّ في الحرية قوة وتحمل الأعباء"[2]، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّار)**[3].

2- تحرير الأسرى من أيدي الأعداء.

شرَّع الإسلام الكثير من التشريعات لكفالة حقوق المسلم، ومن هذه الحقوق تحريره إذا وقع أسيراً في أيدي الأعداء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ [الأنفال: 72]، إنَّ المؤمنين مطالبون بأن ينصروا إخوانهم المؤمنين الذين لم يهاجروا في الدِّين، إلا إذا كان النصر على قوم بينكم وبينهم عهد، وقد استُثنِي من ذلك حالة واحدة هي "أن يكونوا

---

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (256/5).

(2) أبو زهرة، صفوة التفاسير (525/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب العتق/باب مَا جَاءَ فِي الْعِتْقِ وَفَضْلِهِ، ص477: رقم الحديث 2517].

أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم، كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال، والعدة والعدد، والقوة والجلد"[1]، فتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال، وإما بالأموال، والثاني أوجب لكونها دون النفوس، إذ هي أهون منها، وإذا لم يستطيعوا فعليهم مواساتهم، لكن المواساة دون المفاداة[2].

وكذلك أوْلت السنة تحرير الأسرى أهمية كبيرة، فعَنْ أَبِي مُوسَى* ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(فُكُّوا الْعَانِيَ، يَعْنِي: الْأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ)**[3]، وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ** ﷺ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ ﷺ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ"[4].

"وأمَّا فَكَاك الأسير: فإنه نَوعٌ من المعُونة، وبابٌ من حُقوق المعْروف زَائِدٌ على الحُقُوقِ الوَاجِبَة في الأموالِ من الصَّدقات المَفْروضَةِ، فأُلحِقَ بالعَقْل؛ لأنَّ سبيلهُما واحدٌ في إنقاذِ النَّفْس التي قد أَشرَفَت على الهَلَكة وتَخْليصِها منها" [5]، ويرجح النووي: أنَّ أَسْر مسلم أعظم من دخول الكفار دار الإسلام؛ "لأن حرمته أعظم من حرمة الدار، فعلى هذا لا بد من رعاية النظر، فإن

---

(1) ابن العربي، أحكام القرآن (440/2).

(2) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (5/ 279).

* هو: أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس، أسلم بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين جعفر وأصحابه، ووافوا رسول الله ﷺ بخيبر، ولِيَ البصرة في عهد عمر، ثم الكوفة في عهد عثمان، ثم رجع إلى مكة ومات بها سنة (42–هـ)، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1764/4).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّير/باب فَكَاكِ الْأَسِيرِ، ص583: رقم الحديث 3046].

** هو: أبو جحيفة السّوائي، وهب بن عبد الله، من صغار الصحابة، روى عن النبي ﷺ، مات النبي ﷺ وهو لم يبلغ الحلم، جعله علي ابن أبي طالب على بيت المال بالكوفة، مات بالبصرة سنة (72–هـ)، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (53/6).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّير/باب فَكَاكِ الْأَسِيرِ، ص583: رقم الحديث 3047].

(5) الخطابي، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (2309/4).

كانوا على قرب دار الإسلام، وتوقعنا استخلاص من أسروه لو طرنا إليهم، فعلنا"[1].

ويجب أن نشير في مثل هذا الموضوع إلى ما يعانيه الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال الإسرائيلي، والذين بلغ عددهم قرابة الستة آلاف منهم النساء والأطفال والشيوخ، والمرضى، والشباب، ومنهم من قضى نحبه في السجن، ومنهم من قضى أكثر من خمسة وعشرين عاما في سجون الاحتلال، وهؤلاء الأسرى محرومون من أبسط حقوق الإنسان، مثل حق الدواء، وحق زيارة الأقرباء، وحق التعليم، وغيرها، والأقسى من ذلك كله، أولئك المعزولون انفراديا، فالأسير يتعذب نفسيا وبدنيا، ومعلوم أن العذاب النفسي أقوى وأصعب على الإنسان، فالأسير مسلوب الإرادة، فاقد لشبابه، مفارق لأهله وأصحابه.

والأسرى هم رجال ضحوا بحياتهم وفاءً لدينهم ووطنهم وأمتهم، وحُقَّ للأمَّة أن تَرُدَّ الجميل لهم، فتضحِّي من أجل تحريرهم ببذل كل الوسائل الممكنة، وقد استطاعت المقاومة الإسلامية في غزة بفضل الله ﷻ أن تخطف جنديا إسرائيليا؛ لتتم بعد ذلك مبادلته بإخراج أكثر من ألْف من الأسرى، ومن أجل تحرير الأسرى قدَّم أهل غزة نموذجاً رائعاً في التضحية، فقد تحملوا عبء حرب كانت نتيجتها الآلاف من الشهداء والمصابين، وتدمير الآلاف من المنازل، وتدمير الاقتصاد والبُنَى التحتية وغيرها، وقد صبر أهل غزة على هذا البلاء العظيم، أرجوا الله تعالى أن يكون هذا كله في ميزان حسناتهم، وأدعوا الله ﷻ أن يفك قيد جميع أسرى المسلمين، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

3- تحرير الأوطان من الاحتلال الأجنبي.

يطلق لفظ الوطن على الأرض التي يولد عليها الفرد وينشأ فيها، ويصاحب ذلك الشعور بالانتماء له، وهذا هو الوطن الخاص، أما الوطن بالمفهوم الأوسع والأشمل فهو كل البلاد التي ترفرف فوقها رايات التوحيد، وتدين بالإسلام، والإسلام لا يتعارض مع خصوصية مكان الولادة والمنشأ، فقد بقيت أسماء بعض الصحابة ﷺ منسوبة إلى المواطن التي نشؤوا فيها، فيقال: بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي وغيرهم، بل كان الانتماء إلى أقل من ذلك وهو القبيلة، فيقال: أبو ذر الغفاري، وأبو موسى الأشعري، وهكذا.

فتحرير الوطن يوجب الدفاع عنه، والتضحية لأجله، وهذا عام في جميع الأمم، والأمَّة الإسلامية أَولى الناس بهذه الفضيلة، والدفاع عن الوطن هو كالدفاع عن الدِّين، وقد ساوى الله

---

(1) روضة الطالبين وعمدة المفتين (216/10).

ﷻ أيضا بين الموت والخروج من الديار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: 66]؛ لذلك فإن الذي يسعى لتحرير وطنه ويدافع عنه هو كالذي يدافع عن دينه، وعن نفسه، وهما غايتان توجبان التضحية من أجلهما.

وتحرير الوطن من أيدي المحتلين من الغايات الدنيوية النبيلة، وقد حث الإسلام على التضحية من أجل الوطن، وأوجب تحريره، فاحتلال بلد من بلاد المسلمين أحد الأسباب التي تجعل الجهاد فرض عين، يقول ابن قدامة: "إذا نزل الكفر ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم"[1]، وسبب ذلك أنَّ احتلال الوطن من قبل الأعداء يحمل خطورة بالغة على الإسلام والمسلمين، والمدافعون عنه إنما يدافعون عن دينهم وأنفسهم وأموالهم وأهليهم وأرضهم وعِرْضهم؛ ومن يموت من أجل أي واحدة من ذلك فهو شهيد في سبيل الله تعالى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ* ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ)**[2]، "إنّ الدفاع عن النفس والعقيدة والوطن أمر محبب إلى النفوس، لا سيما إذا كانت تعتقد أنها على الحق، وأن خصمها على الباطل"[3].

وتنبغي الإشارة إلى أنَّ رابطة الإسلام أقوى من رابطة الوطن، وإن اجتمعت رابطة الإسلام مع رابطة الوطن فهي بالتأكيد تكون رابطة أشد وأقوى من أي رابطة أخرى.

ثالثاً: التضحية من أجل رفع الظلم.

إنَّ رفع الظلم عن المظلومين من الغايات المحمودة التي حث عليها دِين الإسلام، ولأجل هذه الغاية يضحِّي المؤمن بنفسه وماله؛ ليرفع الظلم عن نفسه، ولأهمية هذه الغاية، كان رفع الظلم عن النفس هو أول الأسباب التي لأجلها فرض القتال، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ

---

(1) المغنِي (197/9).

* هو: سَعِيدٌ بْنُ زَيْدٍ القرشي العدوي، من المهاجرين الأولين، لم يشهد بدرا لأن النبي ﷺ بعثه إلى طريق الشام ليأتي بالأخبار، شهد ما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، نزل الكوفة ومات فيها، وقيل مات بالمدينة سنة (51هـ)، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (620/2).

(2) [النسائي: سنن النسائي، كتاب تحريم الدم/باب مَنْ قَاتَلَ دُونَ دِينِهِ، ص632: رقم الحديث 4095]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن النسائي (ص101).

(3) السايس، تفسير آيات الأحكام (ص517)

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]، "بيّن الله تعالى سبب الإذن في القتال على سبيل الإجمال بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، فالله تعالى أَذِنَ للمسلمين في قتال عدوهم، وندبهم للجهاد في سبيله، لا حُبًّا في إراقة الدماء وإزهاق الأرواح، ولا لمجرد البطش والقهر، كما يزعم خصوم الإسلام، فإنّ الإسلام دِين أمن وسلام، وبشير رحمة وطمأنينة، ولكنه تعالى أذن لهم لأجل أن يدفعوا ذلك الظلم الذي وقع عليهم من جانب المشركين، والذي أصابهم في أوطانهم وأنفسهم ودينهم"[1].

فالذي يضحِّي بروحه لأجل رفع الظلم عن نفسه فهو شهيد، عن سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ* ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)**[2]، وبعد أن يتمكن المؤمن من رفع الظلم عن نفسه، فهو مطالب بأن يبذل كل ما في وسعه من أجل رفع الظلم عن إخوانه المسلمين المستضعفين، وقد حث الله ﷻ المؤمنين على ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: 75]، تبين الآية أنَّ الجهاد "يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدِّين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس"[3]، والمعنى وأيُّ عذر لكم يمنعكم من أن تنصروا إخوانكم المستضعفين، الذين استذلهم أهل مكة الجبابرة، وآذوهم أشد الإيذاء، ليمنعوهم من الهجرة ويفتنوهم عن دينهم ويردوهم في ملتهم، فجاء هذا الوصف لإثارة النخوة، وإيقاظ شعور الرحمة والأنفة، مما يجعل نفس الحُرِّ تشتعل حماسة وغيرة على إنقاذهم والسعي في رفع الظلم عنهم[4].

---

(1) السايس، تفسير آيات الأحكام (ص517)

* هو: سويد بن مقرن بن عائذ المزني، أخو النعمان بن مقرن، تولى قيادة الجيش بعد مقتل أخيه النعمان في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، نزل الكوفة ومات بها، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (680/2)، والجرجاني، تاريخ جرجان (ص44).

(2) [النسائي: سنن النسائي، كتاب تحريم الدم/باب من قَاتَلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ، ص632: رقم الحديث 4096]، قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح سنن النسائي (102/3).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (279/5).

(4) ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (91/5).

والقتال من أجل رفع الظلم ليس مختصاً بالكافرين فقط، بل يتعلق بالمؤمنين إذا ظلموا إخوانهم المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، ذكر العلماء ثلاثة أشكال لاقتتال المؤمنين:

1- أن تقتتلا بغياً منهما جميعاً، فالواجب في ذلك إصلاح ذات البين، وأن يكفوا جميعاً عن الظلم، فإن لم تصطلحا، وأقامتا على البغي، صِير إلى مقاتلتهما معاً.

2- أن يكون لدى كل فرقة شبهة حق، وتعتقد كل فرقة أنها محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة، والبراهين القاطعة، فإن لم تقوما بما نُصِحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما، فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين.

3- أن تكون إحداهما باغية على الأخرى معلوم بغيها، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب، فإن فعلت، أُصلِح بينها، وبين المبغي عليها بالقسط والعدل[1].

الخلاصة: تنقسم غايات التضحية إلى قسمين: غايات أخروية، متمثلة في نيل رضوان الله تعالى، والنجاة من النار، والفوز بالجنة، وغايات دنيوية مثل: التضحية من أجل صيانة الكرامة الإنسانية، ومن أجل الحرية سواء كانت لتحرير الإنسان من الرق، أو لتحرير أسرى المسلمين، أو تحرير البلاد الإسلامية الواقعة تحت الاحتلال، وأخيرا التضحية من أجل رفع الظلم عن المظلومين.

(1) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (317/16).

الخاتمة

ما أجمل أن يعيش المرء في رحاب القرآن الكريم، يتأمل آياته، يتدبر أحكامه، يتصفح كتب تفسيره للوقوف على معانيه وعلومه، فقد عشت أوقاتا ظاهرها التعب والمشقة والسهر، ولكن يشهد الله تعالى أني كنت مستمتعا بهذا العمل، وكنت أشعر بلذة في العمل مع كتاب الله ﷻ، إن هذه التجربة الجميلة، جعلتني أتفهم كيف كان العلماء يقضون معظم أوقاتهم في خدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله، إنها لذة الانشغال بكتاب الله تعالى، أنشد الإمام الشافعي قائلاً:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لي ... مِنْ وَصْلِ غَانِيةٍ وَطيبِ عِنَاقِ

وصريرُ أقلامي على صفحائه ... أحلى منَ الدَّكاءِ والعشاقِ

وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الفتاة لِدُفِّهَا ... نقري لألقي الرَّملَ عن أوراقي

وتمايلي طرباً لحلِّ عويصةٍ ... في الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ

وأبيتُ سهرانَ الدُّجا ونبيتهُ ... نَوْماً وَتَبْغي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي؟[1]

فالحمد لله تعالى الذي وفقني إلى الانتهاء من كتابة هذه الرسالة المتواضعة، وأسال الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل مني، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يجعله من العلم الذي ينفع صاحبه بعد الممات، وفي ختام هذه الرسالة، سيذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، ثم أهم التوصيات:

أولاً: أهم النتائج.

1- اتسعت الدلالة اللغوية للفظة التضحية التي كانت مقتصرة على التضحية بالأنعام في عيد الأضحى إلى مفهوم أوسع لتشمل معاني البذل والعطاء والفداء والجهاد والكرم وغيرها.

2- لم ترد لفظة التضحية صريحة في القرآن الكريم، ولكنها وردت كثيرا بمفهومها ومعناها.

3- الجهاد، والفداء، والعطاء، والإيثار، والهدية من الألفاظ المقاربة لمعنى التضحية التي وردت في القرآن الكريم، والبخل والهلع والشح من الألفاظ المقابلة لها.

4- أثبتت الدراسة أن مجالات التضحية متنوعة منها: التضحية بالنفس، وبالمال، وبالوقت، وبالوطن، وبالملذات الدنيوية.

5- تمثل التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى أعلى صور التضحية، وأعظمها أجراً.

---

(1) سليم، ديوان الإمام الشافعي (ص104).

6- أثبتت الدراسة أن شهداء الإعداد للمعركة لا يقلُّون أهمية ولا أجرا عن شهداء المعركة.
7- تُعَدُّ التضحية بالمال المجال الثاني من مجالات التضحية، وقد ركز القرآن على هذا المجال كثيرا، فلا يمكن تصور قتال الأعداء بدونه.
8- جاءت صور التضحية بالمال متعددة ومتنوعة، وذلك ليتناسب مع حاجات المجتمع المتعددة.
9- أكدت الدراسة على أهمية التضحية بالوقت، واستثماره في مجالات الخير مثل: الدعوة إلى الله تعالى، والعبادات، والعلم، والإصلاح بين الناس.
10- بيَّنت الدراسة أنَّ المؤمن يضحي بالملذات المؤقتة والفانية، المتمثلة بشهوة البطن، والفرج، والنوم، والسكن، من أجل الملذات الحقيقية الدائمة في جنات النعيم.
11- وضَّحت الدراسة أجر المضحين بأنفسهم في سبيل الله تعالى، فهم موعودون بالنصر أو الشهادة، ويفرحون بلقاء الله ﷻ، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، وموعودون بالنجاة من النار، ودخول الجنة.
12- كما وضحت الدراسة أجر المضحين بأموالهم في سبيل الله تعالى، من مضاعفة للأجور، وتطهير للقلوب، وتيسير لأمورهم في الدنيا والآخرة، فلا يخافون على ما هو آت، ولا يحزنون على ما فات، فهم ناجون من النار، فائزون بالجنة.
13- بيَّنت الدراسة أنَّ التقاعس عن التضحية بالأنفس والأموال في سبيل الله تعالى يُعَرِّض الإنسان للتهلكة.
14- بيَّنت الدراسة أنَّ الإيمان واليقين بالله ﷻ، والإخلاص، والذِّكْر، والصبر على الابتلاءات، والشعور بخطر الأعداء، من المقومات التي تعزز الاستعداد للتضحية عند المسلمين.
15- أثبتت الدراسة أنَّ الكرامة والحرية ورفع الظلم عن المظلومين غايات نبيلة تستحق التضحية من أجلها.
16- بينت الدراسة أهمية العمل على تحرير أسرى المسلمين، وتحرير البلاد الإسلامية الواقعة تحت الاحتلال.

ثانياً: أهم التوصيات.

1- أوصي طلبة العلم بدراسة التضحية غير المشروعة في ضوء القرآن الكريم، وذلك للتحذير من سلوك دروبها.
2- أوصي طلبة العلم بدراسة التضحية في ضوء السنة النبوية.
3- أوصي طلبة العلم بدراسة معمقة وموسعة لكل مجال من مجالات التضحية.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- المراجع العربية

1- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري. (1996م). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق: عادل أحمد الرفاعي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

2- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري. (1415هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

3- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد. (1979م). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية.

4- الأحمدي، وآخرون. (1424هـ.). الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة.(د.ط). السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

5- الأصبهاني، محمد بن عمر بن أحمد. (1408هـ). المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث. تحقيق: عبد الكريم العزباوي. ط1. جدة: دار المدني.

6- الألباني، محمد ناصر الدين. (1419هـ). صحيح سنن أبي داود. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

7- الألباني، محمد ناصر الدين. (2003م). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه. ط1.(د.م): دار باوزير.

8- الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت). صحيح الترغيب والترهيب. ط5. الرياض: مكتبة المعارف.

9- الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت). صحيح السيرة النبوية. ط1. عَمَّان: المكتبة الإسلامية.

10- الألباني، محمد ناصر الدين. (1997م). صحيح سنن ابن ماجة. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

11- الألباني، محمد ناصر الدين. (1420هـ). صحيح سنن الترمذي. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

12- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
13- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1998م). صحيح البخاري. اعتنى به أبو صهيب الكرمي. (د.ط). الرياض: بيت الأفكار الدولية.
14- البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. (1409هـ). البحر الزخار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله. بيروت: الناشر مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم.
15- البصارة، نبيل بن منصور بن يعقوب. (1426هـ). أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري. ط1. بيروت: مؤسَّسَة السَّماحة.
16- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد. (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
17- البنا، حسن أحمد. (د.ت). ديوان مسلم بن الوليد. (د.ط). مصر: المكتبة العلامية.
18- البنا، حسن أحمد. (2002م). نظرات في كتاب الله. (د.ط). القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
19- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
20- الترمذي، محمد بن عيسى. (د.ت). سنن الترمذي. اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان. حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.
21- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1426هـ). مجموع الفتاوى. تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار. ط3. (د.م): دار الوفاء.
22- الجرجاني، حمزة بن يوسف أبو القاسم. (1401هـ). تاريخ جرجان. تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان. ط3. بيروت: عالم الكتب.
23- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني. (1405م). التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
24- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (2004م). صيد الخاطر. بعناية: حسن المساحي سويدان. ط1. دمشق: دار القلم.

25- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (1418هـ). كشف المشكل من حديث الصحيحين. تحقيق: علي حسين البواب. الرياض: دار الوطن.
26- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. (1985م). غريب الحديث. تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
27- الحاكم، محمد بن عبد الله. (2002م). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.
28- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. (1395هـ). الثقات. تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. ط1. بيروت: دار الفكر.
29- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. (1993م). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.
30- حجازي، محمد محمود. (1413هـ). التفسير الواضح. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد.
31- ابن حجر، أحمد بن علي. (1412هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل.
32- ابن حجر، أحمد بن علي. (1995م). تهذيب التهذيب. تحقيق: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
33- ابن حجر، أحمد بن علي. (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محب الدين الخطيب. (د.ط) بيروت: دار المعرفة.
34- حوى، سعيد،(1401هـ). في آفاق التعاليم. ط2. عَمَّان: مكتبة الرسالة الحديثة.
35- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل.(د.ط). بيروت: دار الفكر.
36- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. (1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. تصحيح: محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
37- الخطابي، حمد بن محمد. (1409هـ). أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري. تحقيق: محمد ابن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. ط1. مكة: مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي.
38- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (2001م). تاريخ بغداد. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

39- الخطيب، عبد الكريم يونس. (1970م). التفسير القرآني للقرآن. ط1. القاهرة: دار الفكر العربي.
40- أبو داود، سليمان بن الأشعث. (د.ت). سنن أبي داود. اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان. حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. ط2. الرياض: مكتبة المعارف.
41- دراز، محمد عبد الله. (1418هـ). دستور الأخلاق في القرآن. ط10. بيروت: مؤسسة الرسالة.
42- دروزة، محمد عزة. (1383هـ). التفسير الحديث. ط1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
43- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى.(1415هـ). إعراب القرآن وبيانه. ط4. دمشق: دار ابن كثير.
44- ابن دقيق العيد، محمد بن علي بن وهب.(2005م). إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
45- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (1996م). سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط11. بيروت: مؤسسة الرسالة.
46- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن. (1420هـ). مفاتيح الغيب. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
47- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (1422هـ). تفسير الراغب. تحقيق: هند بنت محمد بن زاهد سردار. ط1. السعودية: جامعة أم القرى.
48- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (1430هـ). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط4. دمشق: دار القلم.
49- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. (د.ط). الإسكندرية: دار الهداية.
50- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1422هـ). التفسير الوسيط. ط1. دمشق: دار الفكر.
51- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. (2001م). الأعلام. ط15. بيروت: دار العلم للملايين.

52- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
53- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى. (1987م). زهرة التفاسير، (د.ط). (د.م): دار الفكر العربي.
54- السايس، محمد علي.(2002م). تفسير آيات الأحكام. تحقيق: ناجي سويدان. (د.ط). القاهرة: المكتبة العصرية.
55- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن.(1992م). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ط1. بيروت: دار الجيل.
56- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع. (1968م). الطبقات الكبرى. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار صادر.
57- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1422هـ). تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. ط1. السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
58- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد. (1996م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. بيروت: الرسالة.
59- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.(د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
60- السلطاني، عبد اللطيف بن علي بن أحمد. (1402هـ). في سبيل العقيدة الإسلامية. ط1: الجزائر: دار البعث.
61- السلمي، محمد بن الحسين بن موسى. (1421هـ). حقائق التفسير. تحقيق: سيد عمران. بيروت: دار الكتب العلمية.
62- سليم، محمد إبراهيم. (د.ت). ديوان الإمام الشافعي.(د.ط)، القاهرة، مكتبة ابن سينا.
63- السمرقندي، نصر بن محمد. (د.ت). بحر العلوم. تحقيق: محمود مطرجي. (د.ط). بيروت: دار الفكر.
64- السمرقندي، نصر بن محمد. (1421هـ). تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط3. دمشق: دار ابن كثير.
65- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1419هـ). التوشيح شرح الجامع الصحيح. تحقيق: رضوان جامع رضوان. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

66- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر.(1396هـ) طبقات المفسرين. تحقيق: علي محمد عمر. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة.
67- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1997م). الموافقات. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. (د.م): دار ابن عفان.
68- الشحود، علي بن نايف. (1428هـ). الخلاصة في أحكام الشهيد. (د.ط). (د.م): (د.ن).
69- الشربيني، محمد الخطيب. (1994م). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
70- الشعراوي، محمد متولي. (1991م). خواطري حول القرآن الكريم (تفسير الشعراوي).(د.ط). القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
71- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر. (1415هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.(د.ط). بيروت: دار الفكر.
72- الشنقيطيَّ، محمد المختار، وآخرون. (1436هـ). المختصر في تفسير القرآن الكريم. ط3. الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية.
73- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله.(1414هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط1. دمشق: دار ابن كثير.
74- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (1973م)، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار(د.ط). بيروت: دار الجيل.
75- الصالحي، محمد بن يوسف.(1414هـ). سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
76- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (1420هـ). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث.
77- الصنعاني، محمد بن إسماعيل.(1379هـ). سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام. تحقيق محمد الخولي. ط4. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
78- الطبري، محمد بن جرير. (2000م). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

79- طنطاوي، محمد سيد. (1998م) التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1. القاهرة: دار نهضة.
80- الطيبي، الحسين بن عبد الله. (1417هـ). الكاشف عن حقائق السنن. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
81- ابن عادل، عمر بن علي. (1419هـ). اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
82- عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984م). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.
83- العالم، جلال.(د.ت) دمروا الإسلام أبيدوا أهله. (د.ط). (د.م): (د.ن).
84- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد. (1412هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد البجاوي. (د.ط). بيروت: دار الجيل.
85- عبد العزيز، جمعة أمين.(د.ت). التضحية والفداء في الإسلام.(د.ط). (د.م): دار الدعوة
86- ابن عثيمين، محمد بن صالح. (1423هـ). تفسير الفاتحة والبقرة. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي.
87- ابن العربي، محمد بن عبد الله. (2003م). أحكام القرآن. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط3. بيروت، دار الفكر.
88- ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد. (1431هـ). الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية. تعليق: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين. ط1. الرياض: دار الصميعي.
89- عزت، دروزة محمد. (1383هـ). التفسير الحديث. (د.ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
90- العسكري، الحسن بن عبد الله العسكري. (1412هـ). الفروق اللغوية. تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي. ط1. (د.م): مؤسسة النشر الاسلامي.
91- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
92- العظيم آبادي، محمد شمس الحق. (1415هـ). عون المعبود شرح سنن أبي داود. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

93- العليمي، مجير الدين بن محمد. (1430هـ). فتح الرحمن في تفسير القرآن. تحقيق: نور الدين طالب. ط1. دار النوادر.
94- عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر. (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة ط1. (د.م): عالم الكتب.
95- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. (د.ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
96- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1407هـ). المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي. (د.ط). قبرص: الجفان والجابي.
97- ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني. مقاييس اللغة، (6ج). تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون. (د.ط) بيروت: دار الفكر، 1979م.
98- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2005م). القاموس المحيط. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. ط8. بيروت: الرسالة.
99- القاري، علي بن سلطان محمد.(1422هـ). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تحقيق: جمال عيتاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
100-ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1398هـ).غريب القرآن. تحقيق: أحمد صقر.(د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
101-ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. (1405هـ). المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح الحلو. ط1. بيروت: دار الفكر.
102-القرطبي، محمد بن أحمد. (1425هـ). التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم. ط1. الرياض، دار المنهاج.
103-القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. (1964م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط3. القاهرة: دار الكتب المصرية.
104-القره داغي، علي محي الدين علي. (2001م). بحوث في فقه المعاملات المالية المعاصرة. ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية.
105-القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. (1983م). لطائف الإشارات. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط2. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

106-قطب، سيد قطب إبراهيم حسين.(1412هـ). في ظلال القرآن. ط17. القاهرة: دار الشروق.
107-قطب، سيد قطب إبراهيم حسين،(1399هـ). مَعَالِم في الطَريق. ط6. بيروت: دار الشروق.
108-القمي النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين. (1416هـ). غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تحقيق : الشيخ زكريا عميران. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
109-القنوجي، صديق حسن خان. (2003م). نيل المرام من تفسير آيات الأحكام. تحقيق : محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
110-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب. (د.ت). مجموع الرسائل-الرسالة التبوكية. تحقيق: محمد عزير شمس. (د.ط). مكة: دار عالم الفوائد.
111-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب. (د.ت). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
112-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب. (1429هـ). الفوائد. تحقيق: محمد عزير شمس.ط1. مكة: دار عالم الفوائد.
113-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب. (1414هـ). طريق الهجرتين وباب السعادتين. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط2. الدمام: دار ابن القيم.
114-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب. (1973م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي.
115-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1410هـ). التفسير القيم، تحقيق: إبراهيم رمضان. ط1. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
116-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (د.ت). بدائع الفوائد. تحقيق: علي بن محمد العمران.(د.ط). مكة: دار عالم الفوائد.
117-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1429هـ). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. تحقيق : إسماعيل بن غازي مرحبا. ط1. مكة: دار عالم الفوائد.
118-ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1997م). البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي. ط1. الجيزة: هجر للطباعة والنشر.

119-ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999م). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (د.م): دار طيبة.
120-كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني. (1957م). معجم المؤلفين. (د.ط). بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.
121-الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. (1998م). الكليات. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري.(د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.
122-الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي. (1405هـ). أحكام القرآن. تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.
123-الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور. (1426هـ). تأويلات أهل السنة. تحقيق: مجدي باسلوم. (د.ط). بيروت، دار الكتب العلمية.
124-ابن ماجة، محمد بن يزيد، (د.ت). سنن ابن ماجة. اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.
125-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. (1992م). النكت والعيون. تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
126-المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. (1990م). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
127-المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م). تفسير المراغي. ط1. مصر: مطبعة مصطفى البابى الحلبي.
128-المراغي، عبد الله مصطفى،(1947م). الفتح المبين في طبقات الأصوليين. (د.ط) مصر: مطبعة أنصار السنة المحمدية.
129-المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج. (1980م). تهذيب الكمال. تحقيق: بشار عواد معروف. ط1. بيروت، مؤسسة الرسالة.
130-المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج. (1980م). تهذيب الكمال. تحقيق: بشار عواد معروف. ط1. بيروت، مؤسسة الرسالة.
131-مسعود، جبران، (1992م). الرائد، ط7. بيروت: دار العلم للملايين.
132-مسلم، مسلم بن الحجاج. (1998م). صحيح مسلم. اعتنى به أبو صهيب الكرمي. (د.ط). الرياض: بيت الأفكار الدولية.

133-مصطفى، إبراهيم وآخرون، (2004م). المعجم الوسيط. ط4. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
134-المُظْهِري، الحسين بن محمود بن الحسن. (1433هـ). المفاتيح في شرح المصابيح. تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. ط1. الكويت: دار النوادر.
135-المغربي، عبد القادر. (2-1-1956م). التضحية بمعنييها الفصيح والعامي. ورقة مقدمة إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية للدورة الثانية والعشرين، مج(12). مصر: مجمع اللغة العربية.
136-مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير.(1424هـ). تفسير مقاتل بن سليمان. تحقيق : أحمد فريد. ط1. بيروت، دار الكتب العلمية.
137-ابن الملقن، عمر بن علي.(2008م). التوضيح لشرح الجامع الصحيح. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي والتراث. ط1. دمشق: دار النوادر.
138-المناوي، محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين.(1990م). التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: عبد الخالق ثروت. ط1. القاهرة: عالم الكتب.
139-ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.(1414هـ). لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر.
140-ناصر الجليل، عبد العزيز، (2004م). التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة. (د.ط)،(فلسطين-غزة) (د.ن).
141-الناصري، محمد المكي. (1985م).التيسير في أحاديث التفسير. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
142-النسائي، أحمد بن شعيب بن علي. (د.ت). سنن النسائي. اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان. حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.
143-نسيرة، هاني. (2005م، 5 يناير). أحمد مختار عمر- عاشق العربية وخادم القرآن. تاريخ الاطلاع: 12 إبريل 2016م. الموقع: (http://www.alfaseeh.com).
144-نوح، السيد محمد. (1987م). آفات على الطريق. ط1. المنصورة، دار الوفاء.
145-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1996م). تهذيب الأسماء واللغات. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر. ط1. بيروت: دار الفكر.

146-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف.(1392هـ). صحيح مسلم بشرح النووي. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
147-النووي، يحيى بن شرف. (1991م). روضة الطالبين وعمدة المفتين. إشراف: زهير الشاويش. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.
148-نويهض، عادل. (1409هـ).معجم المفسرين. ط3. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.
149-ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد. (1423هـ). التبيان في تفسير غريب القرآن. تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
150-الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي.(1421هـ). حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.
151-ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب. (1411هـ). السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.(د.ط). بيروت: دار الجيل.
152-الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1412هـ). أسباب نزول القرآن. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. ط2. الدمام: دار الإصلاح.
153-الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1415هـ). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق: دار القلم.
154-الوادعِيُّ، مُقْبلُ بنُ هَادِي. (1408هـ). الصحيح المسند من أسباب النزول. ط4. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
155-ابن أبي يعلى، محمد بن محمد. (د.ت). طبقات الحنابلة. تحقيق: محمد حامد الفقي. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.
156-يوسف، محمد خير رمضان. (2002م). تتمة الأعلام للزركلي. ط2. بيروت: دار ابن حزم.

الفهارس العامة

الفهارس العامة

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة			
1	﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِ﴾	2-3	71
2	﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾	45	130
3	﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾	49	106
4	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾	110	33
5	﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾	152	133
6	﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ﴾	154	64
7	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾	165	24
8	﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾	177	75
9	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	183	57
10	﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾	185	45
11	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٞ﴾	186	134

12	﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾	195	85
13	﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾	196	37
14	﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾	197	45
15	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾	207	118
16	﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾	215	103
17	﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾	216	28
18	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾	217	135
19	﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾	244	25
20	﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾	245	73
21	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾	249	132
22	﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾	250	129
23	﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾	260	131
24	﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾	261	74

25	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ ﴾	262	77،76
26	﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ ﴾	275	36،34
27	﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾	276	37
28	﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ ﴾	280	38
آل عمران			
29	﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾	13	65
30	﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	92	74،75 ،32
31	﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾	97	37
32	﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾	110	44
33	﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾	126	65
34	﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾	133-134	143،78،67
35	﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾	154	59
36	﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾	157	68
37	﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾	160	65

38	﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	167	88،82
39	﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾	169	66 ،64
40	﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾	173	132 ،92
41	﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُم﴾	180	88 ،87 ،20
42	﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾	185	142 ،68
43	﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾	186	128
44	﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾	193	74
النساء			
45	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾	10	36
46	﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾	35	47
47	﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾	66	150 ،52
48	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾	69	70 ،25

49	﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	75	152
50	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	76	26
51	﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾	84	136
52	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗا﴾	92	41
53	﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾	103	44
54	﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾	114	48
55	﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾	131	71
56	﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	138	84
57	﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾	140	83
58	﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾	143	83
59	﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	145	84
60	﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾	161	36
المائدة			
61	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	27	93
62	﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ	28	93

	﴿إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾		
63	﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾	29	93
64	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾	89	41
65	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾	90	57
الأنعام			
66	﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	162	138
الأعراف			
67	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡ﴾	82	54
68	﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾	126	128 ،95
الأنفال			
69	﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾	1	47
70	﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾	9	133
71	﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ﴾	11	59
72	﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾	30	135 ،52

73	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ﴾	45	133
74	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾	60	26، 27، 135
75	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾	72	146
76	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾	74	53
77	﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	75	103
التوبة			
78	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾	20	120
79	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	32	136
80	﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾	34	88
81	﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡ﴾	35	89
82	﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾	39	79
83	﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾	42	79

84	﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾	45-44	121
85	﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾	46	27
86	﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾	49	80
87	﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾	60	146
88	﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ﴾	64	80
89	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾	68	83
90	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾	72	139
91	﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾	77-75	87
92	﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	79	115
93	﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾	81	121 ،81
94	﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾	87	82
95	﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾	88	15، 72، 121

96	﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ﴾	90	81
97	﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾	92	123
98	﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	93	82
99	﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾	94	80
100	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾	100	138
101	﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	103	33، 71
102	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾	111	ث، 29، 32، 69، 78، 142
103	﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾	122	39
هود			
104	﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	49	126
105	﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾	88	47
106	﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	114	67
107	﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	115	127
يوسف			

108	﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾	33	49
109	﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾	34	49
110	﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾	91	18
إبراهيم			
111	﴿ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا ﴾	12	128
112	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾	13	51
113	﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾	46	135
الحجر			
114	﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾	48	61
115	﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾	99	61
النحل			
116	﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾	96	129
الإسراء			
117	﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾	20	17
118	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾	23	108

119	﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾	32	58
120	﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾	70	144
الكهف			
121	﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾	6	44
122	﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	15-14	55
123	﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾	62-60	40
124	﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾	66	40
125	﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾	77	114 ،113
126	﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾	82	114
127	﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	95-94	116
مريم			
128	﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦٓ﴾	65	129
129	﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾	71	141
130	﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾	72	141
طه			

131	﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾	45	105
132	﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾	72	94
133	﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾	81	56
134	﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾	112	76
135	﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾	132	129
الأنبياء			
136	﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾	57	91
137	﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ ﴾	58	91
138	﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾	68	92
139	﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	69	92
140	﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾	70	92
141	﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾	71	54
142	﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾	103	76
الحج			
143	﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾	36	38
144	﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾	37	71، 122

145	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾	39	150
146	﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾	40	65
المؤمنون			
147	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾	57 – 61	121
النور			
148	﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾	30	58
149	﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾	37	35
الفرقان			
150	﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾	52	15
151	﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾	66-65	140
الشعراء			
152	﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	22	145
153	﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾	42-41	94
154	﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾	47-45	94
155	﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾	49	94

156	﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾	88-89	36
157	﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	160-162	54
158	﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾	167	54
النمل			
159	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾	16	113
160	﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾	34	112
161	﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾	35-36	19، 112
162	﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾	36	113
163	﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾	40	ح
164	﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾	89	76
القصص			
165	﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾	7	105، 106
166	﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾	10	106
167	﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾	76	85

168	﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾	77	85
169	﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾	81	85
العنكبوت			
170	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾	3-2	139
171	﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا﴾	8	108، 110
172	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾	14	44
173	﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾	26	54
الروم			
174	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾	21	58
175	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	23	59
176	﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾	38	72
لقمان			
177	﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾	15-14	107، 108
الأحزاب			
178	﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	22	131

179	﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾	73	83
سبأ			
180	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	33	134
يس			
181	﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾	15	100
182	﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	20	100
183	﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾	26	101
184	﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾	29-28	101
الصافات			
185	﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾	99	53
186	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾	102	103، 104
187	﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾	103-105	104

188	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾	106	104
189	﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	107	16، 104
ص			
190	﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾	37-36	113
الزمر			
191	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	9	46
غافر			
192	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾	26	99
193	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾	28	99
194	﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾	45	100
195	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾	46	100
الدخان			
196	﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	25 - 28	84
الجاثية			
197	﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	21	79

الأحقاف			
198	﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	35	127
محمد			
199	﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾	4	16
200	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾	7	65
201	﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾	15	57
الفتح			
202	﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	2	59
203	﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾	6	83
204	﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾	18	30
الحجرات			
205	﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾	9	47، 151
الذاريات			
206	﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾	17-18	59
الحديد			
207	﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ	21	67، 142

	﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾		
المجادلة			
208	﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾	4-3	42
209	﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	16	83
الحشر			
210	﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾	8	52
211	﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾	9	18، 73
الصف			
212	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾	13-10	65، 67، 68، 77، 140
الجمعة			
213	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾	9	35
214	﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾	11	35
المنافقون			
215	﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾	1	81

216	﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾	8	109
التغابن			
217	﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾	16	21
التحريم			
218	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾	6	68
القلم			
219	﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾	17	86
220	﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾	20-19	86
221	﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ﴾	24-23	86
222	﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾	32	86
223	﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾	33	86
المعارج			
224	﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ﴾	11	16
225	﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾	21-19	20
نوح			

226	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾	5	44
المزمل			
227	﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	20	35
الإنسان			
228	﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾	5	74
النبأ			
229	﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾	9	59
عبس			
230	﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾	32-24	56
المطففين			
231	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾	22-18	74
البروج			
232	﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾	8-4	95
الأعلى			
233	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾	14	71
الفجر			
234	﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾	20	32، 70

البلد			
235	﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾	4	60
236	﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾	13-11	146
الشمس			
237	﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	9	71
الليل			
238	﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	7-5	17، 75
239	﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	11-8	87
240	﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾	12	19
241	﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾	18-14	77، 140
242	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۞ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾	18-17	71
البينة			
243	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	5	122
الزلزلة			
244	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾	8-7	63
245	العاديات		
246	﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾	8	70

الكوثر			
247	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾	2	38

ثانيا: فهرس أطراف الأحاديث.

م	طرف الحديث	المصدر	الحكم	رقم الصفحة
1	أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعُ	الحاكم	صحيح على شرط مسلم	117
2	أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ	الحاكم	صحيح	142
3	اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ	مسلم	صحيح	73
4	اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	البخاري	صحيح	116
5	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ	البخاري	صحيح	36
6	آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً	مسلم	صحيح	141
7	إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ	مسلم	صحيح	33
8	اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ	البخاري	صحيح	47
9	اعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ	البخاري	صحيح	134، 143
10	اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ	الحاكم	صحيح	45
11	أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ	ابن ماجه	صحيح	98
12	أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا	البخاري	صحيح	59
13	أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ	أبو داود	صحيح	48
14	أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ	مسلم	صحيح	27
15	ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ	الترمذي	صحيح	142

16	إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا	البخاري	صحيح	123
17	أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ	الترمذي	صحيح	124
18	إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ	البخاري	صحيح	139
19	إِنَّ اللهَ قَالَ: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ	البخاري	صحيح	34
20	إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ	مسلم	صحيح	77
21	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ	مسلم	صحيح	122
22	أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ	البخاري	صحيح	115
23	إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ	البخاري	صحيح	140
24	إنما يَنْصُرُ الله هذه الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا،	النسائي	صحيح	134
25	أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا	البخاري	صحيح	146
26	إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	البخاري	صحيح	26
27	أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ،	البخاري	صحيح	134
28	بَلْ أَحْسِنْ صُحْبَتَهُ	فتح الباري	حسن	110
29	بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ	البخاري	صحيح	34، 37
30	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ	البخاري	صحيح	42
31	ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ– أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ–	أبو داود	صحيح	133
32	حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ	مسلم	صحيح	97
33	دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ	البخاري	صحيح	109

34	رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ	ابن حبان	صحيح	118
35	وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ	البخاري	صحيح	49، 58
36	سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ	البخاري	صحيح	115
37	سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ	الحاكم	صحيح	98
38	الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا	البخاري	صحيح	109
39	صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ	البزار	حسن صحيح	126
40	الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ	الحاكم	حسن صحيح	57
41	عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ	الترمذي	صحيح	69
42	فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا	البخاري	صحيح	126
43	فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ	مسلم	صحيح	97
44	فُكُّوا الْعَانِيَ، يَعْنِي: الْأَسِيرَ	البخاري	صحيح	148
45	قَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ	مسلم	صحيح	97
46	كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ	البخاري	صحيح	133
47	كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ	البخاري	صحيح	38
48	كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ	البخاري	صحيح	126
49	لَا أَجْرَ لَهُ	أبو داود	حسن	126
50	لَا زَكَاةَ فِي مَالٍ، حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ	ابن ماجه	صحيح	45

51	لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ	مسلم	صحيح	109
52	لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدَاً	النسائي	صحيح	22
53	لاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ	الترمذي	صحيح	68
54	لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ	أبو داود	صحيح	ح
55	لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ	مسلم	صحيح	144
56	لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ	البخاري	صحيح	24
57	لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ	النسائي	صحيح	30
58	لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ،	الترمذي	صحيح	128
59	اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ	الترمذي	حسن	133
60	اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي	مسلم	صحيح	134، 136
61	لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ	مسلم	صحيح	70
62	لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ	البخاري	صحيح	49
63	لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ	البخاري	صحيح	130
64	مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ	أبو داود	صحيح	142
65	مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ	مسلم	صحيح	89
66	مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ	البخاري	صحيح	75
67	مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ	مسلم	صحيح	32
68	مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ	البخاري	صحيح	88

69	مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟	مسلم	صحيح	108
70	مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ	البخاري	صحيح	79
71	مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا	البخاري	صحيح	33
72	مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ	مسلم	صحيح	124
73	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ	مسلم	صحيح	38
74	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا	ابن ماجه	صحيح	46
75	مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ في الدُّنْيَا حُرِمَهَا فِى الآخِرَةِ	مسلم	صحيح	57
76	مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا	مسلم	صحيح	124
77	مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ	النسائي	صحيح	150
78	مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ	أبو داود	صحيح	145
79	مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ	النسائي	صحيح	151
80	نَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ سَبْعَ بُدْنٍ قِيَامًا	البخاري	صحيح	39
81	نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ	البخاري	صحيح	43
82	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَتَابَعْتُمْ	ابن حبان	صحيح لغيره	35
83	وَاللَّهِ، إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ	الترمذي	صحيح	52
84	وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ	البخاري	صحيح	126
85	وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ	مسلم	صحيح	58
86	يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ	البخاري	صحيح	58

87	يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ	البخاري	صحيح	78
88	يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ	ابن ماجه	صحيح	68
89	يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ،	البخاري	صحيح	89

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

م	اسم العَلَم	الصفحة
1	إبراهيم بن موسى الغرناطي	24
2	ابن العربيّ، محمد بن عبد الله	17
3	أبو جحيفة السّوائي	148
4	أبو عثمان النهدي	118
5	أبو موسى الأشعري	148
6	أحمد بن محمد القرافي	89
7	أحمد مختار عمر	12
8	أُم كُلْثُوم بِنْت عُقْبةَ بن أبي مُعَيط	48
9	خَبَّاب بْن الْأَرَتِّ	133
10	زَيْد بن خَالِد الجُهَنِيّ	33
11	سَعْدُ بن مالك بن سِنَان الخدري	98
12	سَعِيد بْن جُبَيْرٍ	80
13	سَعِيد بْن زَيْدٍ	149
14	سعيد حوى	15
15	سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي	30
16	سهل بن سعد بن مالك	47

17	سويد بن مقرن بن عائذ المزني	150
18	سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي	136
19	صهيب بن سنان الرومي	117
20	عبد الرحمن السعدي	27
21	عبد القادر المغربي	12
22	عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري	39
23	عبد الكريم محمود يونس الخطيب	28
24	عبد الله بن أبى أوفى الأسلمي	143
25	عبْد اللَّهِ بْنِ أَبِى قَتَادَةَ	38
26	عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول الأنصاري	109
27	عبد الله بن عمرو بن العاص	30
28	عَبْدُ الله بن هِشَام بن عُثْمان	24
29	عدي بن حاتم الطائي	116
30	عروة بن الزبير بن العوام	99
31	عقبة بن عامر بن عبس	26
32	عقبة بن عمرو، أبو مسعود البدري	115
33	عكرمة البربري	117
34	عمر بن علي بن عادل	76

35	عمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري	143
36	قتادة بن دعامة السدوسي	36
37	محمد بن يوسف الشامي الصالحي	110
38	مسروق بن الأجدع	64
39	مسلم بن الوليد	29
40	مصعب بن سعد بن أبي وقاص	107
41	نافع بن هرمز	31
42	يزيد بن أبي عبيد	30